هل العهد القديم
كلمة اللّه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم



E

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٧/١٥٦٦٤م

رقم الإيداع بالمملكة العربية السعودية

١٤٢٦/٥٦٠٣هـ

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

٩٩٦٠-٤٩-٥٥٦-٦



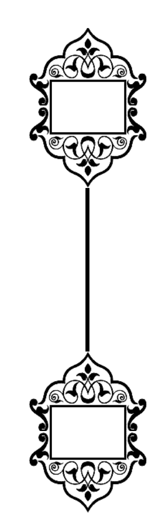
للطبع والنشر والتوزيع

dar_alislam@yahoo.com

٠١٠٠٣٣٦٣٢٤٦ (٢+)

الطبعة الرابعة

١٤٤٠هـ/٢٠١٩م



سلسلة الهدى والنور ١

هل العهد القديم كلمة اللّه ؟

الدكتور

منقذ بن محمود السقار

دكتوراه في مقارنة الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع أنبياء الله المرسلين ، وعلى نبينا محمد ، صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين ، وبعد :

مازال الصادقون في كل عصر وجيل يبحثون عن الهدى والنور ، وقد أرسل الله رسله ، حاملين للهدى والبينات والنور ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** ﴾ [المائدة : ٤٤] ، ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[المائدة : ٤٦] .

ثم جاء القرآن الكريم ، الكتاب الخاتم أيضًا للدلالة على النور والهدى ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [المائدة : ١٥-١٦].

إلا أن كتب الله المنزلة على الأنبياء السابقين فُقدت بسبب ظروف كتابتها وطريقة حفظها ، وتعرضت للتحريف والضياع ، فضلّ البشر وتاهوا عن الهدى والنور ، وتوارث الناس كتبًا بديلة نُسبت إلى الله ، لكنها كانت خالية ـ إلا قليلًا ـ من الهدى

والنور ، فقد حملت هذه الأسفار المكتوبة في طياتها ضعف البشر وجهلهم ، فجاءت هذه الكتابات متناقضة غاصّة بالكثير مما لا يرتضي العقلاء نسبته إلى الله ووحيه القويم .

وهذا لا يمنع أن يكون في هذه الأسفار بعض أثارة من هدي الأنبياء وبقايا من وحي السماء ، لكنها – كما أسلفت – غارت في بحور من تخليط البشر وتحريفهم .

هذا مجمل إيمان المسلمين في الكتب السابقة ، فهم يؤمنون بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ، لكنهم يرفضون أن يقال عن أسفار العهد القديم ، أنها كلمة الله ، وإن حوت بعض كلمته وهديه .

أما النصارى واليهود فهم يؤمنون بقدسية هذه الأسفار ، ويعتبرونها كلمة الله التي سطرها أنبياؤه ، وتناقلها اليهود عبر تاريخهم الطويل .

وإزاء هذا الاختلاف الكبير بين موقفي الفريقين من أسفار العهد القديم ، نطرح سؤالنا المهم : « هل العهد القديم كلمة الله ؟ » .

وهو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه في هذه الحلقة من السلسلة التي نتقدم بها للذين مازالوا يبحثون عن الهدى والنور من أهل الكتاب .

وقد نهجتُ في هذه السلسلة منهج الغوص في طيات الكتب المقدسة عند النصارى ، لأبحث من خلال الركام الكبير من الباطل عن أثارة الحق الذي نطقت به الأنبياء ، لأقيم من خلاله الحجة على أولئك الذين يؤمنون بقدسية هذه الكتب .

وقد أيدت ما بين يدي من نصوص بأقوال علماء الكنيسة ، ومجامعها

ومؤسساتها، كما استأنست بأقوال أحرار الفكر والأكاديميين الغربيين الذين أنطقتهم الحقيقة بشيء من الإجابات التي نبحث عنها في هذه السلسلة ، سلسلة الهدى والنور.

والله أسأل أن يهدينا جميعًا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنه ، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

د . منقذ بن محمود السقار

مكة المكرمة – شعبان – ١٤٢٣هـ

mongezss@gmail.com

معتقد المسلمين في توراة موسى عليه السلام

تشرح آيات القرآن الكريم بجلاء موقف المسلمين من التوراة التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه موسى عليه السلام ، إذ يخبرنا القرآن أنها وحي الله وكتابه وهديه الذي أنزله هدى ونورًا لبني إسرائيل ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** ﴾ [المائدة : ٤٤] ، ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ٣-٤] .

ولذلك فقد دعا الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان بكل وحي أنزله على الأنبياء السابقين : ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٦]، ووصف عباده المؤمنين: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقد ذكر القرآن الكريم أن الله وكَّل إلى أهل الكتاب حفظ كتابهم ﴿ **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء** ﴾ [المائدة : ٤٤] ، لكن هل كان بنو إسرائيل أمناء على الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم ؟

القرآن يخبرنا أن اليهود قد امتدت أيديهم إلى الكتاب تتلاعب بمضامينه ومعانيه ، فذكر أنهم ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ** ﴾ [المائدة : ١٣] ، كما أخبرنا الله تعالى أنهم كتموا بعضًا مما أنزل الله عليهم ، وأن الله بعث نبيه ﷺ ومعه بيان كثير مما أخفوه ، ناهيك عما تجاوزه ، فلم يظهره ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا**

يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .

ثم كانت إحدى أكبر مساوئهم أنهم كتبوا كتبًا من عندهم ، ثم نسبوها إلى الله ﷻ ، فاستحقوا وعيده: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة : ٧٩]، وقال: ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

ووضح النبي ﷺ هذا المعتقد حين قال : « **إن بني إسرائيل كتبوا كتابًا ، فاتبعوه، وتركوا التوراة** »(١).

واستقر هذا المعنى في نفوس الصحابة والمؤمنين بعدهم ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابُكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدثُ ، تقرؤونه محضًا لم يُشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا »(٢).

ولا يمنع هذا من صحة بعض مواضع في التوراة ، ويدلنا عليه ما نجده من آثار الأنبياء ، ففي التوراة حق وباطل كما أخبر الله ورسوله . ومن النصوص التي أشارت إلى وجود شيء من الحق في كتبهم ألبسوه بالباطل والزور قوله تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ**

---

(١) رواه الدارمي ح (٤٨٠) ، والطبراني في الأوسط ح (٥٥٤٨) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٨٣٢).

(٢) رواه البخاري ح (٧٣٦٣).

الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧١] ، وكذا قوله : **﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾** [المائدة : ٤٣] ، وذلك في مسألة رجم الزاني ، وهو مذكور في سفر التثنية ، حيث يقول : « **إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه ، فتنزع الشر من وسطك** » (التثنية ٢٢: ٢٢-٢٣) .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم** »(١)، وعلل سبب عدم التكذيب بوجود حق وصدق في كتبهم ، حيث قال كما في رواية أبي داود : « **ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله ورسله ، فإن كان باطلًا لم تصدقوه ، وإن كان حقًا لم تكذبوه** »(٢).

وعليه فنحن المسلمين نؤمن بتوراة موسى كل الإيمان ، ونؤمن بأنها حرفت ولم تحفظ ، وأن القوم أخفوا شيئًا ، وكتبوا أشياء ، وضاع منهم الكثير ، وما بين يديهم لا يخلو من بعض الحق .

وكثيرًا ما نرى النصارى يستشهدون على صحة كتبهم بما جاء في القرآن من ثناء على كتاب موسى عليه السلام ، مدعين أنها توثق الأسفار التي بين يديهم ، فهل أعجزتهم الحيل أم ضاقت بهم السبل ، إنهم يرومون توثيق هذه الكتب والأسفار بنصوص

---

(١) رواه البخاري ح (٤٤٨٥).

(٢) رواه أبو داود ح (٣٦٤٤).

القرآن والسنة التي نطقت بتحريفهم .

لذا نراهم يقتطعون النصوص القرآنية اعتسافًا ، فيوردون بعضها ويتغافلون عن الكثير مما لا يخدم فكرتهم ، إنها طريقتهم دومًا ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ**﴾ [البقرة : ٨٥] ، وهم بذلك كما وصف الله ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران : ٧] .

وعند جمع هذه النصوص في مكان واحد يستبين الحق ويستبصر الباحث عن الحق صراط الله المستقيم .

فمما يثبت أن هذه الأسفار ليست توراة موسى المنزلة؛ أن القرآن نسب إلى أسفار موسى الكثير من المعاني التي نفتقدها في النصوص الحالية ، ومن ذلك قوله : ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ** ﴾ [التوبة : ١١١] ، ولا وجود لهذا المعنى في العهد القديم ولا الجديد .

ومثله قوله تعالى : ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى : ١٦-١٩] ، فهذا المعنى لا وجود له في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة ، فضلًا عن المقارنة بينها وبين الدنيا .

ومثله نفتقد في الأسفار الحالية ما نسبه الله إلى توراته وإنجيله في سورة الأعراف من حديث عن النبي الأمي الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن ، ونفتقدها في الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى اليوم ، وذلك مؤذن ببطلان استدلالهم بالقرآن على توثيق ما في أيديهم من الكتب ، إذ توثيق القرآن ومدحه ، إنما هما لكتاب الله ووحيه الذي ذكر ما نسبه القرآن إليه، وليس للمحرَّف من كتبهم ، والمنسوب زورًا إلى الله ﷻ .



لمحات من تاريخ بني إسرائيل وقصة ضياع التوراة الأصلية

يبدأ تاريخ بني إسرائيل بأبيهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقد سمي يعقوب فيما بعد (إسرائيل) ، ورزق اثني عشر من الولد ، وكل واحد منهم ولَد أمة تسمى سبطًا ينسب إليه ، فأسباط إسرائيل هم ذرية يعقوب من أبنائه الاثني عشر ، وقد دخل يعقوب وأبناؤه مصر إبان سيطرة الهكسوس عليها ، فعاشوا فيها ، ولما أُخرج الهكسوس من مصر ، أذل المصريون بني إسرائيل، وساموهم أصناف العذاب .

ثم بعث الله فيهم موسى عليه السلام فاستنقذهم من أسر فرعون وذله ، وقادهم باتجاه الأرض المقدسة ، فجبُنوا عن دخولها ، وبقوا في التيه في سيناء أربعين سنة توفي فيها موسى وهارون .

ثم قاد يشوع (وصي موسى) بني إسرائيل فأدخلهم الأرض المقدسة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وبعد وفاته تفرق بنو إسرائيل إلى مجموعات متناثرة يحكمها عدد من القضاة ، واستمر ذلك زهاء قرن ونصف .

ثم اختار لهم النبي صموئيل شاول (طالوت) ملكًا ، فحكمهم عشر سنين ، ثم ملك بعده داود ، ثم ابنه سليمان الذي توفي عام ٩٣٢ ق . م ، وولي بعده ابنه رحبعام ، وثار عليه يربعام بن ناباط ، وتبعه عشرة من الأسباط ، وكونوا دولة شمالية سميت : مملكة إسرائيل ، وعاصمتها شكيم (نابلس) وبقيت حتى عام ٧٢٢ ق . م حيث قضى عليها الآشوريون ، وحكموا تلك البلاد .

وأما المملكة الجنوبية (يهوذا) ، فعاصمتها أورشليم ، فبقي الملك فيها في ذرية سليمان حتى جاء بختنصر عام ٥٨٦ ق . م ، فقتل ملكها صدقيا ، وأحرق أورشليم وهيكلها ، وسبى سكانها إلى بابل ، فبقوا هناك حتى أعادهم الملك الفارسي

قورش سنة ٥٣٨ ق . م ، ثم بقوا في فلسطين في ظل اليونان ثم الرومان الذين دخلوا أورشليم عام ٦٤ ق . م ، واستمرت سيطرتهم على فلسطين حتى ظهور الإسلام .

قصة ضياع التوراة الأصلية

تلقى موسى من الله وهو على جبل الطور لوحين من الحجارة كتبهما الله لبني إسرائيل تذكارًا « **وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل ، وكن هناك ، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم** » (الخروج ٢٤: ١٢) ، وقد كتب في اللوحين الوصايا العشر (انظر الخروج ٢٠: ١-١٧) و (التثنية ٥: ٥-٢٣) .

وأمر موسى بوضع اللوحين في تابوت العهد ، « **وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك** » (الخروج ٢٥: ٢١) .

وأوصى موسى بني إسرائيل بأن تقرأ التوراة على جميع بني إسرائيل كل سبع سنوات « **وفي نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في المكان الذي تختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم** » (التثنية ٣١: ٩-١١) .

وقال للّاويين : « **خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ، ليكون هناك شاهدًا عليكم ، لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هوذا وأنا بعد حتى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب ، فكيف بالحري بعد موتي .. لأني عارف بعد موتي تفسدون وتزيغون** » (التثنية ٣١: ٢٤-٣٠) .

بعد وفاة موسى؛ أعاد يشوع كتابة التوراة ، فكتبها على أحجار المذبح بحروف واضحة « **كتب هناك على الحجارة نسخة توارة موسى .. وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة ، ولم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأ يشوع قدام كل جماعة إسرائيل والنساء والأطفال والغريب السائر في**

وسطهم » (يشوع ٨: ٣٠-٣٥) .

ومما سبق علمنا أن التوراة كتبها موسى ، وأمر بوضعها في تابوت عهد الرب بين لوحي الحجر ، وأمر أن تُقرأ على بني إسرائيل كل سبع سنين .

وبدأ ضياع التوراة كما تحدث سفر (١ صموئيل ٤ : ١١) عند فقدهم للتابوت في معركة مع الفلسطينيين ، ثم عاد إليهم بعد سبعة شهور ، ولما فتحوا التابوت « **لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى** » (١ ملوك ٨: ٩) .

كما تعرض بيت المقدس لغزو عام ٩٢٦ ق.م من قبل شيشق ملك مصر ، وكان هذا الغزو كفيلًا بفقد كل ما في الهيكل من نسخ التوراة « **وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شيء** » (١ ملوك ١٤: ٢٥-٢٦)، ففقدت التوراة سنين طويلة ، ولم توجد لها باقية ، إذ عاد بنو إسرائيل إلى الوثنية ، ولم يعد للتوراة ذكر .

ثم في عام ٦٢٢ ق.م ، وبعد ثمان عشرة سنة من حكم الملك يوشيا الذي أراد أن يعيد بني إسرائيل إلى عبادة الله ، ادعى الكاهن حلقيا أنه وجد سفر الشريعة ، وقال: « **قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب .. فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه** » (٢ ملوك ٢٣: ٢) .

ولم تبين النصوص ما الذي وجده حلقيا بعد هذه السنين ؟ هل وجد لوحي الحجر أم ما كتبه موسى ، أم أن المقصود بسفر الشريعة هو سفر التثنية أو سفر اللاويين المختصين بالشرائع ؟[١].

---

(١) يرجح محررو قاموس الكتاب المقدس ثم القس الدكتور صموئيل يوسف أن ما عثر عليه =

وفي عام ٦٠٥ ق.م تسلط الملك بختنصر على بيت المقدس ، فنهب وسلب وأحرق وسبا عشرة آلاف من أهلها . (انظر: ٢ ملوك ٢٤: ١١-١٥) .

ثم في عام ٥٨٦ ق.م عاد بختنصر إلى أورشليم « **وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم ، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار** » (٢ ملوك ٢٥: ٩) .

وهنا فقدت توراة حلقيا كما يشهد بذلك علماء أهل الكتاب ، يقول أكليمندس السكندري : « وإذ كان الكتاب المقدس قد هلك في سبي نبوخذنصر ، فإن عزرا الكاهن اللاوي في زمن أرتحشستا ملك الفرس بعد أن أُوحي إليه بممارسة النبوة استرد مرة أخرى كل الكتب القديمة»[(١)]، ويؤكده محررو قاموس الكتاب المقدس بقولهم : « مما لا شك فيه أن معظم الأسفار المقدسة أُتلف أو فُقد في عصر الارتداد عن الله والاضطهاد في مدة حكم الملك منسى »[(٢)].

ويقول القس الدكتور صموئيل يوسف : « اعتقد آباء الكنيسة الأولى ومنهم إيريناوس وترتليان وكليمندس السكندري وجيروم بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة ، وذهبوا إلى الاعتقاد أيضًا أن هذه الأسفار أحرقها نبوخذ نصر وقت محاصرته اورشليم ، فأعاد عزرا كتابتها من جديد بإلهام من الروح القدس»[(٣)]، وقد قال القديس جيروم: «سواء كنت تعتقد أن موسى كاتب التوراة، أو أن عزرا أعاد

حلقيا هو الجزء الأكبر من سفر التثنية أو نواة هذا السفر. انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١٢٠) ، والمدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٧٥).

(١) المتفرقات، إكليمندس السكندري، ص (٢٤٨).

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١٢٠).

(٣) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٧٣).

كتابتها، في كلا الحالتين، أنا لا أعترض»[١].

ويحكي سفر نحميا عن حالة الفرح العارم التي أصابت بني إسرائيل لما كتب لهم عزرا التوراة المفقودة « **ونحميا أي الترشاثا وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون المفهمون الشعب قالوا لجميع الشعب : هذا اليوم مقدس للرب إلهكم ، لا تنوحوا ولا تبكوا ، لأن جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة .. وكان اللاويون يسكتون كل الشعب قائلين : اسكتوا لأن اليوم مقدس ، فلا تحزنوا .. وفي اليوم الثاني اجتمع رؤوس آباء جميع الشعب والكهنة واللاويون إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة** » (نحميا ٨: ٩-١٤) .

يقول القديس إيريناوس : « عندما أبيدت الأسفار المقدسة وعاد اليهود إلى وطنهم بعد سبعين سنة ؛ ألهم عزرا الكاهن لاستعادة كل كلام الأنبياء السابقين ويعيد إلى الشعب شريعة موسى »[٢].

وقد كتب عزرا هذه الكتب وهو في سبي بابل ، فقد سماه ملك فارس بعزرا الكاتب ، حيث قال : « **من ارتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل** » (عزرا ٧: ١٢) .

ويسهب سفر عزرا في الحديث عن مهارات عزرا وإمكاناته التي يسرت له كتابة الأسفار المقدسة : « **عزرا هذا صعد من بابل ، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل .. لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب ، والعمل بها ، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء .. عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء** » (عزرا ٧: ٥-١٠) .

والمتأمل في النص السابق يلحظ ما يدفع قول القائلين بنبوة عزرا أو إلهاميته ، حيث

---

(١) مقدمة كتاب خطابات جيروم ، ص (٨١).

(٢) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٢١٦).

سماه الكاهن ، ولم يسمه النبي ، ولو كان نبيًا لما حسُن تسميته بالكاهن ، كما أشار السفر إلى مهارة عزرا الشخصية ، وهي أيضًا خلاف ما عُهد في الأنبياء الذين يعدهم الله لحمل كتبه ، فالنبوة عطاء ومنحة إلهية ، وليست كسبًا شخصيًا لعزرا أو غيره .



أسفار العهد القديم

يطلق النصارى ـ لا اليهود ـ اسم «العهد القديم» على الكتب المنسوبة إلى أنبياء بني إسرائيل قبل المسيح ، وتسمى أيضًا: «الكتب» و«الناموس»، وأما عند اليهود فتسمى (التناخ)، وهي كلمة منحوتة من الحروف الأولى لأسماء مجموعات الأسفار.

وأول من أطلق اسم «العهد القديم» الأسقف ميليتوس أسقف سادرس عام ١٨٠م ، وحجته في ذلك تسمية بولس للتوراة بالعهد القديم أو العتيق، وذلك في قوله : « **عند قراءة العهد العتيق** » (٢ كورنثوس ٣: ١٤) ، لتسمى الأناجيل والرسائل الملحقة بها بالعهد الجديد[١] .

التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى تتكون من أقسام عدة :

أ ـ الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى والتي يقابلها عند المسلمين : «التوراة»، وهي: سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر اللاويين ، سفر العدد ، سفر التثنية .

ويجدر التنبيه إلى أن فرقة السامريين اليهودية لا تؤمن بما سوى الأسفار الخمسة من توراتها السامرية ، كما سيأتي بيانه .

ب ـ الأسفار التاريخية ، وهي أسفار منسوبة لعدد من الأنبياء الذين عاصروا هذه المراحل التاريخية من حياة بني إسرائيل، وعددها اثني عشر: (سفر يشوع ، سفر القضاة، سفر راعوث ، سفر صموئيل الأول ، سفر صموئيل الثاني ، سفر الملوك الأول، سفر الملوك الثاني ، سفر أخبار الأيام الأول ، سفر أخبار الأيام الثاني ، سفر عزرا ،

---

(١) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (١٧).

سفر نحميا ، سفر أستير) .

ج ـ أسفار الشعر والحكمة ، وهي خمسة أسفار : (سفر أيوب ، سفر المزامير ، سفر الأمثال ، سفر الجامعة ، سفر نشيد الأنشاد) ، وتنسب هذه المجموعة في غالبها إلى داود وسليمان ، ومن المزامير ما ينسب إلى آخرين مجهولين يُدعون بني قورح وأساف وإيثان (٢٣ مزمورًا) ، ومنها المزامير اليتيمة (٥١ مزمورًا) ، ولا يعرف قائلها .

د ـ الأسفار النبوية (الأنبياء)، وتتكون من سبعة عشر سفرًا ، وهي : (سفر إشعيا، سفر إرميا ، سفر مراثي إرميا ، سفر حزقيال ، سفر دانيال ، سفر هوشع ، سفر يؤئيل ، سفر عاموس ، سفر عوبديا ، سفر يونان ، سفر ميخا ، سفر ناحوم ، سفر حبقوق ، سفر صفينا ، سفر زكريا ، سفر حجي ، سفر ملاخي) . وتسمى الأسفار الستة الأولى: أسفار الأنبياء الكبار ، والبقية: الأنبياء الصغار .

هـ ـ الأسفار القانونية الثانية، وهي سبعة : (باروخ ، طوبيا ، يهوديت ، الحكمة ، يشوع بن سيراخ ، المكابيين الأول ، المكابيين الثاني) . يسميها البعض «أسفار الأبوكريفا» أي: الخفية، وكانت هذه الأسفار موضع ارتياب عند بعض آباء الكنيسة الأوائل الذين تابعوا اليهود في رفضها ، فالقديس جيروم ترجم أسفار الأبوكريفا إلى اللاتينية ، لكنه لم يضفها إلى الأسفار القانونية ، لكن غيره قبلها ، واجتمعت الفرق المسيحية على قبولها في مجمعي هيبو (٣٩٣م) وقرطاجة (٣٩٧م) ، وبقيت كذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي[١] .

ففي ذلك القرن (١٦م) ظهر البروتستانت ، فرفضوا الإيمان بقانونية هذه الأسفار

---

(١) انظر: المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٩).

تبعًا لليهود، ولأنهم وجدوها -كما يقول القس صموئيل مشرقي -: «منافية لروح الوحي، فقد ذُكر فيها تناسخ الأرواح، والتبرير بالأعمال، وجواز الكذب، بل والانتحار لدرجة التشجيع عليه، وخرافات أخرى عديدة»[١].

وأما الأرثوذكس والكاثوليك فقد تمسكوا بها، وإنْ كان الأولون يطبعونها منفردة في بعض النسخ الحديثة ، حرصًا على الوحدة الدينية للمذاهب النصرانية .

وقد تم تقسيم أسفار العهد القديم إلى أصحاحات في سنة ١٢٠٠م على يد أُسقف كانتربري الأسقف ستيفن لانجتون (ت ١٢٢٨م)، ثم رقمت فقرات الأصحاحات في الطبعة الباريسية الصادرة عام ١٥٥١م ، وعنها أَخذت بقية الطبعات[٢].

وأما ترتيب الأسفار فقد أعيد غير مرة ، وكان قد أقر له ترتيب في مجمع روما ٣٨٢م ، ثم عدل في ترنت ١٥٤٦م ، ولهذا التغيير علاقة قوية بقيمة الأسفار وأهميتها ودرجة ثبوتها ، ثم تاريخية أحداثها.

ولا يؤمن اليهود ولا النصارى (فيما عدا بعض الإنجيليين) بالإلهام الحرفي للكتاب المقدس ، بل يعتقدون أن كلًا من كتبة الأسفار قد كتب بأسلوبه كما ألهمه الروح القدس ، ووفق مجمع الفاتيكان الثاني ١٩٦٥م فإن « الكنيسة المقدسة بفضلِ الإيمان الذي استلمته من الرسل تعتبرُ كتبَ العهدِ القديمِ والعهدِ الجديدِ كلّها بجميعِ

---

(١) للوقوف على حجج البروتستانت في رفض هذه الأسفار انظر: علم اللاهوت النظامي ، جيمس أنس ، ص (٦٠-٦٥)، ومصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (٢٢-٢٣).

(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٣١٥).

أجزائها مقدسةً وقانونية، لأن تلك الأسفار التي كُتِبَت بإلهامِ الروح القدس، (يو ٢٠ : ٣١؛ ٢ تيم ٣ : ١٦؛ ٢ بط ١ : ١٩ – ٢١؛ ٣ : ١٥ – ١٦)، هو الله أَلَّفَها، وسُلِّمَت كما هي عليه إلى الكنيسة نفسها. إنَّما إختار الله لصياغةِ هذه الكتب المقدَّسة أناساً في كمالِ إمكاناتهم وقواهم، وإستخدمهم كيما، بدفعٍ منه فيهم وبواسطتهم، يدوّنوا كمؤلِّفين حقيقيين، كلَّ ما يُريده وما يُريده فقط. وحيث يجب أن يُعتبَرَ مِنَ الروح القدس كلُّ ما يقوله ويؤكِّده المؤلّفون الملهَمون أو كُتَّابُ الأسفار المقدسة، إقتضى إذ ذاك الإعتراف بأن الكتبَ المقدسةَ تُعلِّمُ الحقيقة التي أراد الله أن تُدرَجَ في تلك الأسفارِ المقدسة لخلاصنا بقوةٍ وأمانةٍ وبدون خطأ»[١].

ولفهم طبيعة الوحي الإلهامي نقرأ ما قاله الأب جورج سابا: «الإلهام لا يكبت شخصية الكاتب، فالكاتب الملهَم شخص من أهل زمانه له معلوماته الإنسانية وإحساسه وأسلوبه، ولديه أحيانًا مصادره، ويكتب في فن أدبي خصوصي ، وقد يتاثر بحضارة الشعوب المجاورة وبمن سبقوه»[٢].

ويقول القس سمعان كلهون: «ومعنى الوحي بها من الله هو تحريك روحه القدوس إليها بما يفوق الطبيعة، وعلى هذا يقال: إن الأنبياء الأولين كانوا يتكلمون بوحي إلهي، فالوحي إلى الكاتبين الأطهار يتضمن: أولاً: أن الله حرك عزائمهم إلى تلك الكتابة. ثانيًا: أنه قد ساعدهم بإلهام خاص في معرفة ما لم يكونوا يعرفون قبلاً. ثالثًا: أنه قد أرشدهم إلى استحضار الألفاظ الموفقة الدالة على مقاصدهم. رابعًا: أنه

---

(١) انظر : وثيقة (الدستور العقائديّ حول الوحي الإلهيّ «كلمة الله»)، في موقع الفاتيكان على الشبكة، والترجمة من موقع «المركز الدائم للتنشئة المسيحية».

(٢) على عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٤٠).

قد هداهم في جميع الأمور إلى أن يكتبوا بحسب مشيئته تعالى »[١].

وعن أصحاب هذه الأسفار وكتبتها الأصليين تقول كنيسة دميانة : « لقد كتب العهد القديم في فترة ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد بواسطة أربعين كاتبًا ، يختلفون في صفاتهم ، فمنهم الفلاسفة مثل موسى النبي ، ومنهم الراعي البسيط جامع الجميز مثل عاموس ، والقائد الحربي يشوع ، وساقي الملك نحميا ، ومنهم إشعيا رجل القصور ، ودانيال رئيس الوزراء ، وسليمان الملك صاحب الحكمة .. كما اختلف الكُتاب عن بعضهم في ظروف تسجيل الوحي الإلهي ، فموسى سجل أسفاره في البرية ، وأما إرمياء فسجلها في ظلمة الجب ، وأما داود النبي فكتب مزاميره عند سفوح التلال ، وهو يرعى خرافه .. ورغم هذا نجد أن الكتاب المقدس يمتاز بوحدة ترابطية عجيبة لا تناقض فيها ولا خلل »[٢].

ويشرح محررو قاموس الكتاب المقدس طبيعة الوحي وكيفية تسجيله وموثوقيته عند مؤمني أهل الكتاب : « والكتاب أصل الإيمان المسيحي ومصدره ، وهو خال من الأخطاء والزلل ، وفيه كل ما يختص بالإيمان والحياة الروحية .. أوحى الله بكلمته إلى أنبياء ورسل نطقوا بها حسب اصطلاحات اللغات البشرية ، فكان الكاتب الملهَم أما أن يكتب بنفسه ما يوحى به إليه ، وأما أن يمليه على كاتب يكتبه له، إلا أنه لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية التي كتبها هؤلاء الملهمون أو كُتّابهم .. »[٣].

---

(١) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، القس سمعان كلهون، ص (٨).
(٢) استحالة تحريف الكتاب المقدس، القمص مرقس عزيز، ص (٤١-٤٢)، وانظر : قاموس الكتاب المقدس، ص (٧٦٢)، وعلى عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٤٠).
(٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٧٦٣).

فمعتقد النصارى في هذه الكتب ـ كما رأيتَ ـ أنها تحمل كلمة الله ، وأنه كتبها أنبياء الله بإلهام من الروح القدس ، وهذه الدعاوى هي ما سنحاول دراسته والتوثق من صحته في هذه الحلقة من سلسلة الهدى والنور .



النصوص التوراتية الحالية

وصل إلى أيدينا اليوم ثلاثة نصوص مختلفة لأسفار العهد القديم (السبعيني، الماسوري، السامري)، ولا نتحدث هنا عن ثلاث ترجمات ، بل نعني أنه توجد نصوص ثلاثة متوازية يستقل بعضها عن بعض .

١- النص السبعيني (الترجمة اليونانية) ، وينسب إلى ثلاثة وسبعين من أحبار اليهود اجتمعوا بأمر من الامبرطور بطليموس في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد لترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، وهي قصة يصفها وليام ديورانت بالخرافة، ويسميها غيره «الأسطورة»(١) .

على كل حال ، فقد وجد قبل الميلاد نص يوناني للتوراة، واكتسب أهمية بالغة له بعد أن ترجمه إلى اللاتينية القديس جيروم في نسخته الشهيرة (الفولجاتا) التي ترجمها ـ مع بعض التعديلات من الأصول العبرانية ـ في أواخر القرن الرابع (٣٨٦م) ، وهي الأكثر انتشارًا في العصور المسيحية.

ويستمد النص السبعيني أهميته بسبب تراجمه إلى اللغات المختلفة، وأقدمية مخطوطاته على مخطوطات النص الماسوري، وأنه الكتاب الذي اعتمده الإنجيليون، واستخلصوا منه نبوءاتهم فـ «الرب نفسه وكتبة العهد الجديد اقتبسوا مرارًا من الترجمة السبعينية .. وقد اقتبسوها كأقوال موحى بها، واعتبرت كالنص العبري، سواء بسواء»(٢) .

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٨/ ٧٨)، وقد سبق مخطوطة حلب مخطوط ينتمي للقرن التاسع ، وهو مخطوطة القاهرة، لكنه لا يحوي إلا أجزاء قليلة من العهد القديم.
(٢) مصادر الكتاب المقدس، القس صموئيل مشرقي، ص (٦٨)، وانظر: مخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية، القس إيميل ماهر إسحاق، ص (١٣).

وينقل الأب جورج سابا أن هناك من يرى بأن السبعينية ملهمة من الله، وأنه «شهد آباء الكنيسة الأولون أن جميع كنائس المسيح سارت على خطى الرسل متقبلة العهد القديم اليوناني، بل مضوا في القول: أن الروح القدس أراد نقل العهد القديم إلى اليونانية، وقاده خدمة للكنيسة جمعاء»[١].

٢- النص الماسوري ، وهو الأصل العبراني الذي أصدره العلماء الماسوريون في فلسطين، وبخاصة عائلتا ابن أشير وابن نفتالي في فلسطين في القرنين الميلاديين التاسع والعاشر، وأقدم مخطوطاته الموجودة اليوم مخطوطة «المتحف البريطاني» التي يعتقد أن كاتبها هو ابن أشير في النصف الأول من القرن الميلادي التاسع، ثم مخطوطتي القاهرة وبكرسبرج، ويحويان فقط أسفار الأنبياء، وكتبا في مطلع القرن العاشر الميلادي، ثم «مخطوطة حلب» التي يعتقد أنها أيضًا نسخت في القرن الميلادي العاشر، و«مخطوطة إيرفورد ٣ »، وترجع إلى القرن الميلادي الحادي عشر[٢]، ثم توالت مخطوطاته فيما بعد حتى وصلت إلى ما يربو على ٢٠٠٠ مخطوط.

وهكذا فيعاني النص الماسوري من تأخر مخطوطاته إلى قرون بعيدة جدًا عن المؤلفين الأصليين، والسبب في ذلك «أن اليهود دمروا كل النسخ التي تختلف عن

---

(١) على عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٧٧).

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين، ص (٨٤٦)، ومقدمة نسخة «الرهبانية اليسوعية» للعهد القديم، ص (٥٢)، وقاموس الكتاب المقدس، جورج بوست (٢/ ٢٤٣)، ومخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية، القس إيميل ماهر إسحاق، ص (٣٠-٣١).

النصوص الماسوراتية الأساسية، وحذوا في هذا حذو الخليفة عثمان»[١]، ولن نناقش هنا ما صنعه عثمان رضي الله عنه، فهذا خارج عن بحثنا، وإنما نشير إلى حقيقة مهمة، وهي اختفاء النصوص العبرية التي تعود إلى ما قبل القرن الميلادي التاسع.

وقد تولى العلماء اليهود دراسة النص الماسوري ، وأجروا تعديلات عليه حيث وجدوا حاجة لذلك، فقد «رأوا في اكثر من ١٣٠٠ عبارة من عبارات العهد القديم ضرورة تغيير النص المسلم به، ووضعه إما في (المكتوب غير المقروء) أو في (المقروء وغير المكتوب)، ووجدوا في ٢٢ عبارة أشياء محذوفة لم يستطيعوا إكمالها، فأشاروا إليها (بيسقا في منتصف الفقرة)، وإذا أمعنا النظر في قائمة التغييرات بين نص الماسورا وبين نسخة النصوص كما هي محفوظة في الأدب التلمودي والترجوميم نجد أن عدد هذه التغييرات يزيد على الآلاف، وحدثت هذه التغييرات في إبدال الحروف والنبر والأسماء، بل وإبدال عبارات كاملة تغير قصد النصوص»[٢].

وهكذا فقد تلبس النص الماسوري العديد من المشكلات التي تعقبها علماء النقد النصي التوراتي من اليهود ثم النصارى، ومن ذلك أن الراباي يونا بن جناح (ت١٠٥٥م) الذي اقترح تعديل العديد من الأسماء والأعداد التي رآها تبدلت بأخرى، علاوة على «العديد من الكلمات التي تبدلت بأخرى مشابهة لها في الصوت»، كما «كشف عن حروف وكلمات كثيرة نسخت من مكانها الصحيح، وتحركت إلى نصوص أخرى»[٣].

وكان المعلم البولندي يعقوب ريفمان «أول من كشف عن تحريفات في العهد

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٣٣).

(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٤٤).

(٣) المصدر السابق، ص (٦٠).

القديم نجمت عن الإيجاز، واستخدام الاختصارات .. وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعده»[١].

وقد تتابع العلماء اليهود على تسجيل اعتراضاتهم وتعديلاتهم على النص الماسوري، فالربي المفسر سعديا جاؤون الفيومي (ت ٩٤٢م) «لم يرفض الموافقة أحيانًا على وجود كلمات ناقصة في النصوص التي أمامنا، وأنها تحتاج تعديلات، كما أن التشكيل أحيانًا لم يكن كما ينبغي، ومن الضروري تعديله»[٢].

٣- النص السامري الذي حملته التوراة المعتبرة عند طائفة السامريين من اليهود .

وهذه النصوص الثلاثة متشابهة في عمودها الفقري ، لكنها مختلفة ومتناقضة في بعض التفاصيل الدقيقة.

كما يجدر أن ننبه إلى أمرين مهمين: أولهما : أن النص السبعيني اليوناني يزيد أسفار الأبوكريفا السبعة عن النص الماسوري العبري ، وثانيهما: أنهما يزيدان معًا عن النص السامري الذي لا يعترف إلا بالأسفار الخمسة .

---

(١) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٢١٩).

(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٦٥).

صور من الاختلاف بين النصوص التوراتية

تحدث النقاد عن صور الاختلاف بين هذه النصوص ، وطبقًا للحبر اليهودي كاهل فإن النص السامري يختلف عن النص اليوناني (في الأسفار الخمسة) بما يزيد على أربعة آلاف اختلاف ، ويختلف عن النص العبري القياسي (الماسوري) بما يربو على ستة آلاف اختلاف[١] .

وينتهي سفر أستير في توراة اليهود والبروتستانت العبرانية في الأصحاح (١٠ : ٣)، لكنه يستمر تسع صفحات في التوراة السبعينية (الكاثوليكية) ، وينتهي في الأصحاح (١٦ : ٢٤)، وأما نسخة الرهبانية اليسوعية الكاثوليكية فقد اكتفت بإضافة صفحتين : أولاهما : أضافتها على الأصحاح العاشر، والثانية : أضافتها في الفقرة الأولى من الأصحاح الخامس[٢] .

وينتهي سفر دانيال في التوراة العبرانية عند نهاية الأصحاح الثاني عشر ، فيما يمتد السفر في التوراة السبعينية (الكاثوليكية) ليشمل أصحاحين آخرين لم يسجلهما النص العبري ، الذي أهمل أيضًا صلاة عزريا ، والتي تربو على ثلاث صفحات ، ومحلها الأصحاح الثالث من السفر ، فيما بين الفقرتين ٢٣ و٢٤ من الأصحاح العبراني .

ونذكر بعض هذه الاختلافات للتمثيل ، لا الحصر :

* ونبدأ بالزيادة في قول إبراهيم في النص اليوناني الذي أثبتته نسخة الرهبانية

---

(١) انظر : برهان جديد يتطلب قرارًا، جوش ماكدويل، ص (١٢٦)، والمدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٥٢) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٤٥١).

(٢) انظر الرهبانية اليسوعية، ص (٩٣٧، ٩٤٥).

اليسوعية الكاثوليكية: « **الرب إله السماء وإله الأرض الذي أخذني من بيت أبي** » (التكوين ٢٤: ٧)، فقوله: « **وإله الأرض** » لم يرد في النص العبري القياسي «الماسوري»، لذا حذفته نسخة الفانديك وغيرها من النسخ العالمية.

❋ وكذلك نقرأ في النص الماسوري العبري: « **باركني أنا أيضًا يا أبي ، ورفع عيسو صوته** » (التكوين ٢٧: ٣٨)، لكن النص السبعيني اليوناني يضيف عبارة لا نجدها في العبري «**فاضطرب إسحاق**»، وهي عبارة أظهرتها نسخ حديثة بترجمة مغايرة « **وبقي إسحاق صامتًا** » ، ليصبح النص فيها: « **باركني أنا أيضًا يا أبي، وبقي إسحاق صامتًا ، ورفع عيسو صوته** » ، وهكذا انقسمت النسخ العربية والأجنبية ، إلى حاذف ومثبت، تبعًا للنص العبري أو النص اليوناني .

❋ وأيضًا لما تحدثت الأسفار التوراتية عن اغتصاب أمنون لأخته ثامار حسب مشورة من تسميه التوراة الحكيم جدًا يوناداب، وبلغ الخبر داود ، تقول التوراة العبرانية الماسورية ، وهي تصف شعوره : « **لما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدًا** » (٢ صموئيل ١٣: ٢١).

أما التوراة السبعينية ، فتقول : «**فاغتاظ جدًا ، ولكنه لم يُحزن نفس أمنون ابنه ، لأنه كان يحبه ، إذ كان بكره** » ، وهذه العبارة أسقطتها النسخ الماسورية العبرانية ، ولعل العلماء الماسوريين رأوا أن من غير المناسب أن يقابل أب خبر اغتصاب ابنه لأخته بهذه اللامبالاة ، وبمثل هذا التعليل البارد .

❋ وتدخل مترجمو النص السبعيني اليوناني في أحيان كثيرة بغرض إصلاح النص وتصحيح أخطائه، ومنه صنيعهم في قصة خيانة أبشالوم لأبيه داود ، فقد كتب العبرانيون: «**وفي نهاية أربعين سنة** [أي من عودته من جشور] **قال أبشالوم للملك : دعني فأذهب وأوفي نذري الذي نذرته للرب**» (٢ صموئيل ١٥: ٧) ، ولأن قوله :

«**أربعين سنة**» عبارة غير صحيحة ، فإن بعض الدارسين – كما تنقل دائرة المعارف الكتابية – يرى أن الأصح أن نقرأ (٢ صموئيل ١٥ : ٧) على أنها أربع سنوات كما جاءت في النسخ السريانية والسبعينية ، وليست « **أربعين سنة**»[١]، وهكذا نقرأ في النسخ التي تبعت في هذه الفقرة النص السبعيني اليوناني ـ كالرهبانية اليسوعية ـ : «**وبعد انقضاء أربع سنوات قال أبشالوم للملك : دعني أنطلق إلى حبرون لأوفي نذري الذي نذرته للرب** »، وهكذا يطرح السؤال نفسه : من الذي أعطى مترجمي التوراة السبعينية وغيرهم الحق في تصحيح أخطاء كلمة الله ؟ ولماذا لم يعصم الروح القدس مؤلفي التوراة العبرانية من هذا الخطأ التاريخي؟

* وينقل النص السبعيني أن يونس عليه السلام أنذر أهل نينوى بعذاب يأتيهم خلال ثلاثة أيام (انظر: يونان ٣: ٤)، مخالفًا النص الماسوري العبري الذي يزيد تلك الأيام إلى أربعين يومـاً[٢].

ويتحدث سفر أخبار الأيام عن «أشحور» ، فيذكر النص الماسوري العبري أنه ولِد بعد وفاة أبيه حصرون في مدينة «كالب أفراته»، وأن أمه هي «أبياه»، فيقول: « **وبعد وفاة حصرون في كالب أفراتة ولدت له أبيّاه امرأة حصرون أشحور** » (١ أخبار ٢: ٢٤).

لكن النص السبعيني يختلف تمامًا في قراءته ، فقد جعل اسم أم أشحور «أفراته»، وليس «أبياه» ، وعليه لم يعد (أفراته) اسمًا لمكان ، كما جعل «أشحور» ابنًا لكالب بن حصرون ، فتحول اسم (كالب) إلى اسم رجل بعد أن كان اسمًا لمكان ، تقول دائرة المعارف الكتابية : « وترد هذه الفقرة في الترجمة السبعينية على

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٢٧).

(٢) حوار مع تريفون، للقديس يوستينوس. النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص (٢٧٦).

النحو التالي : (**وبعد موت حصرون ذهب كالب إلى أفراتة امرأة حصرون أبيه ، فولدت له أشحور**) »[١]، وهو كذلك في نسخة الرهبانية اليسوعية.

وأما الترجمة العربية المشتركة ، وهي نسخة تتبع النص النقدي فلمحرريها رأي آخر ، وهو أن كالب تزوج ابنة أفراته ، وليس أفراته زوجة أبيه : « **وبعد وفاة حصرون تزوج كالب ابنة أفراتة امرأة أبيه ، فولدت له أشحور**» ، فأي هذه القراءات المتنافرة هو القراءة الصحيحة لما كتبه كاتب سفر أخبار الأيام المجهول!

* وأيضًا تحدث الماسوريون عن موقف المصريين من رسالة موسى لما رأوا معجزاته ، فقد «**أرسل ظلمة ، فأظلمت ، ولم يعصوا كلامه**» (المزمور ١٠٥: ٢٨)، وادعاء طاعة المصريين لموسى وإيمانهم به خطأ ولا ريب، وقد تنبه له مترجمو السبعينية، فأصلحوه ، أو بالأحرى لم يقعوا به، وكتبوا: «**وعصوا كلامه**»، وهو ما جعل القس وهيب جورجي يعترف بـ «ما بين النصين من تناقض .. لهذا يرجح البعض أن نفي العصيان في النص العبري ينسب إلى جامع السفر، أو ناتج عن تداول نقله من نسخة إلى أخرى»[٢]، ولم تختف الحيرة بين النصين من التراجم العالمية ومنها العربية التي انقسمت بين مثبت لما جاء في السبعينية «**عصوا كلامه**» كالكتاب الشريف وكتاب الحياة والنسخة القياسية المراجعة الإنجليزية (*R S V*)، وبين موافق للنص الماسوري العبري «**ولم يعصوا كلامه**» كالفانديك والرهبانية اليسوعية والملك جيمس الإنجليزية.

* وأيضًا جاء في التوراة الماسورية العبرانية « **وقال قابيل لهابيل أخيه ، ولما**

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٣٠٥) و (٦/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٢٣١).

صارا في الحقل قام قابيل » (التكوين ٤ : ٨) ، ولم يذكر فيه مقال قابيل ، بينما جاء النص تامًا في التوراة السامرية والسبعينية ، وفيه « **قال : نخرج إلى الحقل** »، وتسللت هذه الزيادة إلى نسخ عربية كالترجمة العربية المشتركة والأخبار السارة، وكذلك إلى نظيراتهما من النسخ الأجنبية .

* ومما زاد به النص الماسوري والسبعيني عن النص السامري الآيات العشر الأُوَل في الأصحاح الثلاثين من سفر الخروج ، وقد بدأ الأصحاح الثلاثون في التوراة السامرية بالفقرة ١١ .

* ومما زادت به التوراة السامرية ، وهو غير موجود في النصين الماسوري العبري والسبعيني اليوناني: « **كانت كل أيام سام ستمائة سنة ومات** » (التكوين ١١ : ١١).

* ومن زيادات التوراة السامرية عن العبرانية الماسورية التي يعتمدها البرتستانت والسبعينية التي يعتمدها الكاثوليك ما وقع بين الفقرتين ١٠-١١ من (العدد ١٠) ، وفيه : « **قال الرب مخاطبًا موسى : إنكم جلستم في هذا الجبل كثيرًا ، فارجعوا ، وهلموا إلى جبل الأمورانيين وما يليه إلى العرباء ، وإلى أماكن الطور والأسفل قبالة التيمن ، وإلى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان ، وإلى النهر الأكبر نهر الفرات ، هُوذا أعطيتكم فادخلوا ، ورِثوا الأرض التي حلف الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ، ولخلفكم من بعدكم** » (العدد ١٠ : ١٠) ، فهذا النص لا أثر له في التوراتين: الماسورية العبرانية، والسبعينية اليونانية .

* ومثله ما وقع في النص السامري في (الخروج ١١) بين الفقرتين ٣-٤ ، وهو محذوف من هذا الموضع في النص الماسوري العبري والنص السبعيني اليوناني ، وفيه : «**وقال موسى لفرعون : الرب يقول : إسرائيل ابني ، بل بكري ، فقلت لك : أطلق ابني ليعبدني ، وأنت أبيت أن تطلقه ، ها أنا سأقتل ابنك بكرك** » (الخروج ١١ :

٧) ، ومثله في (الخروج ٩: ١-٣) .

* ومن صور الاختلاف بين نسخ التوراة الخلاف المشهور بين السامريين والعبرانيين في الجبل المقدس الذي أمر الله ببناء الهيكل فيه ، فالعبرانيون يقولون : جبل «عيبال»، لقوله : « **تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال** » (التثنية ٢٧: ٤)، وفي التوراة السامرية والترجمة اللاتينية أن الجبل المقدس هو «جرزيم» : « **تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جرزيم** »، وهو ما اختاره الآباء اليسوعيون في نسختهم الرهبانية اليسوعية، ونبهوا في الحاشية أنهم يتبعون النص السامري «لعل النص السامري هو النص القديم الذي بُدِّل بسبب الجدال الذي قام للرد على السامريين الذين كان مكان عبادتهم على جبل جرزيم ، وهو التقليد القديم»[١].

* وعند دراسة أعمار الآباء في الأصحاح الخامس من سفر التكوين حسب التوراة الماسورية العبرانية يفهم منه أن طوفان نوح حصل بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم، فيما تجعله التوراة السبعينية اليونانية سنة ٢٢٦٢ ، والسامرية ١٢٠٧[٢]، فكيف يجمع بين النصوص الثلاثة؟ وأيها يحمل كلمة الله الحقة؟

* ومثله الخلاف في مقدار الزمن بين الطوفان وولادة إبراهيم ، فإنه في التوراة الماسورية العبرانية ٢٩٢ سنة ، وهو في السبعينية ١٠٧٢ سنة ، وفي السامرية ٩٣٢ سنة.

* ثم حسب النص العبراني فإن ميلاد المسيح كان سنة ٤٠٠٤ من خلق آدم ، وهو في السبعيني سنة ٥٨٧٢ ، وفي النص السامري ٤٧٠٠، وقد جرى في هذه

(١) انظر : حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٩٨).

(٢) انظر : مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، سمعان كلهون ونخبة من اللاهوتيين، ص (٥٦٩-٥٧٦).

المواضع المتعلقة بأعمار الآباء الأوائل التوفيق بين النص اليوناني والعبراني ، باعتماد النص الذي ترجمه جيروم (الفولجاتا) في الطبعات الحديثة من التوراة التي يعتمدها الأرثوذكس والكاثوليك .

❊ ومثله ما جاء في المزامير بحسب النص الماسوري العبري : « **قدموا للرب مجدًا وعزًا** » (المزمور ٢٩ : ١) ، والنص كما نقلت الرهبانية اليسوعية في هامشها أنه في الترجمتين اليونانية واللاتينية : «**قدموا للرب صغار الكباش**»[١]، فأي تناسب بين المجد والعز وبين صغار الكباش أو حتى كبارها !

❊ وفي المزمور (١١٨) يقول المترنم عن أعدائه : « **أحاطوا بي مثل النحل ، انطفأوا كنار الشوك** » (المزمور ١١٨: ١٢) ، وهو في النسخة السبعينية اليونانية : «**اشتعلوا** » ، كما بينت الرهبانية اليسوعية في حاشيتها[٢]، وشتان شتان بين الاشتعال والانطفاء ، فما رأي المؤمنين بهذه النصوص؟

❊ ويخلط المترجمون أحيانًا بين (الله) وملائكته وشعبه، ففي النص الماسوري العبري: «**فرق بني آدم نصب تخومًا لشعوب حسب عدد بني إسرائيل**» (التثنية ٣٢: ٨)، وترجمها السبعينيون : «**بحسب عدد ملائكة الله**» كما نقل ذلك القديس يوستينوس (ت ١٦٥م) في «حوار مع تريفون»[٣]، ثم اختلفت من بعدهم النسخ الكتابية الحديثة بين قائل: «**بني إسرائيل**» كنسخة الفانديك والعربية المشتركة

(١) انظر : حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (١١٥٢).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (١٢٧٦).

(٣) انظر: النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص (٣٠٧).

والأخبار السارة، وبين قائل: «**ملائكة الله**»، كنسخة الإنجيل الشريف، وقائل: «**بني الله**» كالرهبانية اليسوعية وغيرها[(١)].

وبعد هذا نقرأ – وفي كل النسخ – في آخر صفحة من صفحاتها وعيدًا شديدًا لأولئك الذين يزيدون وينقصون في كلمة الله «**لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب ، إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوّة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة**» (الرؤيا ٢٢: ١٨-١٩)، فهل سيزيد الله الضربات المكتوبة على الكاثوليك والأرثوذكس الذين زادوا في كتابهم أسفار الأبوكريفا السبعة وغيرها مما زادوه في الكتاب ، أم أن الله سيحذف أسماء البروتستانت من سفر الحياة لما حذفوه من كلمة الله التي يصر المؤمنون بها من الفريقين على أنها لا تزول ولا تتبدل « **وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد** » (إشعيا ٤٠ : ٨)!

ولنا أن نقول : أي هذه النصوص المختلفة كلمة الله ؟ وما الدليل الذي يقدم توراة العبرانيين الماسورية (البروتستانت واليهود) على توراة السامريين أو على التوراة اليونانية السبعينية أو اللاتينية المترجمة عنها (الكاثوليك) ، فيجعل هذه مقدسة وتلك محرفة ؟ ﴿ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة :١١١] .

---

(١) ولرؤية المزيد من الصور والاختلافات بين النص السبعيني اليوناني والنص الماسوري العبري ندعو القارئ للمقارنة بين نسخة الشرق الأوسط (البروتستانتية) ونسخة الرهبانية اليسوعية (الكاثوليكية) التي تميل في عشرات المواضع إلى تصحيح النص العبراني من النص السبعيني ، ومنها (التثنية ٣٢: ١٤ ، ٤٣ ، يشوع ١٥: ٥٩ ، ١ صموئيل ١: ٢٤ ، ١٤: ٤١ ، المزمور ٨٠: ١٥ ، ١٠٥: ٢٨ ، ١٤١: ٧ ، راعوث ١: ١٤).

ونتساءل : هل يمكن أن نستعيد النص الأصلي للتوراة من خلال الجمع بين هذه النصوص المختلفة ، والتساؤل نفسه تطرحه مقدمة الرهبانية اليسوعية في مقدمتها للكتاب المقدس: « أي صيغة من النص تختار؟ أو بعبارة أخرى: كيف الوصول إلى نص عبري يكون أقرب نص ممكن إلى الأصل؟» .

وتجيب المقدمة بالقول: «الحل العلمي الحقيقي يفرض علينا أن نعامل الكتاب المقدس كما نعامل جميع مؤلفات الحضارة القديمة ، أي أن نضع شجرة النسب لكل ما نملكه من الشهود ، بعد أن نكون قد درسنا بدقة فائقة مجمل القراءات المختلفة : النص الماسوري ، ومختلف نصوص قمران ، والتوراة السامرية ، والترجمات اليونانية السبعينية، وغير السبعينية ، وترجمات الترجوم الآرامية ، والترجمات السريانية ، والترجمات اللاتينية القديمة .. الخ ، وبهذه المقارنات كلها نستطيع أن نستعيد النموذج الأصلي الكامن في أساس جميع الشهود ، والذي يرقى عادة إلى حوالي القرن الرابع قبل المسيح »(١) .

إن غاية ما يمكن أن نصل إليه فيما لو جمعنا كل هذه النصوص ، أن نوفق في الوصول إلى نص يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، أي إلى نص كتب بعد موسى بألف سنة ، أما استعادة النص الذي كتبه موسى عليه السلام فهذا ما لا يدور في خلد أحد الحديث عنه، فدونه خرط القتاد .



(١) مقدمة العهد القديم في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٥٣).

مخطوطات الكتاب المقدس

يفخر النصارى اليوم بوجود الآلاف من المخطوطات للكتاب المقدس تملأ جنبات المكتبات العالمية وتزين خزائنها، وهو أمر صحيح لا مراء فيه ولا ريبة ، مع ضرورة تنبيه القارئ إلى أن الكثير من هذه المخطوطات لا يعدو أن يكون بضع صفحات فقط.

لكن الأهم هو أن هذه الآلاف من المخطوطات لا يعرف كاتبها ، ولا يدرى عن مدى موثوقيته وأمانته وتمكنه من عمله ، وسيفجأنا أن نعلم أن هذه المخطوطات لا يوجد فيها مخطوطان متطابقان ، ونكتفي هنا بنقل شهادة دائرة المعارف الأمريكية، إذ تقول: «لم يصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم ، أما النصوص التي بين أيدينا ، فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ، ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا ـ بقصد أو دون قصد منهم ـ في الوثائق والأسفار، التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها ونقلها .

وقد حدث التغيير دون قصد حين أخطؤوا في قراءة بعض الكلمات .. كذلك حين كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحيانًا ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها .

وأما تغييرهم في النص الأصلي عن قصد فقد مارسوه في تحوير فقرات كاملة ، حين كانوا يتصورون أنها كتبت خطأ في الصورة التي بين أيديهم ، كما كانوا يحذفون بعض الكلمات أو الفقرات ، أو يضيفون على النص الأصلي فقرات توضيحية ..

ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن أسفار العهد القديم لم تتعرض للأنواع العادية من الفساد في عملية النسخ ، على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفارًا

مقدسة »[١].

وكان الأب جيروم قد سبق إلى التنبيه على أخطاء النساخ وتدخلاتهم في النص حين قال: «ولا يجرحنك أسلوب عامي، فلعل ذلك عائد إلى هفوة مترجم أو أسلوب ناقل، أحب أن يجعلها في متناول عامة الناس، فيفهمَها ولو بشكل متفاوت عالمٌ وجاهل»[٢].

وكثرة الفوارق بين المخطوطات ليس كل شيء، فهذه المخطوطات في جملتها ضعيفة القيمة من الناحية العلمية ، ويتضح هذا إذا علمنا أن موسى عليه السلام عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، فيما أقدم المخطوطات التوراتية يعود لما بعد ميلاد المسيح ـ إذا استثنينا مخطوطات قمران المكتشفة حديثًا والتي تحوي على أجزاء متناثرة من معظم أسفار العهد القديم، وتعود للقرن الثاني قبل الميلاد ـ أي أن بين هذه المخطوطات وبين موسى ما يقارب الثلاثة عشر قرنًا فقط، بينما يمتد الفارق بين مخطوطات النص الماسوري العبري المعتمد اليوم وبين موسى عليه السلام لما يربو على ألفي سنة!

يقول حبيب سعيد: «إن فترة تربو على الألف عام تفصل بين تاريخ أقدم مخطوطة عبرية وبين تاريخ كتابة آخر سفر من أسفار العهد القديم، وهناك أيضًا فترة أخرى لا تقل عن ألف سنة بين كتابة أول فقرة في أول سفر من أسفار الكتاب المقدس وبين تأليف آخر سفر من أسفار الكتاب، فكأن فترة ألفين من السنين تفصل بين أول

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص (٣٨ – ٣٩) ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص (١٠١ – ١٠٢).
(٢) رسائل القديس هيرونيمس (جيروم) (١/ ٩٦).

كتابة لأسفار الكتاب المقدس وبين أول مخطوطة عبرية »[١].

وأما أول المخطوطات التوراتية اليونانية فتعود إلى القرون الأولى بعد ميلاد المسيح، أي يفصلها عن زمن موسى عليه السلام فقط ١٧٠٠ سنة!، ولبيان هذا نذكر أقدم المخطوطات الكتابية ، ونوضح أقدم تاريخ مفترض لكتابتها .

* مخطوطات قمران والمكتشفة حديثًا ، وترجع للقرن الثاني والثالث قبل الميلاد . واكتشفت عام ١٩٤٧م بجوار البحر الميت، وما يزال الغموض يلف حقيقة هذه النصوص.

* مخطوطة بردي جون ريلندز ، وفيها ما يساوي الخمس صفحات من سفر التثنية ، وقد كتبت في القرن الثاني قبل الميلاد .

* مخطوطة شيستر بيتي التي عثر عليها عام ١٩٢٩م ، وتتضمن أجزاء من تسعة أسفار من أسفار العهد القديم ، وقد كتبت بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين .

* مخطوطات برلين التي يعتقد أنها كتبت في القرن الميلادي الثالث ، وتضم مخطوطة فيها أجزاء من سفر التكوين ، وأخرى حملت إلينا أسفار الأنبياء الاثني عشر، وثالثة تضم بعض المزامير وسفر الأمثال .

* المخطوطة الفاتيكانية (محفوظة في الفاتيكان) ، وتعتبرها مقدمة الرهبانية اليسوعية أجلّ المخطوطات اليونانية لأنها تحوي العهد القديم كاملًا ، وقد عثر عليها عام ١٤٨١م ، وتعود إلى القرن الرابع الميلادي .

* المخطوطة السينائية ، وتعود للقرن الرابع أو الخامس الميلادي ، وتضم

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٤٤).

أجزاء من سفر التكوين وأسفارًا من أسفار الأنبياء والحكمة ، إضافة إلى أسفار الأبوكريفا .

* المخطوطة السكندرية، وقد حفظت هذه النسخة في المتحف البريطاني في لندن، وتعود إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي ، وتحوي أسفار العهد القديم إضافة إلى بعض أسفار الأبوكريفا كمزامير سليمان[١] .

أمثلة لأخطاء النساخ وتلاعبهم بالنص

وكمثال لما ذكره المحققون والنقاد من إضافات النساخ وأخطائهم نسوق بعض الأمثلة :

* ونبدأ بما جاء في سفر صموئيل من إدراج للناسخ وسهو في مكان إدراجه ، حيث يقول السفر متحدثًا عن قصة ذهاب شاول وغلامه إلى النبي صموئيل : « **فعاد الغلام وأجاب شاولَ ، وقال : هوذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة ، فأعطيه لرجل الله ، فيخبرنا عن طريقنا ، سابقًا في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله : هلم نذهب إلى الرائي ، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقًا : الرائي ، فقال شاول لغلامه : كلامك حسن ، هلم نذهب ، فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله ، وفيما هما صاعدان في مطلع المدينة صادفا فتيات خارجات لاستقاء الماء ، فقالا لهنّ : أهنا الرائي ؟ فأجبنهما وقلن : نعم ، هوذا هو أمامكما** » (١ صموئيل ٩ : ٨-١٢) .

فقوله: « **سابقًا في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله : هلم**

---

(١) انظر : المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٥٦-٥٨) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٤٦-٨٤٨).

نذهب إلى الرائي ، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقًا : الرائي » توضيح من الناسخ لمعنى: «الرائي» ، هذا التوضيح ليس من كاتب السفر «صموئيل» (كما يقولون) ، بل هو لناسخ متأخر أدرك الغموض الذي سيواجهه قارئ السفر بعد أن اندثر استخدام كلمة (الرائي) منذ زمن بعيد ، فقد ندر استخدام هذه الكلمة بعد صموئيل ، ولم تعد للاستعمال إلا في أيام الملك عزيا (انظر: عاموس ٧: ١٢)، فأراد بيان معناها لقرائه، ولم يدر في خلده أن الأجيال اللاحقة ستعتبرها من وحي الله!![1] .

فكيف أضحت هذه الزيادة من الناسخ جزءًا من الوحي وفقرة من فقرات من الكتاب المقدس؟ ومن الذي منح القداسة لما كتبه هذا الناسخ؟

ومن المهم أيضًا أن نلاحظ أن هذا المقطع المدرج من الناسخ لم يرد في موضعه الصحيح ، بل ظهر في الفقرة التاسعة بلا مقدمات ولا معنى ، وسببه أن الناسخ قفزت عينه سطرين ، فوضع إضافته قبل مجيء محلها ، فالمفروض أن يكون تفسير كلمة «الرائي» بعد ورودها في الفقرة العاشرة ، فالنص لابد وأن يعاد ترتيب عباراته ، ليستقيم المعنى ، فيكون كالتالي : « **فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله ، وفيما هما صاعدان في مطلع المدينة صادفًا فتيات خارجات لاستقاء الماء ، فقالا لهنّ : أهنا الرائي ؟** (سابقًا في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله : هلم نذهب إلى الرائي، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقًا : الرائي) ، **فأجبنهما وقلن : نعم ، هوذا هو أمامكما** » ، وبهذا فقط يستقيم النص المدرج من الناسخ مع بقية عبارات السفر .

* ومن أخطاء النساخ أن فقرة علاج النبي إشعيا للملك حزقيا من قروحه بأقراص التين (إشعياء ٣٨: ٢١-٢٢) وردت في غير محلها من القصة، إذ السياق

---

(١) انظر : رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ص (٢٦٧).

يقتضي أن توضع بعد (إشعيا ٣٨: ٧)، وهو خطأ لم يقع به النساخ وهم يروون نفس القصة في سفر (٢ ملوك ٢٠)، فقد وضعوها في محلها (٢ ملوك ٢٠: ٧-٨).

* وفي ثنايا سفر صموئيل الأول وردت كلمة «الجلجال» مرتين ، فأخطأت عين الناسخ الأُولى منهما ، فأثبت الثانية فقط ، وسها عن الأولى وما بعدها في السياق ، يقول: « **وقام صموئيل ، وصعد من الجلجال إلى جبعة بنيامين** » (١ صموئيل ١٣: ١٥) ، وقد تنبه المترجم اليوناني إلى وجود السقط فأثبته ، وهو في نسخة الرهبانية اليسوعية هكذا : « **وقام صموئيل ، وصعد من الجلجال ، ليمضي في سبيله ، وصعد بقية الشعب وراء شاول لملاقاة الشعب المحارب ، وذهب من الجلجال إلى جبع بنيامين** » ، وكتب الآباء اليسوعيون في الهامش: «نتبع النص اليوناني، لأن النص العبري أسقط الكلمات بين «الجلجال» الأول و«الجلجال» الثاني»[١].

* ومثله سواء بسواء؛ صنع الناسخ في سفر الملوك ، حين تكررت في السياق كلمة « **فأرسل** » مرتين ، فأثبت الثانية منهما فقط ، وحذف ما بينها وبين الأولى ، وذلك في قوله : « **هرب إلى خيمة الرب وها هو بجانب المذبح ، فأرسل سليمان بناياهو بن يهوياداع** » (١ ملوك ٢ : ٢٩) ، وقد تنبه مترجمو السفر إلى اليونانية للسقط فأكملوه، فنقرأ في نسخة الرهبانية اليسوعية: « **هرب إلى خيمة الرب ، وأنه بجانب المذبح ، فأرسل سليمان إلى يوآب قائلًا : ما بالك هربت إلى المذبح ؟ فقال يوآب : لأني خفت من وجهك ، فهربت إلى الرب . فأرسل سليمان الملك بنايا بن يوباداع** »، وكتبوا في الهامش: «عن النص اليوناني، فإن النص العبري قد أسقط الجملة من

---

(١) انظر: هامش نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٥٤٤).

«**أرسل**» الأولى إلى «**أرسل**» الثانية»[١].

ومن أمثلة هذا النوع من الأخطاء النسخية ما صمد أمام كل التنقيحات، فتجدها في كل الطبعات، وكل الترجمات، وكل النسخ!!

* ففي الأصحاح ٨ من سفر أخبار الأيام الأول حديث مسهب عن جبعون ثم نير ونسله (انظر ١ أخبار ٨: ٢٩-٣٨)، وقد أعاده كاتب السفر بتمامه مع بعض الزيادات البسيطة في الأصحاح ٩ (انظر ١ أخبار ٩: ٣٥-٤٤) ، ولا يعقل ولا يفهم افتراض أن المؤلف أعاد ما ذكره قبل صفحتين ، لذلك يعتقد المحققون أنه خطأ ناسخ سببه تكرار عبارة «**هؤلاء سكنوا في أورشليم**»، فقد التبست عليه ، ولم يتنبه إلى أنها وردت مرتين في (٨: ٢٨) و(٩: ٣٤).

ولم ينتبه النساخ اللاحقون والمترجمون لهذا الخطأ، فأثبتوه في نسخهم وترجماتهم ، لنقف على مقدار نباهتهم ومدى اهتمامهم بما ينسخون!!

وإذا قارنا بين النصين نقف على الحرية والدقة التي تمتع بها الناسخون في نقلهم عن النسخة التي بين أيديهم بعد تجاوز بعض الفروقات البسيطة التي مردها تشابه الحروف العبرانية، والتي لم يستطع الناسخ التمييز بينها (**רפה** رافه، **רפיה** رفايا) (**זכר** زاكر، **זכריה** زكريا) (**שמאה** شماه، **שמאם** شمام)، فبين الصفحتين اللتين يفترض أن الناسخ ينسخهما من مصدر واحد فروق مهمة، ففي أخبار ٨ نسي الناسخ ثلاث كلمات (يعوئيل، نير، مغلوث) استدركها وهو يكتب في الأصحاح ٩.

وكذلك غيَّر الناسخ هجاء بعض الكلمات، ففي حين كتب في الأصحاح ٨ (**יהועדה** يهوعده)، فقد أعاد كتابتها في ٩ (**יערה** يعره)، وبينما كتب في الأصحاح ٨

(١) انظر: هامش نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٦٣٢).

(**תארע** تاريع)، وأعاد كتابتها في ٩ (**תחרע** تحريع).

وإذا شئنا تبرئة الناسخ من تهمة الإهمال والتبديل؛ فإنا – ولا ريب - سنلقي باللائمة على المؤلف الملهَم الذي نسي أنه كتب هذه المعلومات قبل صفحة واحدة، أو على الروح القدس الذي زعموا أن النص كُتب بإشرافه وإلهامه!!

* كما يمكننا المقارنة بين سفر المزامير ١٨ وسفر صموئيل الثاني ٢٢، فكلاهما ينقلان – بتطابق كبير– نشيدًا قاله داود يوم نجاته من شاول، من غير أن يكون لهذا التكرار أي داع أو فائدة ، إلا أن يكشف لنا عما تمتع به النساخ في جرأة في تبديل الألفاظ وتغييرها.

ولسوف أهمل ذكر التوافقات الكبيرة التي بين السفرين فهي تحصيل حاصل لكتابين ينقلان ترنيمة واحدة، فيفترض أن يتطابقا في نصها تمامًا، وسأكتفي هنا بنقل ثمانية فروق بين النصين المقدسين اللذين يجمعهما كتاب واحد، هو العهد القديم:

١ . يقول سفر صموئيل: « **أمواج الموت اكتنفتني**» (٢ صموئيل ٢٢: ٥)، بينما يقول سفر المزامير: «**اكتنفتني حبال الموت**» (المزمور ١٨ : ٤).

٢ . وحين يقول صموئيل: «**أسس السماوات ارتعدت وارتجت**» (٢ صموئيل ٢٢: ٨)؛ يقول سفر المزامير : «**أسس الجبال ارتعدت وارتجت**» (المزمور ١٨ : ٧).

٣. وحين تحدث سفر صموئيل عن الله ذكر أنه: «**رئي على أجنحة الريح**» (٢ صموئيل ٢٢: ١١)، بينما عدل سفر المزامير عن الرؤية ، وقال: «**وهفَّ على أجنحة الرياح**» (المزمور ١٨: ١٠).

٤ . وقال صموئيل: « **جعل الظلمة حوله مظلات، مياها حاشكة**» (٢ صموئيل ٢٢: ١٢)، فجعلها كاتب سفر المزامير : «**جعل الظلمة ستره. حوله مظلته ضباب المياه**» (المزمور ١٨: ١١).

٥. وإذ يقول صموئيل: « **من الشعاع قدامه اشتعلت جمر نار**» (٢ صموئيل ٢٢: ١٣)، فإن سفر المزامير يقول: «**من الشعاع قدامه عبرت سحبه، برد وجمر نار**» (المزمور ١٨: ١٢).

٦. وحين يقول سفر صموئيل: « **والعلي أعطى صوته**» (٢ صموئيل ٢٢: ١٤)، قال المزمور : « **والعلي أعطى صوته، بردًا وجمر نار**» (المزمور ١٨: ١٣).

٧. ولما قال سفر صموئيل: « **برقًا فأزعجهم**» (٢ صموئيل ٢٢: ١٥)؛ زاد سفر المزامير كلمة (كثيرة)، فقال: « **وبروقًا كثيرة فأزعجهم**» (المزمور ١٨: ١٤).

٨. وقال سفر صموئيل: « **وتجعل لي ترس خلاصك، ولطفك يعظمني**» (٢ صموئيل ٢٢: ٣٦)، فزاد سفر المزامير عبارة : (ويمينك تعضدني)، ليصبح النص: «**وتجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضدني، ولطفك يعظمني**» (المزمور ١٨: ٣٥).

والمقابلة بين السفرين في هذا النشيد تظهر سطوة النساخ على النص التوراتي وما تعرض له من تحريف وتبديل، أضاع بعض عباراته، أو أضاف إليه ما ليس منه، أو تبدلت بعض كلماته على أيديهم تصحيحًا منهم للمعنى أو بسبب تشابه الكلمات.

* وأحيانًا يخطئ الناسخ في قراءة كلمة ، فيتغير معنى النص وسياقه بسبب خطئه، ففي سفر صموئيل يقول : «**وكان داود يتوق إلى الخروج إلى أبشالوم ، لأنه تعزّى عن أمنون حيث إنه مات**» (٢ صموئيل ١٣: ٣٩) ، وليس في الأصل كلمة «**داود דוד**»، بل كلمة «**روح רוח**» ، التي تشبهها في صورة الكتابة العبرية ، وقد نبهت الرهبانية اليسوعية على هذا الخطأ ، وصححته ، وغيَّرت السياق بموجبه ، فأضحى النص فيها : « **وكف روح الملك عن الغضب على أبشالوم ، لأنه تعزى عن موت أمنون**».

* ومن أخطاء النُّساخ نسبتهم يهوناثان إلى منسى: « **كان يهوناثان ابن**

جرشوم بن منسّى هو وبنوه كهنة لسبط الدانيين » (القضاة ١٨: ٣٠) ، والصحيح أن يهوناثان حفيد موسى عليه السلام المذكور في (١ أخبار ٢٣: ١٥) ، وأن كلمة « **מנשה** منسى» خطأ ناسخ وقع به لتشابهه في الكتابة العبرية مع اسم « **משה** موسى» ، وقد تنبه الآباء اليسوعيون لهذا الخطأ ، فأصلحوه في نسختهم الرهبانية اليسوعية ، فقالوا : « **وكان يوناثان بن جرشوم بن موسى ..** » .

❋ ومن أغلاط النساخ قول كاتب سفر القضاة « **كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين** » (القضاة ٣: ٨) ، فالملك كوشان لم يكن ملكًا على أرام النهرين الواقعة في العراق وسوريا ، بل كان ملكًا على مملكة أدوم الواقعة في الأردن جنوب البحر الميت [١].

وقد تنبه محققو الرهبانية اليسوعية للخطأ ، فصححوه « **كوشان رشعتايم ملك أدوم** » ، وكتبوا في الحاشية : (في النص العبري « **ملك أرام النهرين** » ، والراجح أنه قد وقع التباس بين «أرام» و«أدوم »)[٢]، وذلك لتشابههما في الكتابة العبرية **(أدوم אדום)، (أرام ארם).**

❋ وهذا اللبس بين «أرام **ארם** » و«أدوم **אדום**» تكرر في مواضع أخرى (انظر : ٢ ملوك ٣: ٢٦ ، ٢ ملوك ١٦: ٦ ، ٢ أخبار ٢٠: ٢) ، وقد تنبه الآباء اليسوعيون في

---

(١) للتفريق بين «أرام» و«أدوم » نرجع لقاموس الكتاب المقدس ، فإقليم «أدوم» يقع حاليًا في الأردن ، لأنه « يمتد مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة ، على جانبي غور العربة .. وكانت سالع عاصمة أدوم قديمًا ، ثم تغير اسمها فيما بعد إلى البتراء.. » ، وأما أرض «أرام» فتقع فيما يسمى اليوم سوريا ، وكانت « تمتد من جبال لبنان في الغرب إلى ما وراء الفرات في الشرق ، ومن جبال طوروس في الشمال إلى دمشق وما وراءها في الجنوب » انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (٣٩، ٤٢).

(٢) انظر هامش نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٤٧٢).

نسخة الرهبانية اليسوعية إلى الخلل في هذه المواضع ، فأصلحوه ، وكذا صنع محققو الترجمة العربية المشتركة ، بينما بقي المؤمنون باستحالة وجود خطأ في الكتاب يقرؤون نسخًا أخرى من الكتاب كالفانديك (الأشهر عند المسيحيين العرب، والملك جيمس عند الناطقين بالإنجليزية) من غير أن يلحظوا القراءات الخاطئة التي وقع فيها نساخ مخطوطات الكتاب المقدس ، الذين كثيرًا ما أخطؤوا بقراءة بعض الحروف ، لتختلف المعاني ، ويضيع على المؤمنين بها الصحيح .

وليس من كبير عجب أن تخلط النسخ الكتابية المختلفة بين «أرام» و«أدوم» ، لكن العجب أن يقع ذلك في نسخة واحدة ، ففي حديث حديث سفر صموئيل عن حروب داود يقول: « **وهذه أيضًا قدسها الملك داود للرب مع الفضة والذهب الذي قدسه من جميع الشعوب الذين أخضعهم من أرام ومن موآب ومن بني عمون** » (٢ صموئيل ٨: ١١-١٢) ، فتحدث السفر عن خضوع «أرام» ، بينما يقول سفر أخبار الأيام: «**وهذه أيضا قدسها الملك داود للرب مع الفضة والذهب الذي أخذه من كل الأمم من أدوم ومن موآب ومن بني عمون** » (١ أخبار ١٨: ١١) ، فذكر خضوع «أدوم» ، فأيهما الصحيح «أرام» أم «أدوم»؟ ومن المسؤول عن هذا الخلط ؟

* ويتحدث المزمور ١٠٦ عن بني إسرائيل ، فيصفهم بأنهم : « **تمردوا عند البحر، بحر سوف** » (المزمور ١٠٦: ٧) ، وهي قراءة خاطئة صححها الآباء اليسوعيون في نسخة الرهبانية اليسوعية ، فجعلوا النص : « **تمردوا على العلي ، عند بحر سوف** » ، ونبهوا في الحاشية على أنها في الأصل العبري : « **على البحر** » ، وأنهم أجروا تغييرًا طفيفًا على الكلمة ليصلوا إلى القراءة الصحيحة[١]، وهي قراءة لا علاقة

---

(١) انظر حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (١٢٦٠).

لها من ناحية المعنى بالقراءة السابقة .

* وهكذا أوجدت قراءات النساخ الخاطئة أو المصححة للنص المئات من الاختلافات في قراءة النص النصوص التوراتية ، ففي مدح سبط نفتالي تقول نسخة الفانديك التقليدية : « **نفتالي أيلة مُسيَّبة ، يعطي أقوالًا حسنة** » ، فالجملة الأخيرة يراها محققو الترجمة العربية المشتركة ونسخة الرهبانية اليسوعية غير أكيدة المعنى ، ويستبدلونها وغيرُهم من النسخ العربية والأجنبية بـ : « **تلد شودان ظريفة** » .

* وكذا اختلفت القراءات وهي تنقل عن داود ما أضمره في نفسه من الشر لنابال ، فقد قال عنه سفر صموئيل: « **كافأني شرًا بدل خير ، هكذا يصنع الله لأعداء داود، وهكذا يزيد**» (١ صموئيل ٢٥: ٢١-٢٢) ، بينما النص في نسخة الرهبانية اليسوعية : « **كافأني شرًا بدل خير ، كذا يصنع الله بداود ، وكذا يزيد** » ، والقراءتان تتخالفان ، فإحداهما تتحدث عن «داود»، والأخرى عن «أعدائه» .

* ومثله في قول ناثان لداود عن خطيئته المزعومة مع امرأة أوريا الحثي : « **من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون ، فالابن المولود لك يموت** » (٢ صموئيل ١٢ : ١٤) ، والنص مختلف في نسخة الرهبانية اليسوعية ، ففيها : « **إنك بهذا الأمر أهنت الرب إهانة شديدة ، فالابن الذي يولد لك يموت** » ، فالقراءة الأولى تتحدث عن سبب عقوبة داود ، وهو شماتة أعداء الرب بخطيئته ، ولا يرِد لهؤلاء الأعداء ذكر وفق القراءة الثانية التي تتحدث عن إهانة للرب ـ وحاشا لله ـ بسبب هذه الخطيئة.

* وأحيانًا يضيف الناسخ ملاحظة ليذكِّر بها نفسه ، فتصبح هذه الملاحظة جزءًا من وحي الله ، كما في قوله : « **فمي يحدِّث بعدلِك ، اليوم كله بخلاصك ، لأني لا أعرف لها أعدادًا** » (المزمور ٧١: ١٥) ، فقوله : « **لا أعرف له أعدادًا** » من كلام الناسخ ، وترجمته الصحيحة كما نقلت الرهبانية اليسوعية « **لم أفهم الأحرف** » ، وقد

حذفته من النص ، وقالت في هامشها : « لاشك أن هذه العبارة تعليق لناسخ لم يفهم الكلمة »[١].

ولعل من أهم صور تحريف النساخ وأكثرها غموضًا ما نبه عليه الناقد والفيلسوف اليهودي باروخ اسبينوزا ، فالكتابة العبرية القديمة خلت من علامات التشكيل وحروف العلة، الذي قام به لاحقًا العلماء الماسوريون في القرنين الميلاديين الثامن والتاسع تأسيسًا على عمل المعلمين فينحاس وأشير في طبرية، فوضعوا اعتمادًا على تخمينهم ما رأوه من حركات، يمكن لخطأ بسيط فيها أن يحيل المعنى بعيدًا بعيدًا، وقد كان أساس عملهم «حدساً وتخميناً إلى حد ما، ولا يكاد يوفر نموذجًا أصليًا موثوقًا لا يقبل الجدل»[٢].

وفي الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي جدد أستاذ العبرية واللاهوت لويس كابل التأكيد على ما اكتنف عملية النقط والشكل من مشكلات نصية، وتصدى للرد عليه جوهانس بوكستورف ، أعظم علماء عصره، فلم يجد ما يقوله إلا الزعم بأن النقط وعلامات النطق التي وضعها الماسوريون كانت بوحي من عند الله كذلك**!!**[٣].

واليوم نجد انعكاسًا لإعادة التشكيل في القراءات المتخالفة لبعض النصوص في الطبعات الجديدة للكتاب المقدس.

❋ ومنه ما جاء في مقدمة سفر نشيد الأنشاد: « **أنا سوداء وجميلة ، يا بنات أورشليم**

---

(١) انظر هامش نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٢٠٩).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٤/ ١١٣)، وانظر: تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٤٣).

(٣)قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٠/ ٢٣١).

كخيام قيدار كشقق سليمان » (نشيد ١: ٥) ، فإيراد كلمة «سليمان» خطأ من الناسخ ، فالكلمة الأصلية كما في نسخة الرهبانية اليسوعية هي: « **كخيام قيدار ، كسرادق سلمى** ».

وبيَّن الآباء اليسوعيون في الهامش سبب هذا التغيير، وأنهم تعمدوه، ولم يسهوا فيه، فقالوا : « في النص العبري: « **سليمان** »، سلمى وقيدار قبيلتان من البدو العرب، والفارق في قراءة (שַׂלְמָה سلمى) و (שְׁלֹמֹה سليمان) هو التحريك»[1]، إذ كلاهما يكتب في العبرية القديمة من غير تشكيل هكذا (שלמה)، لقد تنبهوا للخطأ فأصلحوه في نسختهم، فيما بقي الملايين من الناس يقرؤون العبارة خطأ في النسخ الأخرى كنسخة الفانديك العربية والملك جيمس الإنجليزية، ويظنون أن الله قال : «**كشقق سليمان**»، بينما كانت الفقرة حديثًا عن قبيلة «سلمى» العربية، وليس عن النبي «سليمان».

* ويعرض الفيلسوف اليهودي باروخ اسبينوزا لمثال آخر، اختلف القراء في تشكيل الكلمة، فنتجت قراءتان مختلفتان، فقد كتب سفر التكوين متحدثًا عن يعقوب: « **فسجد إسرائيل على رأس السرير מִטָּה** » (التكوين ٤٧: ٣١)، ولما اقتبس كاتب رسالة العبرانيين في العهد الجديد من هذه الفقرة كتب: « **وسجد على رأس عصاه** » (العبرانيون ١١: ٢١)، وسبب حيدة مؤلف العبرانيين عن السرير إلى العصا هو تطابق الكلمتين في الكتابة العبرانية من غير تشكيل، فكلاهما يكتب (**מטה**)، والفرق بينهما هو علامات التشكيل (السرير **מִטָּה**، العصا **מַטֶּה**)، فالتبست الكلمة على الكاتب المقدس للعبرانيين فقرأها (العصا **מַטֶּה**)، بينما مال الماسوريون اليهود في القرن الثامن الميلادي إلى التشكيل الآخر (السرير **מִטָּה**).

ويتساءل اسبينوزا عن القراءة الصحيحة، ويرجح قراءة رسالة العبرانيين من

---

(١) حاشية النص في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٣٨١).

غير أن يعير كبير اهتمام لما ذهب إليه الماسوريون العبرانيون، فالتشكيل وحروف العلة في النص المقدس هي من وضع « علماء لغويين في عصر متأخر، لا تساوي سلطتهم شيئًا، أما القدماء فقد كتبوها من غير نقط (أي دون حروف علة ودون حركات) .. فالنقاط التي لدينا الآن، وكذلك الحركات، إنما هي تفسيرات حديثة، لا يحق لنا التصديق بها .. أردتُ أن أبين ضعف الثقة التي يمكن أن نوليها للنقاط والحركات الحديثة ، فمن يرد تفسير الكتاب دون أحكام مسبقة ؛ عليه إذن أن يشك في النص الذي أكمل على هذا النحو، وأن يعيد فحصه من جديد»[(١)].

وقد اعترف المفسر اليهودي المحافظ شموئيل دافيد لوتساتو (ت ١٨٦٥م) بأن الماسوريين لم يراعوا القواعد اللغوية فحسب، بل مالوا إلى «الآراء الدينية والفلسفية لأصحاب التشكيل»[(٢)].

وإذا كانت هذه الأخطاء النسخية واقعًا لا مناص من إنكاره أو التعامي عنه ، فإنا نتساءل بإخلاص: متى سيصحح المؤمنون بقدسية الأسفار هذه الأخطاء النسخية ومتى سيرفعون تلك الاختلافات والزيادات؟ وإلى أن يتم توحيدها نتساءل : أي هذه القراءات المختلفة يعتبر ـ بحق ـ وحي الله وكلمته ؟!



(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا ، ص (٢٤٥).
(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٢١٠).

إبطال نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام

يزعم اليهود والنصارى أن موسى عليه السلام كتب الأسفار الخمسة، فهي وحي الله إليه ، يقول الدكتور وهيب جورجي كامل أستاذ العهد القديم بالكلية الإكلريكية في القاهرة، وهو يسوق زهاء ستين شاهدًا من الكتاب المقدس: «تؤكد كافة شواهد الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد نسبة هذه الأسفار إلى موسى النبي»(١) ، ونستذكر قول القس سويجارت في مناظرته للعلامة ديدات : « ونحن نعتقد أن موسى كتب ما يسمى بالأسفار الخمسة ، تلك الكتب الخمسة الأولى باستثناء الترانيم القليلة، وسفر التثنية ، وربما يكون قد كتب هذا أيضًا ، لأننا نعلم أن للرب من القدرة ، بحيث يوحي إلى موسى بالضبط الكيفية التي يموت بها ، ويوحي إليه بدقة الهيئة التي تكون عليها جنازته ، وهذا ليس بمعضل على الرب »(٢).

وليس من دليل يؤيد هذا الزعم سوى ما ذكرته النصوص التوراتية والإنجيلية «الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم .. تسمى أسفار موسى الخمسة .. مع أنه لا يوجد في النص مطلقًا ما يشير إلى الكاتب ، ولا إلى تاريخ الكتابة»(٣).

ولقد تحدثت أسفار العهد القديم عن توراة موسى ، في سفر التثنية « **وكتب موسى هذه التوراة ، وسلمها للكهنة بين لاوي حاملي تابوت عهد الرب** » (التثنية ٣١: ٩ - ١٠)، ولو كانت هذه الأسفار هي توراة موسى لوجب أن تكون نهاية التوراة هنا،

---

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٤١-٤٢).

(٢) وانظر المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٧)، وأسئلة في العهد القديم، أوسم وصفي، ص (١٢).

(٣) أسئلة في العهد القديم، أوسم وصفي، ص (١٢).

لأنها سلمت للكهنة من بني لاوي ، ولكن الذي نراه أنه جاء بعدها ثلاث أصحاحات، مما دل على أن ما كتبه موسى ليس النص الذي يحكي القصة .

وعند الرجوع إلى هذه الأسفار الخمسة والتمعن فيها يتبين أنها كتبت بعد موسى عليه السلام بوقت طويل ، وفيما يلي بعض هذه الأدلة :

أولا: قصر توراة موسى بالنسبة إلى التوراة الحالية :

* في حين أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى تبلغ زهاء ٤٠٠ صفحة ، فإن توراة موسى كانت قصيرة ، فقد أمر موسى بجمع بني إسرائيل نساءً وأطفالًا ورجالًا ، بل وحتى الغريب المار بأرضهم ، أمر بجمعهم كل سبع سنين في عيد المظال لتُقرأ عليهم التوراة كاملة (انظر التثنية ٣١: ٩-١٢) ، ولو كانت توراته بالطول الذي بين أيدينا اليوم لشق سماع هؤلاء جميعًا وعسُر طول مكثهم لسماعها .

* ومن الدلائل على قصر توراة موسى أنه أمر بكتابتها على جدران المذبح «**فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة ، وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس .. وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشًا جيدًا** » (التثنية ٢٧: ٢-٨) ، وقد عمل بالوصية وصي موسى يشوع فكتبها على حجارة المذبح، ولو كانت طويلة كما هي اليوم لاحتاجت مع النقش الجيد إلى حجارة المدينة، ولا يكفيها حينذاك حجارة المذبح .

* ثم بعد إتمام البناء قرأ يشوع التوراة على الجموع ، وهي له تسمع « **كتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى .. بعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة .. لم تكن كلمة في كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل: النساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم** » (يشوع ٨: ٣٢-٣٥) .

ثانيا: تناقض سفر يشوع مع الأسفار الخمسة :

ومما يؤكد أن التوراة التي كتبها موسى ليست الأسفار الخمسة : مخالفة يشوع وصي موسى لما جاء فيها ، ولو كان يعرفها أو يعتقد صدقها لما خالفها ، فإما أن يقال بأن سفر يشوع مزور ، أو لا تصح نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى .

وبيان هذه المسألة أن موسى قال : « **كلمني الرب قائلًا : أنت مار بتخم مؤاب بعار ، فمتى اقتربت إلى اتجاه بني عمون لا تعادوهم ، ولا تهجموا عليهم ، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثًا ، لأني لبني لوط قد أعطيتهم ميراثًا** » (التثنية ٢: ١٦-٢٠) فكان أمر الله لموسى في حق أرض عمون أن لا يأخذ منها شيئًا .

ولكن يشوع في سفره ينسب إلى موسى أنه قسم أرض بني عمون ، يقول : « **وأعطى موسى لسبط جاد بني جاد حسب عشائرهم ، فكان تخمهم بعزير ، وكل مدن جلعاد ، ونصف أرض بني عمون إلى عير ، وعير التي هي أمام ربّة .. هذا نصيب بني جاد** » (يشوع ١٣: ٢٤-٢٨) ، فقد زعم سفر يشوع أن الله أعطى موسى نصف أرض بني عمون ، وهو مخالف لما أمر الله به موسى في سفر (التثنية ٢: ١٦-٢٠) .

فلو كانت هذه الأسفار توراة موسى لما نسب يشوع إلى موسى هذه المخالفة الصريحة لأمر الله بتقسيم أرض عمون .

ثالثا: أحداث ذكرتها الأسفار الخمسة، وقد حصلت بعد وفاة موسى:

وذكرت الأسفار الخمسة أحداثًا حصلت بعد وفاة موسى في سيناء ، مما دل على أنها كتبت بعده ، ومنها :

* « **وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة ، حتى جاؤوا إلى أرض عامرة ، أكلوا**

المن حتى جاءوا إلى أرض كنعان » (خروج ١٦: ٣٥) ، فكاتب السفر أدرك انقطاع المنّ عن بني إسرائيل ، وعرف أن مدة أكلهم للمنّ كانت أربعين سنة .

وهو أمر لم يدركه موسى ﵇ ، فقد انقطع المنّ زمن يشوع وبعد وفاة موسى بزمن ليس بقليل ، ففي سفر يشوع « **فحل بنو إسرائيل في الجلجال .. في عربات أريحا، وأكلوا من غلة الأرض .. وانقطع المنُّ في الغد عند أكلهم من غلة الأرض** » (يشوع ٥: ١٠-١٢) . فكيف يتحدث موسى عن أمر حدث بعد وفاته ، وذلك حين دخلوا الأرض المقدسة مع النبي يشوع ، ومن المهم التنبيه إلى أن الخبر عن الماضي ، وليس إخبارًا بالغيب والمستقبل ، لذا لا يمكننا أن نعتبره نبوءة مستقبلية من موسى ﵇.

* ثم إن سفر العدد المنسوب لموسى يصف المنّ لقارئيه ، فمن المؤكد أنه يحدثهم عما لم يروه ، فكان من العجيب أن ينسب هذا الوصف إلى موسى ، إذ ليس من داع يدعوه لوصف المنّ وطعمه وطريقة طهيه لمن يصنعه يوميًا ويأكله من معاصريه ، يقول السفر : «**وأما المنّ فكان كبزر الكزبرة ، ومنظره كمنظر المقل ، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ، ثم يطحنونه بالرحى ، أو يدقونه في الهاون ، ويطبخونه في القدور ، ويعملونه ملّات ، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت** » (العدد ١١: ٧-٨) و (انظر الخروج ١٦: ٣١) ، إنه شاهد آخر يقطع ببراءة موسى من كتابة هذه الأسفار .

* ويذكر سفر العدد ما يُشعِر بأن الكاتب قد كتبه بعد جلاء بني إسرائيل من برية سيناء ودخولهم فلسطين فيقول : « **ولما كان بنو إسرائيل في البرية ، وجدوا رجلًا يحتطب في السبت** » (العدد ١٥: ٣٢) ، فالكاتب ليس في البرية حتمًا . أي ليس موسى ﵇ ، فإنه قد مات في البرية قبل دخول الأرض المقدسة .

* ومن أدلة براءة موسى من هذه الأسفار قول التوراة : « **وسكنوا مكانهم كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب** » (التثنية ٢: ١٢) والنص يفيد أن الكاتب قد

أدرك دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة ، وهو ما حصل بعد وفاة موسى عليه السلام .

* ومثله في قول التوراة ، والمفترض أن الكاتب هو موسى « **اجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلّوطة مورة . وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض** (فلسطين)» (التكوين ١٢: ٥-٦) ، فالكاتب أدرك خروج الكنعانيين من الأرض بعد دخول بني إسرائيل ، فهو ليس موسى الذي مات قبل دخول بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة.

* ونحوه قول كاتب الأسفار : « **وكان الكنعانيون والفرزّيون حينئذ ساكنين في الأرض** » (التكوين ١٣: ٧) ، وهذا النص جعلته نسخة الرهبانية اليسوعية بين قوسين للإيهام بأنه ملحق بالسياق ، والصحيح أصالته، والسفر متأخر التأليف، فقد ورد مثله في (التكوين ١٦ : ٦).

* ونحوه في قوله : « **وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملكَ ملِكٌ لبني إسرائيل** » (التكوين ٣٦: ٣١) ، فالكاتب قد أدرك عهد الملكية الذي كان بعد موسى بأربعة قرون .

وقد أقر المفسر الإنجليزي آدم كلارك (ت ١٨٣٢م) في تفسيره الذي استغرق منه أربعين سنة بوقوع التحريف في هذا النص، وقال : « غالب ظني أن موسى ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها إلى التاسعة والثلاثين .. وأظن ظنًا قويًا قريبًا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة ، فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه »[1]، وهذا التبرير لو صح فإنه يفضي إلى الشك بجملة الكتاب المقدس ، إذ كما جاز للناسخ أن يدخل في المتن هنا ما ليس فيه ، فإنه يجوز وقوع

---

(١) تفسير آدم كلارك (التكوين- التثنية/ ٢٧٨)، وانظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٤٦٨).

ذلك في سائر الكتاب .

❋ أما المضحك المبكي فهو ورود خبر وفاة موسى ﷺ وحزن بني إسرائيل عليه في أسفار يفترض أن كاتبها موسى ، فقد جاء في سفر التثنية « **فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل في عربات مؤاب ثلاثين يومًا، فكمُلت أيام بكاء مناحة موسى** » (التثنية ٣٤: ٥-٨) ، والملاحظ دومًا أنه حديث عن الماضي البعيد ، وليس إخبارًا عن المستقبل .

رابعا: أسماء ظهرت بعد موسى :

وتذكر الأسفار الخمسة أسماء مدن وقرى لم يعرفها بنو إسرائيل إلا بعد موسى، ولم تسمَ بهذه الأسماء إلا بعد قرون من وفاة موسى ، فكيف ذكرتها الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى؟

❋ منها قول سفر التكوين: « **وتبعهم إلى دان** » (التكوين ١٤ : ١٤) وقد سميت بهذا الاسم في عهد القضاة ، أي بعد موسى بما يربو على مائة سنة ، يقول سفر القضاة : « **وجاؤوا إلى لايش .. ودعوا اسم المدينة : دان ، باسم دان أبيهم** » (القضاة ١٨ : ٢٧-٢٩) .

❋ ونحوه ما جاء في التكوين وفيه: « **سرقت من أرض العبرانيين** » (التكوين ٤٠ : ١٥) ، ولم تسم فلسطين بهذا الاسم في عهد موسى ، إذ لم يدخل العبرانيون إليها بعد .

❋ ومثله « **وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى ممرا قرية أربع ، التي هي حبرون** » (التكوين ٣٥: ٢٧) ، ولم تسم حبرون (الخليل) بهذا الاسم إلا في عهد يشوع ، كما

ورد في سفره « **فباركه يشوع ، وأعطى حبرون لكالب .. واسم حبرون قبلًا : قرية أربع، الرجل الأعظم في العناقيين** » (يشوع ١٤: ١٣-١٥) ، فالكاتب لسفر التكوين أدرك دخول يشوع لفلسطين ، وتغيير اسم المدينة من أربع إلى حبرون .

خامسا: اعترافات مثيرة :

وكان لابد من أن يعترف أهل الإنصاف من أهل الكتاب بعدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى:

* كان من أوائل من فعل ذلك منهم ، موسى بن عزرا الحبر اليهودي الغرناطي (تـ ١١٦٧م)، والذي يعتبره الفيلسوف اليهودي الهولندي باروخ اسبينوزا (ت ١٦٧٧م) واضع أسس النقد العقلي للكتاب المقدس، فقد ألغز ابن عزرا في كتابه «دليل الحيران» إنكاره صلة موسى بهذه الأسفار ، وذلك لمخافته من القتل والاضطهاد فقال في شرحه لسفر التثنية : « **فيما وراء نهر الأردن .. لو كنت تعرف سر الإثني عشر .. كتب موسى شريعته أيضًا .. وكان الكنعاني على الأرض .. سيوحي به على جبل الله .. ها هوذا سريره ، سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة** » ولم يجرؤ ابن عزرا على كشف الحقيقة فألغزها .

وقد فسر اسبينوزا قول ابن عزرا بأنه «لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة، واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة»، فقد أراد القول : إن موسى لم يكتب التوراة، لأن موسى لم يعبر النهر ، ثم سفر موسى قد نقش على اثني عشر حجرًا بخط واضح ، فحجمه ليس بحجم التوراة ، ثم لا يصح أن تقول التوراة بأن موسى كتب التوراة ، ثم كيف يذكر أن الكنعانيين كانوا حينئذ على الأرض؟ ، فهذا لا يكون إلا بعد طردهم منها، وأما جبل الله فسمي بهذا الاسم بعد قرون من موسى ، وسرير عوج الحديدي

جاء ذكره في التثنية (٣: ١١-١٢) مما يدل على أنه كتب بعده بزمن طويل[١].

وخلُص اسبينوزا إلى نتيجة مهمة ، وهي أن «سبب تسمية الأسفار الخمسة باسم موسى؛ هو أنها تدور أساسًا حول حياته، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية»[٢]، وأنه «توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها، فإن أحدًا لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل على العكس، يكذب العقل هذه النسبة»[٣].

وقد استفز اسبينوزا بدعواه حول أسفار موسى عالم الأحياء القس ريتشارد سيمون (ت ١٧١٢م) ، وهو كما يصفه وليام ديورانت «أعلم ناقد الكتاب المقدس في القرن السابع عشر»، فانبرى للرد عليه في كتابه «تاريخ نقدي للعهد القديم»، لكنه اضطر للاستسلام لخصمه اسبينوزا، حين «سلَّم بأن أسفار العهد القديم ليست تمامـًا من عمل المؤلفين الذين نسبت لهم، وأنه لا يمكن أن يكون موسى قد كتب الأسفار الخمسة كلها (التي ورد فيها وصف لموت موسى)، وأن أسفار الكتاب عراها التغيير الكثير عن صورتها الأصلية بأقلام الكتبة والناشرين الذين نقلوها إلى الخلف»، ثم استدرك ريتشارد سيمون على نفسه بزعم عجيب حاول فيه لملمة وترقيع ما سبق أن توصل إليه في دراسته المعمقة: «إن هؤلاء المراجعين كانوا هم أيضـًا يعملون بالوحي الإلهي»، وأضاف إلى اعترافاته المهمة اعترافًا بأن: «جميع نسخ العهد القديم الموجودة شوهتها التكرارات والتناقضات والإلتباسات وغيرها من الصعوبات

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٢٥٨).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٧٣).
(٣) المصدر السابق، ص (٢٦٥).

بحيث لا تتيح إلا أساساً واهياً للاهوت عقائدي»[١] .

وهذا ما استمسك به العلماء المحافظون من بعد سيمون ، فقد كانوا يصرحون «أن الإشارات السابقة لا تزيد عن كونها إضافة توضيحية عند النسخ ثانية عبر المراحل الزمنية المتعاقبة بواسطة الناسخ نفسه، وبالوحي المقدس»[٢] ، فهم يعترفون بأنها من إضافات النساخ ، لكن يزعمون أن هؤلاء النساخ لم يصنعوا ذلك من تلقاء أنفسهم ، بل فعلوه بإرشاد الوحي المقدس ! فهم أيضًا ممن يوحى إليه . !! فالمهم عندهم أن «يظل موسى كاتبًا لسفر التكوين »[٣] .

* وأما مدخل التوراة الكاثوليكية فنقرأ فيه: «ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخلق إلى قصة موته ، كما لا يكفي أن يقال: إن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية (١٩٤٨م) أنه: يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية»[٤]، ومثله في مدخل الآباء اليسوعيين لنسخة الرهبانية اليسوعية.

* وهذه الجمهرة العلمية الرافضة لنسبة الأسفار الخمسة إلى موسى أصبحت من الكثرة بحيث يقول الأب سهيل قاشا: «إن وضعية مادة التوراة الحالية وبراءة

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٣/ ١٨٠)، وانظر: المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٨).

(٢) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٨٤)، وانظر: الكتاب المقدس، القس صموئيل مشرقي، ص (٣٧).

(٣) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٨٤).

(٤) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ص (٤).

موسى منها بما فيه الأسفار الخمسة قد شهد به بالتعليل علماء وكُتّاب وباحثو الغرب أنفسهم، بعد أن لم يعد خافيًا عليهم عدم أصالة الكتاب، واحتوائه على ثقافات الآخرين .. الجريئين منهم حتى ولو كانوا يهودًا فإنهم يعترفون بأن التوراة على شكلها ومضمونها الحالي ليست أصيلة، وليست منسقة مع ما جاء به موسى»[١].

* ويقول المستشرق الألماني ثيودور نولدكه (ت ١٩٣٠م) في كتابه (اللغات السامية) : « جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة ، واستغرق تأليفها وجمعها زمنًا متطاولًا تعرضت حياله للزيادة والنقص ، وإنه من العسير أن نجد كلمة متكاملة في التوراة مما جاء به موسى »[٢].

* ويقول الأستاذ حبيب سعيد: «وما يزال فريق من المسيحيين مؤيدًا أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، على أنه في خلال المائة سنة الأخيرة توسع العلماء في البحث والاستقصاء، وأثبتوا خطأ هذه النظرية.. إلا أنهم يعتقدون أن بعض أجزائها يرجع تاريخه إلى أزمنة مختلفة وعصور متأخرة .. هذه الأسفار كتبت في أزمنة مختلفة .. أولئك الكتاب الذين نجهل أسماءهم قد تلقوا وحيًا من الله تحت إرشاد الروح القدس وسلطانه، دروا أو لم يدروا»، والعبارة الأخيرة : «دروا أو لم يدروا» تفتح الباب واسعًا أمام الرأي القائل بأن مؤلفي الأسفار لم يعلموا بقداسة كتبهم، ولم يشعروا بالروح القُدس وهو يلهمهم ويرشدهم، لكن من جاء بعدهم اكتشفوا فيهم ما جهله هؤلاء عن أنفسهم!!.

ويخلص حبيب سعيد إلى القول: «كتبت في تواريخ متأخرة وبأيدي كُتاب كثيرين لم

---

(١) بابل والتوراة، الأب سهيل قاشا، ص (١٧٨).

(٢) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص (١٠٠) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٧ – ٩٨).

يمكن الاهتداء إلى أسمائهم، ويرجح علماء الكتاب المقدس [هذا] الرأي»[١].

فهل يقال بعد ذلك : هذه الأسفار الخمسة من كلام موسى أو أنها وحي الله إلى نبيه موسى ؟



(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٧٠-٧١، ٩٠).

هل الأسفار الخمسة الحالية هي توراة عزرا ؟

رأينا زعم بعض الآباء أن عزرا قد أعاد كتابة التوراة بإلهام من الله ، وهو أحد مزاعم كثيرة يتعلق بها الغريق ، وهو يصارع في الأنفاس الأخيرة .

إذ لا يمكن الجزم بأن التوراة الموجودة (الأسفار الخمسة) من كتابة عزرا لأمور من أهمها وجود تناقضات فيها وأخطاء لا يقع فيها كاتب واحد . وحين نقول ذلك فإنا لا نمانع أن يكون عزرا قد قام بالتوليف بين الروايات التي وصلت إليه ، فالمتتبع لترابط نهايات الأسفار وبداياتها يجزم أن مؤرخًا واحدًا ربط بين هذه الأسفار، وشكَّل منها وحدة موضوعية تحكي تاريخ بني إسرائيل، ولعل أقدر شخص على هذا الجهد هو عزرا الكاهن الذي يراه اسبينوزا الشخص الأقرب لتأليف هذا الكتاب[١] .

ولكن الدليل الأهم الذي يمنع أن يكون عزرا هو الكاتب الأصلي ، ذلكم الفحص الدقيق والعلمي الذي قام به المحققون النصارى عبر دراسات طويلة ، والذي يؤكد أن هذه الأسفار لها كتبة يربون على المائة ، وينتمون إلى أربع مدارس ظهرت في القرنين الثامن والتاسع قبل الميلاد في مملكتي إسرائيل ويهوذا . وتسمى هذه الدراسات نظرية المصادر الأربعة .

وقد تبلورت هذه النظرية بعد سلسلة من الدراسات ، بدأت بدراسة الطبيب الفرنسي جان استروك عام ١٧٥٣م ، وقد نشرها من غير أن يجرؤ على ذكر اسمه ، وسار على خطاه الباحث الألماني يوهان إيخهورن أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جينا، وذلك في سنة ١٧٨٠-١٧٨٣م ، وتابعهم خليفته في جامعة جينا الدكتور كارل

---

(١) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٢٦٩-٢٧٠)، وانظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٢١).

داود الجن ١٨٣٤م ، ثم الأستاذ في جامعة هال الدكتور هرمن هوبفلد في عام ١٨٥٣ ، ثم العالم لودز عام ١٩٤١م(١) .

وقد أضحت هذه النظرية مسلمة عند العلماء المحققين ، يقول أدولف لـودز في مقدمة كتابه (Israël Des origines au milieu du VIIIe siècle) : « وقد انتهى هذا الجهد العظيم إلى بعض النتائج المقبولة في خطوطها الكبرى بما يشبه الإجماع »(٢) .

كما اعترف بنظرية المصادر الأربعة مدخل الكاثوليك للكتاب المقدس(٣)، والآباء اليسوعيون في الرهبانية اليسوعية(٤) .

وتتلخص نظرية المصادر الأربعة أنه ثمة أربع مدارس مختلفة ساهمت في كتابة التوراة ، ثم ضمت نصوص هذه المدارس إلى بعضها ، وكوِّن منها جميعًا نص موحد لا يخلو من كثير من التناقضات والأخطاء .

وهذه المصادر الأربعة ، هي :

١- المصدر الأول (اليهوي) :

وكتب نصه فيما بين القرن العاشر والثامن قبل الميلاد ، ورجح البعض أنه في التاسع قبل الميلاد ، وقد كانت كتابته في مملكة يهوذا الجنوبية .

---

(١) انظر : دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٣٢٠-٣٢١)، وانظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٣٣ – ٣٤) ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (٧٨).

(٢) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٥٩).

(٣) انظر : مقدمة التوراة في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (١/ ٤).

(٤) انظر : مقدمة العهد القديم في نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (٦٠-٦١)، وعلى عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٠٨-١١٠).

ولغة هذا النص قديمة فجة ، تتحدث عن الله بصورة بشرية سيئة ، ويتحدث هذا النص عن بدء الخلق، ويمتد إلى موت يعقوب ، ويظهر فيه الشعور القومي ، وسيطرة إسرائيل على كنعان ، وشغله الشاغل التأكيد على وعد يهوه لإسرائيل بأرض كنعان .

ويطغى هذا المصدر في سفر التكوين ، ويشترك مع الثاني والرابع في سفري الخروج والعدد ، وأهم ما يميز هذا المصدر تسميته الإله (يهوَه) .

٢- المصدر الثاني (الإلوهيمي) :

وهو متأخر عن المصدر الأول في زمن كتابته ، إذ يرجع للقرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، وكتب هذا المصدر عن الإله ، وجنّبه النشاطات البشرية ، ويظهره بصفات مهيبة نسبيًا .

ويركز النص على الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف ، وهذا المصدر موجود في الأسفار الثلاثة (التكوين والخروج والعدد) ، ويعود إلى هذا المصدر والمصدر الأول معظمُ سفري التكوين والخروج .

وأهم ما يميز هذا المصدر تسميته الإله (إلوهيم) .

٣- المصدر الثالث (سفر التثنية) :

وقد عمل هذا المصدر في سفر التثنية فقط ، وبه سمي ، ويعود تاريخه للقرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، ولغة هذا المصدر خطابية داعية لاتباع الشريعة ، وتطبيق العهد ، ويكثر فيه « **اسمع يا إسرائيل** » ، ويمتلئ بالتشريعات ، وغايته تركيز عبادة يهوه في مكان خاص هو أورشليم .

وقد خضع سفر التثنية لإصلاحات متأخرة جدًا يمكن الوقوف عليها بمقارنة السفر مع بقية الأسفار الأربعة .

٤- المصدر الرابع (الكهنوتي) :

ويعود تاريخ كتابته لما بعد النفي البابلي ، أي للقرن السادس قبل الميلاد ، وهو من عمل بعض الأحبار ، وموضوعه ذكر الشرائع والتعاليم الطقسية ، وكيفية تطبيق تعاليم الدين .

ويتميز مكتوب هذا المصدر أنه يذكر الخبر ونقيضه بحسب كاتبه من الكهان (انظر العدد ٤: ٣ ، والعدد ٨: ٢٤) ، ويستخدم هذا المصدر اسم : إلوهيم وهو يتحدث عن الله .

ولهذا المصدر دور كبير في سفري اللاويين والعدد ، كما شارك قليلًا في سفري التكوين والخروج .

وقد بيَّن الأب الفرنسي رولان دوفو (ت ١٩٧١م) مدير مدرسة الأبحاث التوراتية الفرنسية (Ecole Biblique) في القدس أرقام الفقرات التي تتبع النص الإلوهيمي ، وتلك التي تتبع النص اليهوي ، وهكذا ..

ويقول الأب دوفو : « لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم مختلفة ، جمعها محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنبًا إلى جنب ، وطورًا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أمورًا غير معقولة ، وأخرى متنافرة .. »(١).

وأما المطران كيرلس سليم بسترس رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الكاثوليك، فينقل لنا إجماع العلماء على صحة نظرية المصادر، فيقول: «إن علماء

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٣٣ - ٣٤).

الكتاب المقدس يجمعون اليوم على أن هذه الرواية تضمّ في الواقع روايتين مختلفتين: رواية أولى تعود إلى القرن السادس قبل المسيح (التكوين ١ : ١ – ٤ : ٢)، وقد كتبت في محيط كهنوتي في أثناء جلاء بابل ؛ ورواية ثانية أقدم من الأولى ترجع إلى القرن العاشر قبل المسيح، وضعها كتبة وحكماء من بلاط سليمان الملك (التكوين ٤ : ٢ – ٢٥). وبعد العودة من جلاء بابل جمعت الروايتان، ودُوِّنتا الواحدة تلو الأخرى في الفصلين الأوّلين من سفر التكوين»[1].



(١) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، المطران كيرلس سليم بسترس (١/ ٧٦).

إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم

لا يملك اليهود ولا النصارى أي دليل ـ ولو كان ضعيفًا ـ يثبت صحة زعمهم نسبة الأسفار المقدسة إلى أصحابها ، إذ هذه الكتب خالية من الأسانيد التي توثقها .

بل إن الأدلة تثبت عكس ذلك ، وهو يتضح فيما نعرض من النصوص والشهادات التي تبطل نسبة أسفار العهد القديم إلى الأنبياء عليهم السلام ، ولسوف نكتفي بعرض بعض الشهادات عن بعض الأسفار ، ونترك للقارئ الكريم أن يقيس الغائب على الشاهد ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

سفر يشوع :

تنسب الدراسات التقليدية اليهودية والكنسية هذا السفر إلى النبي يشوع بن نون وصي موسى عليه السلام[1]، لكن القراءة المتأنية لهذا السفر تكشف عن تأخر تاريخ كتابته عن يشوع بسنين طويلة ، إذ نقرأ فيه خبر موت يشوع « **مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين ، فدفنوه في تخم ملكه** » (يشوع ٢٤ : ٢٩-٣٠) .

ويذكر سفر يشوع أحداثًا حصلت بعد موته كتعظيم بني إسرائيل له بعد وفاته ، بقاء شيوخهم على العهد في عصر القضاة بعده « **وعبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل** » (يشوع ٢٤ : ٣١) ، والسفر برمته يتحدث عن يشوع بضمير الغائب . (انظر ٨: ٣٥ ، ٦: ٢٧) .

ومن الأدلة التي نسردها سريعًا لنؤكد أن يشوع ليس بكاتب السفر المنسوب

---

(١) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٩٩).

إليه أن سفر يشوع ذكر مرارًا قرية دبير التي حاربها يشوع ، ومن ذلك قوله : « **ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها** » (يشوع ١٠ : ٣٨) ، وكذا قوله : « **وصعد التخم إلى دبير من وادي عخور** » (يشوع ١٥ : ٧) ، وغيرها من المواضع .

وهذا الاسم لم يطلق على هذه القرية إلا بعد وفاة يشوع ، فقد كان اسمها في عهد يشوع قرية سفر ، وتغير في عهد القضاة « **واسم دبير قبلًا قرية سفر** » (القضاة ١ : ١١) .

كما نجد في مواضع كثيرة أن كاتب السفر يخبرنا ببقاء بعض المسميات التي سميت في عهد يشوع وأنها لم تتغير بتقادم الأيام وتصرم السنين ، ومن المؤكد أن يشوع ليس القائل ، إذ هذه المسميات ظهرت في عصره ، وليس من المعتاد تغير أسماء المدن في وقت قريب ، يقول سفر يشوع : « **فدعي اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم** » (يشوع ٥ : ٩) ، أي ما زال اسمه كذلك إلى زمن كتابة السفر .

ومثله قوله : « **وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم ، فرجع الرب عن حمو غضبه ، ولذلك دعي اسم ذلك المكان وادي عخور إلى هذا اليوم** » (يشوع ٧ : ٢٦) .

وقد اعترف بمجهولية كاتب هذا السفر الفيلسوف اليهودي باروخ اسبينوزا ، ورأى أنه من تأليف مؤلف مجهول عاش بعد يشوع بقرون عدة، واستدل لذلك بقول السفر: «ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده» (يشوع ١٠ : ١٤)[١].

وبمثله أقرت مقدمة الكتاب المقدس للكاثوليك ، حيث تقول : « لكن المؤلف المقدس الذي نجهل اسمه وعصره .. »[٢].

---

(١) انظر: رسالة اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٢٦٦).

(٢) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ص (٣٦٠).

وأما محررو قاموس الكتاب المقدس فينقلون لنا عددًا من الأسماء المقترحة لتأليف هذا السفر ، فيقولون : « كاتب هذا السفر مجهول ، ولكنه قد نسب إلى أشخاص متعددين، غير أن كثيرين يتمسكون بالاعتقاد المقبول عند اليهود والكتاب المسيحيين الأولين ، وهو أن يشوع نفسه كاتب السفر .. وظنَّ كالفن أن كاتبه هو اليعازر بن هارون ، وزعم آخرون أنه فيدحاس أو صموئيل ، أو إرميا »[(١)] ، وكل هذه الاقتراحات تخرصات وظنون لا دليل عليها ، والصحيح أن السفر مجهول الكاتب، فكيف ينسب إلى الله ووحيه كتاب لا يعرف اسم كاتبه؟!

وهنا ننبه إلى أن الأسماء المثبتة في افتتاح الأسفار «سفر يشوع»، «سفر صموئيل» أسماء خادعة، تجعل الكثيرين يعتقدون أن الاسم المثبت هو اسم مؤلف السفر، وهذا غير صحيح، وكما يقول حبيب سعيد: «يشوع هو اسم البطل في السفر، وليس كاتبه.. وليس لهذا السفر كاتب معين بالذات»[(٢)].

سفر القضاة :

ويتحدث السفر عن الفترة التي تلت حكم يشوع والتي سبقت الملكية ، وهي فترة مبكرة من تاريخ بني إسرائيل ، ونسبه التقليد اليهودي إلى النبي صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل، ويدعي الدكتور وهيب جورجي الإجماع على ذلك[(٣)].

وأما التفسير التطبيقي فيتخلى جامعوه عن هذا الإجماع ويحولونه إلى مجرد احتمال، عرضة للخطأ كما الصواب: «الكاتب صموئيل على الأرجح»[(٤)].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠٧٠).

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٩٢).

(٣) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٠٥).

(٤) التفسير التطبيقي، ص (٤٧٢).

ولكن السفر يحوي ما يدل على أنه كتب في عهد الملوك فقد جاء فيه « **في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل** » (القضاة ٢١: ٢٥) ، مما يفهم منه أن الكاتب قد أدرك الملكية ، وليس قاضيًا يعيش في عصر القضاة .

وتذكر مقدمة السفر في نسخة الشرق الأوسط الكاثوليكية: «إن مؤلفًا ملهمًا عاش حسب التقدير قبيل نهاية العهد الملكي أو في بدء السبي قد أعطى هذه الرواية طابعها الديني ... »[١]، ويضيف مؤلفو المدخل إلى الكتاب المقدس : « لسنا نعلم من هو كاتب السفر ، ومن المحتمل أن تكون مادته قد جمعت وصُنِّفت من واقع سجلات العصر ، في زمن لاحق لزمن القضاة ، وهو يذكر ثلاث مرات هذه العبارة ، « **وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل** » (١٧: ٦ ، ١٨: ١ ، ٢١: ٢٥) ، مما يدفعنا إلى الظن بأن مادة السفر قد تم جمعها وضمها إلى بعضها بعد قيام الملكية في إسرائيل »[٢].

والواجب على اليهود والكنيسة التي تتابعهم أن يخبرونا عن دليلهم على عصمة وإلهامية كل أولئك المجهولين الذين أسهموا في كتابة السفر وتنقيحه ، وإذا لم يكن كذلك فكيف أضحت زياداتهم وتعديلاتهم جزءًا من وحي الله ؟

سفر راعوث :

وهذا السفر يحكي قصة راعوث المؤابية التي تزوجت إسرائيليًا ، ثم مات عنها زوجها ثم تزوجها بوعز فولدت له عوبيد جد داود.

وعن مؤلفه يذكر القس الدكتور صموئيل يوسف «حسب التقليد اليهودي الكاتب هو صموئيل .. ورغم إمكانية قبول هذا الرأي، إلا أنه يبدو ضعيفًا .. ويرجح

---

(١) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (١/ ٤٠٥).

(٢) انظر : مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ص (٧٦).

بعض العلماء أن عصر سليمان هو زمن كتابة السفر .. ويُعتقد أن الكاتب عاش في زمن ما قبل السبي، وربما بمائة عام بعد راعوث»(١).

وهكذا فلا يعرف بالتحديد من هو مؤلف هذه القصة ، لذلك يقول مؤلفو دائرة المعارف الكتابية: «لا يذكر السفر اسم الكاتب، ولا يوجد دليل واضح على تاريخ كتابة السفر .. وقد تفاوتت الآراء من جهة كاتب السفر، فمنهم من ينسبه لصموئيل النبي، ومنهم من ينسبه لحزقيا الملك، وآخرون إلى عزرا، وليس ثمة دليل قاطع على من استخدمه الرب في كتابة هذا السفر»(٢).

وفي مقدمة السفر في التفسير التطبيقي نقرأ: « الكاتب : غير معروف ، ويعتقد البعض أنه صموئيل ، وإن كان السفر في طياته ما يدل على أنه كتب بعد وفاته »(٣).

ويقول الدكتور جورج بوست في قاموسه : « لا يمكن الجزم بزمان هذه القصة ، ولا بمعرفة مؤلفها .. نسب بعضهم كتابتها إلى صموئيل وآخرون إلى حزقيا وآخرون إلى عزرا ... »(٤).

وأما مقدمة السفر في التوراة الكاثوليكية فترى أن كاتبه المجهول قد عاش في زمن متأخر « اللغة ذاتها في النص العبري تشير إلى حداثة عهده الذي يعود إلى ما بعد السبي البابلي »(٥).

سفرا صموئيل (الأول والثاني) :

---

(١) المدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف، ص (١٥٨-١٥٩).
(٢) دائرة المعارف الكتابية (٤/ ١٠).
(٣) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٥٣٨).
(٤) قاموس الكتاب المقدس ، جورج بوست (١/ ٤٦٤).
(٥) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (١/ ٤٥٠).

ويُنسب السفران بحسب التقليد اليهودي إلى النبي صموئيل «يشير عنوان سفري صموئيل إلى تقليد رباني قديم كان يعد النبي صموئيل كاتب السفرين» [١]، لكن صحة هذا التقليد ستتلاشى إذا علمنا أن السفر الأول منهما يذكر وفاة النبي صموئيل ودفنه « **فمات صموئيل ، فاجتمع إسرائيل ، وندبوه ، ودفنوه** » (١ صموئيل ٢٥: ١) فمن الذي أكمل السفر الأول ؟ ومن كتب السفر الثاني ؟

خبر الوفاة حذا بأكثر الدارسين إلى إشراك مؤلفين آخرين أكملوا ما ورد في السفرين من لدن وفاة صموئيل، واقترحوا جاد الرائي وناثان النبي [٢]، وليس من دليل لهذه الإضافة إلا الإشارة التي وردت في سفر أخبار الأيام: « **وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي** » (١ أخبار ٢٩: ٢٩)، وهو نص لا تعلق له بنسبة سفري صموئيل خصوصًا، بل هو إحالة في موضوع تاريخ الملك داود إلى ثلاثة كتب، ولو أراد النص الحديث عن كتاب واحد لثلاثة مؤلفين لقال: (وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في أخبار صموئيل الرائي وناثان النبي وجاد الرائي).

وقد اقترح بعض النقاد اسم النبي إرمياء كاتبًا للسفر، لكن مقدمة النسخة الكاثوليكية تصفه بأنه « رأي صبياني ، على أنه من المحتمل أن يكون المؤلف أحد تلاميذ إرميا »[٣] .

وأما مؤلفو التفسير التطبيقي ، فيقولون في مقدمة السفر : « الكاتب : غير

(١) مقدمة السفر في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٥١٨).

(٢) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١١٥)، ومقدمة السفر في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٥١٨)، والتفسير التطبيقي، ص (٥٥٠).

(٣) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (١/ ٤٦٠).

معروف ، وقد رأى البعض أن زابود بن ناثان هو الكاتب » (١ ملوك ٤ : ٥)[١] .

وأما الدكتور القس صموئيل يوسف فيضع أمام قرائه مجموعة من الاقتراحات: «جاء في التلمود اليهودي أن صموئيل هو الكاتب لهذين السفرين، والمرجح أن النبي صموئيل كتب كل ما جاء في تاريخ إسرائيل أيام حكمه .. يرى أحدهم أن أبياثار كتب معظم أجزاء السفرين .. يرى البعض الآخر أن واحدًا من بني الأنبياء نشأ في إحدى المدارس التي أسسها صموئيل، وقد أخذ على عاتقه كتابة تاريخ إسرائيل الذي بدأه سيده، ويرجح بعض الباحثين أن الكاتب عاش في زمن متأخر لملوك يهوذا»[٢] .

وهكذا فالقارئ يتيه أمام قائمة الأسماء المقترحة لهذين السفرين، ولا يملك من الحقيقة إلا طرفًا يقينيًا واحدًا، وهو أن مؤلف هذين السفرين مجهول، وأن كل الاحتمالات التي تتعلق بها الكنيسة دعاوي وتخرصات وظنون لا دليل عليها.

سفرا عزرا ونحميا :

ويتحدث السفران عن حياة بني إسرائيل بعد السبي ، ويفترض أن كاتبيهما هما عزرا ونحميا ، أو أحدهما وفق التقليد الذي يرى أنهما كانا في الأصل سفرًا واحدًا، بل ن يرجح الباحثون أن كاتبهما وكاتب سفر أخبار الأيام واحد ، وأن الكتابة كانت حوالي سنة ٣٠٠ ق.م.

وممن يرجح تأخر كتابة السفر عن عزرا ونحميا المحققون توري وهوشر ومونتكل، تقول دائرة المعارف الكتابية: «بينما يرى الكثيرون عن العلماء أن كاتب أسفار الأخبار وعزرا ونحميا هو عزرا نفسه، فإن البعض يرجعون بهذه الأسفار إلى

---

(١) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٦٣٢)، ومصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١٣).

(٢) المدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف، ص (١٦٤).

أواخر القرن الرابع قبل الميلاد (حوالي ٣٣٠ ق. م)»[١].

وكذلك حبيب سعيد ، القائل: «إن هذا السفر - أو السفرين – في وضعه الحالي لم تكتبه يد عزرا ولا يد نحميا، وإنْ تكن بعض أجزائه من صنعهما، فهما قد دونا الحوادث التي وقعت لهما وبواسطتهما، واستخدمها بعد ذلك الكاتب الذي نسق السفر وصاغه في الوضع الحالي الذي بأيدينا»[٢].

فنحميا كان معاصرًا للسبي البابلي ، لكن كاتب السفر يتحدث فيه عن يشوع اللاوي الراجع في سبي بابل ، فيقول : « **وهؤلاء هم الكهنة واللاويون الذين صعدوا مع زربابل بن شألتيئيل ويشوع** » (نحميا ١٢ : ١) ، ثم يذكر أن من بين الراجعين من السبي مع زربابل يشوع اللاوي ، فيقول : « **واللاويون : يشوع وبنوي وقدميئيل** .. » (نحميا ١٢ : ٨) ، لكن كاتب سفر نحميا يحدثنا عن الجيل الخامس ليشوع اللاوي ، فيقول : « يشوع ولد يوياقيم ، ويوياقيم ولد ألياشيب ، وألياشيب ولد يوياداع ، ويوياداع ولد يوناثان ، ويوناثان ولد يدوع » (نحميا ١٢ : ١٠-١١) ، وهذا لا يمكن نسبته إلى نحميا ، الذي عاد من السبي ، فيما السفر يتحدث عن الجيل الخامس لأبناء العائدين من السبي.

وعليه فكاتب السفر عاش على أقل تقدير في الجيل الخامس من الرجوع البابلي . فمن هو هذا الكاتب ؟

يجيب الآباء اليسوعيون : « جرت العادة بأن تنسب مجموعة الأخبار وعزرا ونحميا إلى كاتب واحد لا يُعرف اسمه ، يقال له : محرر الأخبار .. نجهل من هو » [٣].

ويقول القس وليم مارش : « كاتب السفر حسب تقليد اليهود هو عزرا ، وهذا

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (٥/ ٢٥٢).

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ، ص (١٧٠).

(٣) انظر مقدمة سفر أخبار الأيام في الرهبانية اليسوعية، ص (٧٢٨).

قول أكثر رجال الكنيسة المسيحية أيضًا ، غير أن بعض العلماء حديثًا يقولون : إن كاتبًا اسمه مجهول كتب سفر عزرا وكتب أيضًا سفر نحميا »[١] .

سفر أستير :

وفي هذا السفر يتصور الخيالُ اليهودي ملكةَ فارس يهودية وذات نفوذ تستخدمه لصالح الشعب اليهودي، لذلك فإن «طائفة من الشراح يذهبون إلى أن القصة ليست تاريخية واقعية، فليس في سجلات الملك الفارسي أحشويرش – وهي باقية إلى اليوم– ذكر للملكة وشتي أو أستير أو مردخاي أو هامان»[٢].

ولم يذكر اسم الله في هذا السفر أبدًا ، وتبرر ذلك مقدمة السفر في التوراة الكاثوليكية فتقول عن النص العبراني منه : « لربما كان ذلك خشية أن ترافق اسم الله هتافات وتظاهرات غير لائقة من قبل سامعين في نشوة من الأفراح ، وهذا أمر مضر بالاحترام الواجب لاسم الله » [٣]، ولا أدري لماذا لم يُحترَز عن ذكر اسم الله في سفر نشيد الأنشاد ، وهو أيضًا مجموعة من الأغاني الغرامية ؟

وعن مؤلفه فإن الرأي التقليدي عند اليهود ينسبه إلى مردخاي ، وذلك بحسب المؤرخ يوسيفوس، لكن القس صموئيل يوسف يرفض هذا الرأي ، ويستند إلى قول السفر: «**مردخاي اليهودي كان ثاني الملك احشويروش وعظيمًا بين اليهود ومقبولاً عند كثرة إخوته وطالبًا الخير لشعبه ومتكلمًا بالسلام لكل نسله**» (إستير ١٠ : ٣)، فالمؤلف ليس هو، لذا فإن القس صمئيل يميل إلى أنه «لا يعرف بالتحديد من هو كاتب السفر ..

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم (شرح سفر عزرا)، وليم مارش، ص (٣).
(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (١٦٠).
(٣) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (١/ ٨٧٧).

ويعتقد أن الكاتب يهودي عاش في فارس»[١] .

ويقول الدكتور سمعان كلهون في كتابه (مرشد الطالبين) : «مجهول»[٢]، ويقول الدكتور جورج بوست في قاموسه : « ينسب البعض تأليف هذا السفر إلى عزرا ، وآخرون إلى كاهن يدعى يهوياقيم ، والبعض ينسبونه إلى أعضاء المجمع العظيم ، على أن الأكثرين ينسبونه إلى مردخاي »[٣] .

أما مقدمة السفر الكاثوليكية فترى تأخر تأليفه « فقد يرجع إلى الجيل الثاني قبل المسيح »[٤] ، وهو ما يوافق عليه الأستاذ حبيب سعيد: «ليس هناك أي دليل ينبئ عمن هو كاتب هذا السفر، وعن تاريخ كتابته .. لا ندري متى كتبت القصة، ويذهب بعضهم إلى أنها كتبت حوالي سنة ١٣٠ ق م ، لأنها تعكس وجهة نظر المكابيين»[٥] .

وقد شكك البعض في قانونية السفر ، وحذفه مليتو أسقف سارديس عام ١٧٠م (صاحب أول قائمة مسيحية لأسفار العهد القديم) من قائمته للأسفار المقدسة التي ذكرها في كتابه (الخلاصة) ، ومثله صنع القديس أثناسيوس في قائمته ، وعلى نهجهما مشى مارتن لوثر الذي رفض لوثر اعتبار السفر ضمن الأسفار الموحى بها كما ذكر

---

(١) المدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف، ص (٢٠٤).
(٢) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، سمعان كهلون ونخبة من اللاهوتيين، ص (١١٨).
(٣) قاموس الكتاب المقدس ، جورج بوست (١/ ٨٥).
(٤) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (١/ ٨٧٧).
(٥) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (١٥٩).

ذلك قاموس الكتاب المقدس ، بل قال عنه : « ليت هذا السفر لم يوجد »[١] .

وفي النسخة اليونانية فقرات يعتمدها الكاثوليك، وهي زيادات غير موجودة في النص العبراني ، مثل حلم مردوخاي وصلواته وسوى ذلك ، وقصد المترجمون إلى اليونانية بهذه الزيادات إضفاء صفة دينية على السفر العبري الذي ليس فيه ما يشير إلى أنه نص ديني ، كما صرحت المقدمة الكاثوليكية للسفر .

يقول محررو قاموس الكتاب المقدس : « لا يوجد تناسق أو انسجام بين السفر في العبرية وبين هذه الزيادات ، بل إن هناك تناقضًا بينها ، فتذكر هذه الإضافات أن ملك الفرس في ذلك الحين هو ارتزركسيس بدلًا من روكسيس ، وتذكر أن هامان كان مقدونيًا بدلًا من كونه فارسيًا »[٢] .

سفر أيوب :

من المفترض أن يكون هذا السفر من كتابة النبي أيوب ، لكن جاء في وسط السفر ما يدل على أن كاتبًا آخر غير أيوب قد تدخل فيه ، ففي نهاية الأصحاح ٣١ يقول : « **تمت أقوال أيوب** » (أيوب ٣١: ٤٠) من غير أن ينتهي السفر حينذاك ، بل استمر بعده أحد عشر أصحاحًا تحدثت عن أيوب .

وفي نهاية السفر « **وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة، ورأى بنيه ، وبني بنيه**

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص (٦٤) ، وتاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (١٨٩) ، كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردوم ، ص (١٧٠)، ومصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (٩٦).

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص (٦٦)، وانظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٤٧) ، والكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٠١).

إلى أربعة أجيال ، ثم مات أيوب شيخًا وشبعان الأيام » (أيوب ٤٢ : ١٦-١٧) ، فهل هذا أيضًا من كتابة أيوب ؟

ويعبر القس صموئيل مشرقي عن الرأي التقليدي للكنيسة في تحديد مؤلف هذا السفر وزمن تأليفه : «لا ندري متى كتب هذا السفر .. وينسبه البعض لموسى، والبعض لسليمان، على أن الإجماع يتجه إلى أن كاتبه هو أيوب نفسه»[(١)] .

لكن هذا الإجماع المدعى لا يلقى احتراماً في الأوساط العلمية التي اطلعت على خبر موت أيوب في السفر : «**ثم مات أيوب شيخًا وشبعان الأيام**» (أيوب ٤٢: ١٧)، لذلك تحاول المقدمة الكاثوليكية للسفر تحديد زمن التأليف ، فترى أن «كاتب هذا السفر يأتي بعد إرميا ، وقد استلهمه (أي من إرمياء) وبعد حزقيال ، وهو سابق دون شك للعهد الإغريقي ، وأغلب الظن أنه من أبناء الجيل الخامس »[(٢)] .

وأما الدكتور جورج بوست فيذكر في قاموسه أنه «لا يعلم واضعه عن يقين، إنما المعروف أنه سفر قديم، نسبه بعضهم إلى موسى حينما كان في مديان، وزعم آخرون أنه كتب في عصر سليمان»[(٣)] .

وأما محررو قاموس الكتاب المقدس فيحاولون من جهتهم تعريفنا بالكاتب المجهول وزمن تأليفه لهذا السفر فيقولون : « ويعتقد أن الكاتب من أهل فلسطين ، ولا يمكن تعيين تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق ، وقد ظن بعض النقاد أنه كُتب

(١) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١٠٥)، وانظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٢١١).

(٢) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (٢/ ٥).

(٣) قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست (١/ ١٨٩).

في عصر إرميا ، وظن آخرون أنه كتب بعد السبي .. إلا أن غيرهم يظنون أنه كتب في القرن الرابع قبل الميلاد .. يحتمل أنه يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد » ، فما الذي يختاره القارئ من هذه التواريخ التي تحيرنا لتباعدها ، لكنها على كل حال تتفق على أن هذا الكاتب مجهول[١].

ويحسن أن ننبه هنا إلى أن النسخة الكاثوليكية اليونانية لسفر أيوب تنقص ما يقرب من خُمُس السفر المذكور في النسخة العبرانية .

سفر المزامير :

يحوي سفر المزامير مائة وخمسين مزمورًا تنسب إلى مؤلفين مختلفين ، إذ ينسب إلى النبي داود ثلاثة وسبعون مزمورًا ، وإلى موسى مزمور واحد ، وإلى أساف اثنا عشر مزمورًا ، وينسب إلى بني قورح تسعة مزامير ، ومزموران إلى سليمان ، وآخر إلى ايثان ، وتسمى المزامير الباقية (٥١ مزمورًا) بالمزامير اليتيمة لأنه لا يعرف قائلها[٢]!!

فكيف وصفت بالوحي ؟ وهل كان بنو قورح أيضًا أنبياء ؟ وهل كان أساف كبير المغنيين في بلاط داود نبيًا ؟ وما أدلة نبوة هؤلاء ؟ إن أحدًا لا يملك إجابة عن هذه الأسئلة .

والمتأمل في المزامير يدرك بوضوح كبير أن المزامير تعود إلى ما بعد داود وسليمان ، وتحديدًا إلى القرن السادس قبل الميلاد ، إلى أيام السبي البابلي ، وذلك يظهر من أمثلة متعددة .

منها ما جاء في المزمور التاسع والسبعين والمنسوب لآساف كبير المغنيين في بلاط

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين، ص (١٤٨).

(٢) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٢٢٢).

الملك داود ، حيث يقول : « **اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك ، ونجسوا هيكل قدسك ، وجعلوا أورشليم أكوامًا ، دفعوا جثث عبيدك طعامًا لطيور السماء** » (٧٩: ١-٢) .

ومثله في قوله : « **الرب يبني أورشليم ، يجمع منفى إسرائيل يشفي المنكسري القلوب ، ويجبر كسرهم** » (١٤٧: ٤) .

ومثله « **على أنهار بابل جلسنا .. بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون .. لأنه هناك سألنا الذين سبونا** (بعد السبي البابلي) **كلام ترنيمة ، ومعذبونا سألونا فرحًا قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون** » (١٣٧ : ١) ... وغيرها .

وهذه الأمثلة تثبت أن كتابة المزامير تأخرت عن داود ما لا يقل عن أربعة قرون، وعليه فلا تصح نسبتها إليه أو إلى معاصريه .

ويتشكك ميلر وهوبر في صحة نسبة المزامير الداودية: «قد لا يكون داود قد كتب فعلاً الـ ٧٣ مزموراً المنسوبة إليه، فالأداة العبرية التي تنسب هذه المزامير له هي حرف الجر (اللام)، وهي قد تعني: (بواسطته)، أو تعني: (عنه) أو (لأجله) .. يقول كثير من العلماء أن هذه الإشارات لداود قد أضافها على الأرجح محررون بعد وقت طويل من كتابة المزامير»[١] .

وكذلك فإن الرابي نحمان كروكمل حلَّل سفر المزامير، «فوجد فيه مصدر تسبيح بابلي، يعني: مزامير قيلت بواسطة العائدين من بابل .. ووجد فيها أيضًا تسابيح آشورية ويونانية غناها الأتقياء الغيورون عند خروجهم للحرب في عصر الحشمونيين»[٢] الذين حكموا بين عام ١٤٠-١٦١ ق م، أي أن هذه المزامير كتبت بعد داود بأزيد من ٨٠٠ سنة.

---

(١) تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، ستيفن ميلر وروبرت هوبر، ص (٢٥).
(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٢١٥).

لكن الكنيسة تصر على أنها من وحي الله ، فلديها دليل غريب ، فإن هذه المزامير « تستعمل اليوم في عبادة الكنيسة المسيحية ، وتناسب ذوق جميع الطوائف على حد سواء ، ولعل هذا دليل على كونها موحى بها من الله »(١) .

سفر (الأمثال) و (الجامعة) و (نشيد الأنشاد) :

وتنسب الأسفار الثلاثة حسب التقليد الكنسي واليهودي إلى النبي سليمان عليه السلام(٢) .

لكن التأمل في سفر الأمثال يظهر فقرات لا تصح نسبتها إلى سليمان ، فقراءتها تظهر أن لها أكثر من كاتب بدليل تكرار الكثير من الأمثال باللفظ أو بالمعنى كما في (١٨ : ٨ و ٢٦ : ٢٢ و١٩ : ٢٤) .

وقد نص السفر على أن بعض هذه الأمثال لسليمان ، فقد بدأ بقوله : « **أمثال سليمان بن دواد ملك إسرائيل** » (١ : ١) ثم عاد في الأصحاح العاشر ، فأكد عليه .

وكذا في الأصحاح الخامس والعشرين يؤكد أن سليمان هو قائل هذا السفر ، ويضيف بأن الذي نقلها عنه هم رجال الملك حزقيا ، فيقول : « **هذه أيضًا أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا** » (٢٥ : ١) .

ولا نعرف من هم رجال حزقيا ، ولا كيف وصلت إليهم كلمات النبي سليمان ، وهل هم أيضًا أنبياء ، علمًا بأن حزقيا هو الملك الثاني عشر بعد سليمان ؟

وفي الأصحاح الثلاثين تنسب مجموعة الأمثال إلى غير سليمان ، ففيه « **كلام أجور ابن منقية مسا** » (أمثال ٣٠: ١) ولا يذكر السفر نبوته ولا إلهاميته ، وفي

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٤٣١).

(٢) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٢٣٨، ٢٤٤).

الأصحاح الذي يليه « **كلام لموئيل ملك مسّا ، علمته إياه أمه** » (٣١: ١) ، ولا يذكر لنا السفر كيف اعتبر هذا الذي علمته أمه من الوحي .

ويقول المدخل السفر في التوراة الكاثوليكية : « السفر ليس بكامله من تأليف هذا الملك ، وهو يسند إلى مجموعتين مهمتين .. المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائي بعد السبي .. يستحيل تحديد أصل هذه المجموعات حتى المسندة منها إلى سليمان .. إن عددًا كبيرًا من هذه الأمثال لا صفة دينية لها البتة »[١] .

وأما جون باكلين وزملاؤه مؤلفو «المدخل إلى الكتاب المقدس» ، فيرون أن السفر من إنتاج عدد غير معلوم من المؤلفين المجهولين ، وقد علم من السفر أسماء ثلاثة منهم فقط ، يقول المدخل : « اشترك في كتابة سفر الأمثال العديد من الكتَّاب منهم ثلاثة مذكورون فيه بالاسم، وهم : سليمان وآجور ولموئيل ، وهناك قسم واحد من السفر على الأقل مجهول الكاتب »[٢] .

وأما سفر الجامعة فيبدأ بقوله : « **كلام الجامعة بن داود الملك في أورشليم** » (١: ١)، وفي موضع آخر: « **أنا الجامعة ، كنت ملكًا على إسرائيل في أورشليم** » (١: ١٢) .

وليس في ملوك بني إسرائيل من اسمه الجامعة ، وقد ذكروا في (١أخبار ٣: ١-٢٢)، لذلك ينسبه الكهنوتيون إلى سليمان ، ولا يصح هذا لأنه يقول : « **رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم ، وموضع العدل هناك الجور ..** » (٣: ١٦) .

ومثل هذه الصورة التشاؤمية لا يمكن أن تصدر عن النبي سليمان الملك الذي

---

(١) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (٢/ ١٦٦).

(٢) انظر : مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ص (٢٠٧)، وفجر الضمير، جيمس بريستد، ص (٣٩٦).

يملك رفع الحق وتثبيته ، ومثله « **ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجري تحت الشمس ، فهُوَذا دموع المظلومين ، ولا معز لهم من يد ظالميهم** » (٤ : ١) ، ومثله كثير ، فالسفر يحمل صورة تشاؤمية لا يمكن أن تصدر عن نبي ملك، لذا يصفه مدخل السفر في التوراة الكاثوليكية بأنه «أشد أسفار الكتاب المقدس غموضًا، وأجدرها في تضليل القارئ السطحي.. وأول ما يطالعنا به السفر في سطوره الأولى هو موجة تشاؤم عميق .. وكأني به يحط الإنسان إلى مستوى البهيمية .. كتب حوالي السنة ١٨٠ق م»[١]، وهذا التاريخ يبعد عن وفاة سليمان بأكثر من ٧٠٠ عام.

وهذا التاريخ المتأخر يوافق عليه المؤرخ اليهودي هاينريخ جريتس بقوله: «ينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودس وروث إلى عصر الغزو اليوناني، ونشيد الأناشيد إلى عصر المقدونيين، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين» [٢].

وأما سفر نشيد الأنشاد فهو أشد الأسفار إثارة ، وقد تعرض لتردد كثير حتى قُبل وأضيف للكتاب المقدس ، يقول عنه الآباء اليسوعيون : « إن هذا الكتاب الصغير يمثل مسألة من أشد الأمور المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدس ، فما معنى تلك القصيدة أو تلك المجموعة من القصائد الغزلية في العهد القديم، فللكتاب طابع غرامي، وهو لا يتوقف إلا على الجمال الطبيعي .. لا نجد فيه أي مفتاح لتفسيره . من الذي ألفه ؟ وفي أي تاريخ؟ ولماذا أُلف ؟ .. من الواضح أن مؤلفها ليس سليمان »[٣]، ويضيف فيلسيان شالي : « أما الأعمال الأخرى فقد نشأت عن مختلف المؤمنين من

---

(١) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (٢/ ٢٠٨).

(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٩٨).

(٣) انظر مقدمة سفر نشيد الأنشاد في الرهبانية اليسوعية، ص (١٣٧٨).

غير الذين تعزى إليهم تقليديًا ، وعلى سبيل المثال فإن نشيد الأنشاد بالتأكيد ليس من عمل سليمان »[١] .

وهذا السفر «كان ممنوعًا عند العبرانيين المبتدئين، ولا يسمح به إلا لمن يسعون نحو الكمال، فهو كما يقول أوريجانوس : إنه سفر البالغين»[٢]، ويقول مدخله: « لا يقرأ نشيد الأنشاد إلا القليل من المؤمنين ، لأنه لا يلائمهم كثيرًا » [٣]، ويقول وشتن : «إنه غناء فسقي فليُخرج من الكتب المقدسة»، وقال العالم الكاثوليكي توماس وارد في كتابه (Errata of the Protestant Bible) عنه : «غناء نجس »[٤].

ويقول ديورانت: «ومهما يكن أصلها فإن وجودها في التوراة سر خفي ، ولكنه سر ساحر جميل، ولسنا ندري كيف غفل- أو تغافل- رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية ،فأجازوا وضعها بين أقوال إشعيا والخطباء»[٥].

سفر إشعيا :

وينسب السفر إلى النبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد عاصر الملك عزيا ثم يوثام ثم أحاز ثم حزقيا ، ولكن السفر يتحدث عن الفترة الممتدة بين القرنين

---

(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٦٠).

(٢) مقدمة تفسير سفر نشيد الأنشاد، أوريجانوس.

(٣) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (٢/ ٢٢٦).

(٤) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٠) ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد (٢/ ٢٦٦) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (٢٣٥ – ٢٣٦).

(٥) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٣٨٨).

الثامن والسادس قبل الميلاد مما يؤكد أن ثمة كاتبًا أو كاتِبِين قد كتبوا ذلك بعد إشعيا، ومن أمثلة ذلك حديثه عن بابل الدولة العظيمة وتنبؤه بإنهيارها .

وأيضًا حديثه عن كورش الفارسي الذي ردّ اليهود من السبي (انظر ٤٤: ٢٨- ٤٥: ١).

كما يتحدث عن رجوع المسبيين والشروع في بناء الهيكل في الأصحاحات ٥٦–٦٦ ، لذا يقول العالم الألماني أستاهلن : «لا يمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده حتى الباب السادس والستين من تصنيف إشعيا»[(١)]، ويقترح المؤرخ اليهودي هاينريخ (هاينريش) جريتس ستة مؤلفين تعاوروا على تأليف هذا السفر «في أزمنة مختلفة، عاش إشعيا الأول في عصر يوثام وآحاز ويحزقيا»[(٢)] .

وتنقل لنا مقدمة السفر الكاثوليكي أن « عددًا متزايدًا من الشراح الكاثوليك يعتبرون اليوم أن عمل إشعيا قد تابعه أنبياء آخرون ، لهم ما له من الأهمية ، لكنهم لم يخلِّفوا لنا أسماءهم »[(٣)].

لذا «مما لا شك فيه أن الأصحاحات ٣٣-٣٥ ليست من صنع إشعياء نفسه، بل هو من تاريخ متأخر، من السبي أو ربما بعد السبي .. يؤيد جمهرة العلماء أن هذه الإعلانات من عمل نبي آخر عاش في بابل في وقت داريوس .. على أن اسم هذا النبي

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٠).
(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٩٧).
(٣) مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (٢/ ٣٤٠-٣٤١).

قد طُمر في بطن التاريخ»[١].

سفر إرمياء :

أما سفر إرمياء فإن تقاليد الكنيسة تنسبه إلى النبي إرمياء ، ولا تصح هذه النسبة، إذ هو من عمل عدة مؤلفين ، بدليل تناقضه في ذكر الحادثة الواحدة ، ومن ذلك تناقضه في طريقة القبض على إرمياء وسجنه (انظر : إرمياء ٣٧: ١١-١٥ و ٣٨: ٦-١٣) .

كما يحمل السفر اعترافًا بزيادة لغير إرمياء ففيه « **فأخذ إرمياء درجًا آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا ، كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار ، وزيد عليه أيضًا كلام كثير مثله** » (٣٦: ٣٣)[٢].

ونقرأ فيه: « **إلى هنا كلام إرمياء** » (٥١: ٦٤) ، ويستمر السفر ، فمن الذي أكمله؟

خاتمة جامعة :

ونختم مع اعتراف مهم يصدر به الآباء اليسوعيون نسختهم «الرهبانية اليسوعية»، وفيه : « أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين .. ظل عدد كبير منهم مجهولاً .. معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة ، وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمنًا طويلًا بين الشعب ، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات ، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية ، لا بل أحدث الأسفار ما هي إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة »[٣].

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (١٠٦-١٠٧).
(٢) وانظر: مقدمة السفر في نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (٢/ ٤٢٩).
(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس، الرهبانية اليسوعية، ص (٣٠).

وقد صدق موريس فورن حين قال : « لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة ، وفي أي حال ، وظروف ؟ وبأقلام من كتب ؟ لا نجد أحدًا يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متباينة متخالفة جدًا ..

والملخص أن المذاهب العلمية الجديدة ترفض أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد النصارى واليهود ، وتقوض بنيان ادعاء السابقين ، وتبرئ الأنبياء من تلك الكتابات » .

ويواصل فيقول : « ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضًا ، فالحديث يناقض سابقه ، والسابق ينافي الأسبق ، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد .. وأيِسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقي »(١) .

وأما القس صموئيل مشرقي وهو ممن يصر على صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى، فلا يمانع من التشكك في صحة نسبة بقية الأسفار: «فإن المؤرخين [يقصد المؤلفين] هنا بوجه عام يخفون شخصياتهم ، ولا يذكر اسم أي واحد منهم في أي حالة، فنحن لا نعلم من هم، بعضهم ولاشك كان من الأنبياء، والبعض كان ينتمي للكهنوت»(٢).

وأما الأب جورج سابا فلا يرى في مجهولية المؤلفين والمضيفين بعدهم ما يمنع من الحكم بإلهامية هذه المؤلفات: «يتمتع بموهبة الإلهام هذه جميع أولئك الذين ولو جهلت أسماؤهم، أسهموا، بطريقة ما في عرض النص المقدس والذين

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص (٤٦٨ – ٤٦٩).

(٢) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (٨٨).

أسهموا في تأليف سفر ما، أو تعاقبوا على تأليفه حتى ولو اشتمل السفر على وثائق ترتقي إلى أزمنة مختلفة، ثم جددت وجُمعت، لذا فالسفر الناجم عن ذلك يُعد سفرًا ملهمًا بكامله»[١].

إذًا هذه الأسفار مجهولة المؤلف ، لا تصح نسبتها إلى الأنبياء ، بل هي من عمل الشعب اليهودي طوال عصور التاريخ اليهودي ، وقد استلهموا هذه الكتابات من تقاليدهم ، لا من الله ووحيه ، وكل ذلك شاهد على أن هذه الأسفار ليست كلمة الله ، فما أدرانا ما هو حال هؤلاء المؤلفين المجهولين؟ هل كانوا مؤمنين أمناء أم متهمين تركوا بصمات تلاعبهم ـ في الكتاب ـ واضحة لكل ذي عينين .

هل يقبل العقلاء صكوك بيع أو شراء أو ائتمان أصدرها مجهولون في قضايا دنيوية بسيطة تتعلق بحفنة من الدولارات ؟ وإذا كانوا لا يقبلونها ، فكيف يقبلون روايات المجاهيل في قضية يتعلق فيها مصير المليارات من بني الإنسان ؟! .

وصدق الله حين قال : ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ [البقرة: ٧٩].

(١) انظر: على عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٣٨).

الوثنيات القديمة والتوراة

حين نتحدث عن كتاب إلهي، فإننا لا نعترف لهذا الكتاب إلا بمصدر واحد علوي، يلهم أو ينقل وحيه إلى نبي من أنبيائه، فحينذاك يحق لنا أن نعتبر هذا الكتاب إلهيًا.

في حالة العهد القديم، لدينا كُتاب مجهولون كتبا أسفارًا لم يدَّعوا إلهاميتها أو تنزيلها، بل هي كتابات بشرية ، يصح عليها ما يصح على غيرها من كتب سائر الناس.

ومؤلفو العهد القديم كسائر المؤلفين كانت لهم مصادر نهلوا منها معلوماتهم، فصرحوا بنقلهم من كتب يهودية قديمة وأحالوا إليها، مثل (سفر ياشر، سفر حروب الرب، تاريخ النبي ناثان...)، وهو أمر مستغرب غير مفهوم مع ادعاء الوحيانية، كيف ينقل الوحي من كتب بشرية أو يحيل عليها؟ ما حاجة الوحي إلى الاستعانة بتلك الكتب التي كتبها مجهولون أو معلومون ممن خلقهم منزل الوحي؟

البعض رأى أن هذه النقولات كانت من كتب موحى بها، ثم طواها الضياع والنسيان، والبعض اعترف بأنها أسفار بشرية كانت مصدرًا للأنبياء الذين كتبوا وحي الله المدون في أسفار العهد القديم، يقول القس صموئيل مشرقي: «وها نحن نقدم كشفًا جزئيًا بالمصادر التي أخذوا عنها، وهي: سفر ياشر، سفر حروب الرب، تواريخ شمه وعدوَ المتعلقة بالأنساب، تاريخ النبي ناثان، كتب عدوَ الرائي..»[1].

وكذلك نقل مؤلفو الأسفار المقدسة من ثقافات الأمم الوثنية المجاورة لبني إسرائيل ، بل كادت بعض سطورهم أن تكون نقلًا حرفيًا لما في تلك الكتابات، فالكثير

---

(١) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (٩٨).

من القصص التوراتية انتحلها كُتاب العهد القديم من أساطير الأمم السابقة لبني إسرائيل ، وظهر صداها واضحًا في أسفار العهد القديم .

أولها: قصة الخلق، خلق الكون والإنسان، فهذا الموضوع كان حاضرًا في أدبيات الوثنيين قبل اليهودية وبعدها، وأول ما لفت نظر العلماء أن سفر التكوين يذكر قصتين للخلق، لذلك أسمى الآباء اليسوعيون المقطع الأول (التكوين ١: ١٢: ٤) «الرواية الأولى لخلق العالم»، بينما أسموا المقطع الثاني (التكوين ٢: ٥-٢٠) «الرواية الثانية لخلق العالم»، وقد نسب الأولى منهما إلى «المصدر الكهنوتي»، والثانية إلى «المصدر اليهوي»[١]، وفسر حبيب سعيد وجود القصتين بالنضج المتصاعد للإنسانية التي ينقل عنها مؤلفو الكتاب قصتهم للخلق، فـ «إحداهما تمثل الفكر الإنساني في طور البداءة، وتمثل الأخرى الفكر الإنساني بعد أن نال قسطًا من النضوج في معرفة الله، الأولى: للأطفال، والثانية: للبالغين.. يقول العلماء: إن القصتين ترجعان إلى زمنين مختلفين، وقد تكون الأولى متأخرة عن الثانية مئات السنين»[٢].

ومن أهم مصادر القصص التوراتي أساطير العراق، ومن أهمها وأقدمها ملحمة جلجامش السومريّة ، وهي مقطوعة شعريّة مكتوبة بالخط المسماري على اثني عشر لوحًا طينيًا اكتشفت عام ١٨٥٣م، وبحسب عالم الآثار الألماني ينسن إرميا في أواسط القرن العشرين في كتابه «أسطورة جلجامش في الأدب العالمي»: «كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية، وأن كل أبطال التاريخ العبري القديم لم يوجدوا، ولم يُخلَقوا، بل هم نتاج الميثولوجيا [الأساطير]،

(١) انظر مقدمة الآباء اليسوعيين لنسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٦٨-٧١).
(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٧١)، وانظر: أسئلة في العهد القديم، أوسم وصفي، ص (١٤)، وانظر: فجر الضمير، جيمس بريستد، ص (٣٩٤).

وهـم أبطالهـا بأسـاليب مختلفـة، حيـث تختلـف هـذه عـن تلـك علـى أسـاس السـبط والمكان»[١].

ولحظ العلماء التشابه الكبير بين ملحمة جلجامش وبين الأسفار التوراتية، ومن ذلك قصة آدم وحواء وإغواء الحية لهما بالأكل من شجرة الحياة ، فالرب الإله أخرج آدم من الجنة حذرًا من وصول آدم إلى هذه الشجرة التي سيكسبه الأكلُ منها الخلودَ في الحياة « **وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد**» (التكوين ٣: ٢٢)، وهي قصة منحولة من ملحمة جلجامش التي تذكر أسطورته أنه حزن على موت صديقه أنكيدو، وقرر البحث عن سر الخلود، فطال بحثه حتى وصل إلى نبتة الخلود، لكنه حرم منها، فقد سرقتها أفعى ، فأكلتها، فوهبت لها الحياة، يقول الأب الكاثوليكي سهيل بن بطرس قاشا: «نص سفر التكوين كتب في القرن الخامس قبل الميلاد، افترض أن الإنسان مائت لا محالة بسبب الخطيئة .. شجرة الحياة التي منع الإنسان الأكل منها صارت غاية لا يمكن الوصول إليها إلا بالسعي المستقيم والتجرد الكامل عن الحياة ليكسب الحياة، كما فعل جلجامش مع أوتونابشتيم [الذي نال الخلود]، فيكون النص التوراتي – والحال هذه – متأثر إلى حد بعيد بالنص الملحمي لجلجامش، حيث يلتقيان بالغاية والوسيلة التي تؤديان بالإنسان إلى الخلود في الحياة الثانية .. اعتبرت التوراة أن الإنسان لن يصل إلى الحياة الخالدة، لن يستطيع أن يقطف من ثمر شجرة الحياة إلا إذا خضع لله الذي وحده هو الحياة، وواهبها لمن يشاء من خلقه، من هنا بدأت مسيرة الحياة الحقيقية، مسيرة الخلاص والإيمان التي

(١) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٦٥).

أطلقها يسوع المسيح وتبناها»[١].

وهكذا بحسب الأب قاشا فإن قصة الحية التوراتية التي حرمت آدم من الخلود والأكل من شجرة الحياة مستنسخة من نبتة الخلود التي خطفتها أفعى من بين يدي جلجامش ، ليذوق الموت، ويبحث عن سر الخلاص منه، فجاء المسيح ليكمل فصول الأسطورة، فهو الحق والحياة «**هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت** » (يوحنا ٦ : ٥٠).

والثاني : نقل كُتّاب التوراة قصة الطوفان من البابليين الذين طوروا القصة السومرية، حيث تتشابه قصة الطوفان التوراتية مع العمودين الثالث والرابع من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش ، حيث جاء في الملحمة : « وما أن لاحت تباشير الصباح ، حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء .. اقتلع أريجال الدعائم ، ثم أتى ننورتا ، وفتح السدود .. بلغت ثورة حدد تخوم السماء ، أحالت كل نور إلى ظلمة ، والأرض [الفسيحة] قد تحطمت [كما الجرة] ، ثارت العاصفة يومًا (كاملًا) ، تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال ، أتت على الناس ، (حصدتهم) كما الحرب ، عميَّ الأخ عن أخيه، وبات أهل السماء لا يرون الأرض ، حتى الآلهة ذعرت من هول الطوفان .. ستة أيام وست ليال ، الرياح تهب ، والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض .

ومع حلول اليوم السابع . العاصفة والطوفان ، التي داهمت كجيش ، خفت شدتها ، هدأ البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان .. واستقرت السفينة على جبل نصير .. أتيت بحمامة وأطلقتها .. طارت الحمامة بعيدًا ثم عادت إليَّ .. أتيت بغراب

---

(١) بابل والتوراة، سهيل قاشا، ص (٢٨-٢٩)، وانظر: تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٥٧).

وأطلقته .. طار الغراب بعيدًا ، فلما رأى الماء قد انحسر ، حام وحط وأكل . ولم يعد ».

وهذه المقتطفات من الملحمة تشبه كثيرًا ما جاء في قصة الطوفان في سفر التكوين، حيث جاء فيه : « **وتعاظمت المياه وتكاثرت جدًا على الأرض، فكان الفلك يسير على وجه المياه، وتعاظمت المياه كثيرًا جدًا على الأرض، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء، وانسدّت ينابيع الغمر وطاقات السماء، فامتنع المطر من السماء . ورجعت المياه عن الأرض رجوعًا متواليًا ، وبعد مائة وخمسين يومًا نقصت المياه .**

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط، وأرسل الغراب، فخرج مترددًا حتى نشفت المياه عن الأرض .. ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجه الأرض، فلم تجد الحمامة مقرًا لرجلها . فرجعت إليه إلى الفلك ، لأن مياهًا كانت على وجه كل الأرض ، فمدّ يده وأخذها ، وأدخلها عنده إلى الفلك ، فأتت إليه الحمامة عند المساء ، وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها ، فعلم نوح أن المياه قد قلّت عن الأرض، فلبث أيضًا سبعة أيام أخر ، وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضًا » (التكوين ٧: ١٨-٨: ١٢)[1].

ومن صور التشابه أيضًا ما ذكره سفر التكوين عن مضاجعة لوط لابنتيه بعد أن أشربتاه المسكر . (انظر التكوين ١٩: ٣٠- ٣٧) والتي انتحلها العهد القديم وكتابه المجهولون من أسطورة مصرية تتحدث عن إلهة الموت « نفتيس » التي كانت تتمنى أن تنجب

---

(١) كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش، فراس سواح ، ص (٢١٠-٢١٥)، وانظر: ملحمة جلجامش، ترجمة: طه باقر ، ص (٩٨-٩٩).

طفلًا من أخيها الأكبر أوزوريس ، فأسكرته وضاجعته ، فولدت منه الإله أنوبيس[١] .

وأما سفر أستير والذي يذكر قصة إستير وابن عمها مردخاي ، وانتقامها من هامان وزير ملك فارس أحشويرس ، فالقصة مشابهة لما جاء في التراث البابلي في ملحمة البابليين والعيلاميين ، ولكل بطل من أبطال القصة التوراتية مقابل في الأسطورة البابلية ، فإستير اليهودية هي عشتر البابلية ، وهامان هو إله العيلاميين ، ومردخاي هو مردوك البابلي .

ومما يؤكد هذا الاقتباس أن التاريخ الفارسي لا يذكر شيئًا عن أبطال القصة التوراتية وخاصة إستير والملكة فشني[٢] .

وأما المزامير فتتشابه مع الأناشيد والتراتيل المصرية وغيرها ، فالعالم أدولف إيرمان في بحثه القيم (مصدر مصري لأمثال سليمان) والذي قدمه عام ١٩٢٤م ، وتابعه فيه العالم جيمس هنري برستيد في كتابه (فجر الضمير) ، فإنهما يريان بأن المزمور ١٠٤ منقول بشكل شبه حرفي من نشيد أخناتون الكبير الذي وجهه إلى آتون «رع» الشمس ، وخاصة الفقرات (٢٠-٣٠)، فقد أوصلت بريستدَ – ومن قبله البحاثة هوجو جرسمان- المقارنةُ بين النصين إلى «مدى الشبه المدهش بين الصورتين، لا من حيث مضمون نشيد أخناتون فحسب، بل إننا كذلك نجده في تتابع الأفكار وترتيبها الظاهري»، وهو ما أدى بهما إلى الاستنتاج أن نشيد أخناتون هو «بلا تردد المنهل الذي استقى منه المزمور ١٠٤»[٣] .

(١) انظر: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، شوقي عبد الحكيم ، ص (٦٨).

(٢) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٤ ، ١٥٨-١٥٩).

(٣) فجر الضمير، جيمس هنري بريستد، ص (٣٩٣-٣٩٤) .

وهذا ما أكدته دائرة المعارف الكتابية حيث تقول : « البحث الأركيولوجي في بابل وفي مصر قد كشف عن أناشيد متقدمة .. كما أن الكشف عن آداب الكنعانيين في أوغاريت .. قد أمدنا بقصائد هامة مشابهة للمزامير منذ عصر موسى »[١] .

كما يرى المحققون تشابهًا مثيرًا بين أوصاف « **يهوه** » في التوراة وأوصاف «البعل» في النشيد الأول «بعل ويم» المكتوب باللغة الآكادية في الألفية الثانية قبل الميلاد، فيجزمون أن القصيدة الأوغاريتية (اللاذقية) « **للبعل** » والتي اكتشفت في ثلاثينيات القرن الماضي، وتحوي قصائد جرى الاقتباس منها في التوراة بعد تنقيحها باستبدال اسم « **البعل** » باسم « **يهوه** » ، فأضيفت إلى الله ووحيه، ومن ذلك وصف «يهوه» بأنه يركب الغمام ، فهو «**المسقف علاليه بالمياه، الجاعل السحاب مركبته**» (المزمور ١٠٤: ٣)، (وانظر: المزمور ٦٨: ٣٤ والتثنية ٢٣: ٦٦) ، وهو معنى مستعار من أوغاريت ، فقد تكرر في قصائد أوغاريت كثيرًا، منها أن بعل امتدح نفسه لما عفا عن الأمير «يم»، وقال: «الملك للعلي بعل، الملك لراكب الغمام»[٢].

وكذلك فإن «يهوه» التوراتي يسكن الجبال: «**لماذا أيتها الجبال المسنمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه، بل الرب يسكن فيه إلى الأبد** » (المزمور ٦٨: ١٦)، كما سكن «بعل» من قبل في جبل «صوفان»، ففي القصيدة الثانية نقرأ : « أريد بيتًا ، مثله لم تر السماء .. في قلب جبلي المقدس، في جبل ميراثي »[٣].

وكذلك وصفت الأسطورة الأوغاريتية صوت «البعل» بأنه «ومن بين شفتيه

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (٤/ ٢٣٣-٢٣٤) ، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (٩٠٢).
(٢) أناشيد البعل (قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية)، حسني حداد وسليم مجاعص، ص (٢٦).
(٣) المصدر السابق، ص (٣٥-٣٦).

يرسل رعده، من صوته المقدس ارتجفت الأرض، من الرعد، من شفتيه مادت الصخور»[١]، وفي سفر أيوب: «**يزمجر صوت يرعد بصوت جلاله، ولا يؤخرها إذ سمع صوته** » (أيوب ٣٧: ٤).

وكما تتحدث اللوحات الأوغاريتية عن نوافذ الخصب التي فتحها البعل للمطر، فقد أمر : «لتفتح كُوى في السحب»[٢] ، فإن التوراة تتحدث في مواضع شتى عن «**طاقات السماء**» (التكوين ٧: ١١)، أي نوافذها التي فجرت طوفان نوح، ويسميها سفر إشعيا «**ميازيب من العلاء انفتحت**» (إشعياء ٢٤: ٨)، ومن هذه النوافذ أو الميازيب أو الكوى ينزل المطر: « **قال رب الجنود: إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع** » (ملاخي ٣: ١٠).

وأما المزمور ١٩ فمقدمته هي الابتهالات عينُها التي كانت تقدم لإله الشمس[٣] .

وأما المزمور ١٣ فيكاد يتطابق مع رثاء الإلهة عشتار واهبة الخير والخصب، فقد قيل لها: «إلى متى يا سيدتي ستظلين غاضبة، حتى يتحول وجهك بعيدًا؟ إلى متى يا سيدتي سيظل أعدائي يتفرسون في؟ بالحق وبغير حق يخططون الشر ضدي»[٤]، ما أشبه هذا بما ورد في المزمور: « **إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟ إلى متى أجعل همومًا في نفسي وحزنًا في قلبي كل يوم؟ إلى متى يرتفع عدوّي**

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٥)، وانظر: ملاحم وأساطير من أوغاريت، أنيس فريحة، ص (١٤٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٥٤)، وانظر: ملاحم وأساطير من أوغاريت، أنيس فريحة، ص (١٤٨).

(٣) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١٣/ ٣٨٨)، وانظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار، ص (١٣١ ، ٢٢٣).

(٤) تاريخ الكتاب المقدس من التكوين حتى اليوم، ستيفن ميلر وروبرت هوبر، ص (٢٤).

عليّ»، لا ريب أن المتأخر منهما قد نقل عن المتقدم، فإن مثل هذا لا يقال عنه توارد خواطر.

وأما سفر نشيد الأنشاد فيرى وليام ديورانت أنه من وضع شعراء عبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي وصلت مع غزو الإسكندر ، وقد يكون السفر مأخوذًا من آداب مصرية بدليل أن العاشقين كان يخاطب أحدهما الآخر : أخي . أختي ، وهو أسلوب مصري قديم[1] ، وهذا المصدر للأناشيد قد لا يكون الوحيد، فإن الأب سهيل قاشا يرى أن بعضه مقتبس من الأغاني السومرية التي تحدثت عن الإلهين الحبيبين دوموزي وإنّانا (تموز وعشتار)، ويورد مقابلات بين النصوص السومرية وسفر الأناشيد، وينبه إلى «عمق التشابه والمقتبسات في التعابير والألفاظ والصور في نشيد الأناشيد وفي النصوص السومرية»، ويراه بسبب وحدة المشاعر الإنسانية إضافة إلى «أن السبي لليهود ومكوثهم لزمان طويل في تلك البلاد لا بُد من أن يجعلاه يتأثر بطبيعتها ولغتها وأدبها التقليدي والشعبي معًا، فالعبرانيون بدأوا وأعادوا صياغة كتبهم بعد عودتهم من بلاد الرافدين إلى بلاد كنعان، فغداة هذه العودة لا بُد من أن ينطبع الأدب العبري بما عاشه وتأثر به العبرانيون»[2].

وأما سفر الأمثال المنسوب إلى سليمان (القرن العاشر ق . م) فيؤكد العالمان أيرمان وبرستيد أن بعض ما جاء فيه يتشابه بشكل فاضح من كتاب (الحِكم) لأمنموبي (أمنوفيس) المصري القديم (القرن الحادي عشر ق . م) ، وكان قد قسم كتابه إلى ثلاثين فصلًا ، واشتهر باسم (ثلاثون فصلًا من الحكمة)، ونقل كاتب السفر التوراتي

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٣٨٨)، وانظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٥٤ – ١٥٥).

(٢) بابل والتوراة، الأب سهيل قاشا، ص (٥٨)، وانظر ما قبلها.

هذه الحكم مع تغيير بسيط في ألفاظها، وصدَّرها بقوله حسب نسخة الرهبانية اليسوعية: «**ألم أكتب لك ثلاثين فصلاً من المشورات والعلم**» (الأمثال ٢٢: ٢٠).

ويجدر التنبيه إلى أن نسخًا عربية وأجنبية كانت قد أخطأت زمنًا طويلاً في قراءة هذه الفقرة، منها نسخة الفانديك، وفيها: «**ألم أكتب لك أمورًا شريفة من جهة مؤامرة ومعرفة** »، وقد كانت هذه الصيغة المبهمة للفقرة موضع شك عند العبرانيين، وحسم هذا الشك لصالح القراءة الأولى في معظم النسخ العربية والأجنبية للكتاب المقدس ، وذلك بعد اكتشاف نص أمنموبي المطابق لما في سفر الأمثال، وفي مقدمته: «تبصر لنفسك في هذه الفصول الثلاثين حتى تكون مسرة لك وتعليمًا»[١].

ومثل هذا التصحيح وقع في فقرة (الأمثال ٢٣: ١٠) التي كانت تُقرأ: «**لا تنقل التخم القديم، ولا تدخل حقول الأيتام**»، فقد أيقن العلماء أن كلمة (القديم) خطأ، تصحَّف عن كلمة (أرملة) لتشابههما في الكتابة العبرانية، وقد استندوا في هذا التصحيح إلى مصدر سفر الأمثال؛ أي إلى كتاب أمنموبي، وفيه: «لاتزحزحن علامات حدود الحقول.. ولا تتعدين على حدود أرملة» (أمينموبي ٧: ١٢-١٥)[٢].

وينقل جيمس بريستد عشرات المواضع التي تشابهت فيها فصول أمنموبي وسفر الأمثال، منها:

* قول أمنموبي : « الكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه أهلًا للعمل في رجال البلاط » (أمنموبي ٢٧: ١٦-١٧) ، بينما يقول سفر الأمثال بعده : « **أرأيت رجلًا مجتهدًا في عمله ، إنه يقف أمام الملوك** » (الأمثال ٢٢: ٢٩) .

---

(١) انظر: فجر الضمير، جيمس هنري بريستد، ص (٤٠٦-٤٠٧).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٣٩٩).

* وكذلك قول أمنموبي : « لا تصاحبن رجلًا حاد الطبع ، ولا تلحن في محادثته» (أمنموبي ١١: ١٣-١٤)، وفي سفر الأمثال : « **لا تستصحب غضوبًا ، ومع رجل ساخط لا تجيء** » (الأمثال ٢٢: ٢٤).

* وكذلك قول أمنموبي: «أمِل أذنيك لتسمع أقوالي، واعكف قلبك على فهمها، لأنه شيء مفيد إذا وضعتها في قلبك» (أمنموبي ١: ١)، وفي سفر الأمثال المكتوب بعده بقرون نقرأ: «**أمِل أذنك، واسمع كلام الحكماء، ووجّه قلبك إلى معرفتي، لأنه حسن إن حفظتها في جوفك**» (الأمثال ٢٢: ١٧-١٨).

* وحين يقول أمنموبي: «لا تتعبن نفسك في طلب المزيد حينما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك»، فإن كاتب سفر الأمثال يختصرها ببراعة: «**لا تتعب لكي تصير غنيًا**» (الأمثال ٢٣: ٤).

وحين يستعير المصري من بيئته «أجنحة الأوز» فيقول: « صنع لنفسه أجنحة كالأوز، وطار في السماء» (أمنموبي ٩: ١٤)، فإن كاتب سفر الأمثال العبراني يغير النص بما يلائم بيئته، فيقول: «**يصنع لنفسه أجنحة كالنسر، يطير نحو السماء**» (الأمثال ٢٣: ٥)[(١)].

وينتهي بريستد إلى تقرير مهم: «جميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يُعتَدُّ بآرائهم وأبحاثهم يجزمون الآن بأن محتويات ذلك الجزء الذي يؤلف نحو فصل ونصف فصل (كتاب الأمثال) قد أُخذ معظمه بالنص عن حِكم الحكيم المصري القديم أمنموبي، أي أن النسخة العبرانية هي تقريبًا ترجمة حرفية عن الأصل

---

(١) ولرؤية المزيد من صور التشابه انظر: فجر الضمير، جيمس هنري بريستد، ص (٣٩٠-٤٠٧).

الهيروغليفي العتيق»[١].

ولم ير القس صموئيل مشرقي حرجًا من الاعتراف بوجود التشابه بين سفر الأمثال والحِكم المصرية، وحاول تعليله بالربط بين التراث الوثني والوحي: «هذا ليس بغريب لارتباطه بعلم الإنسان العام وإمكانية أن تكون هناك شهادة باقية لله في سائر الفلسفات والديانات القديمة كأثر لانعكاس نور الحق الإلهي الأصلي على عقول وضمائر البشر» ، ولأجل ذلك «الوحي لم يرَ مانعًا أحيانًا لضرورة المناسبة أن يشير إلى أقوال أدبية أو شعرية مما هو مشهور بين القوم لفائدتهم»[٢].

وأما سفر الجامعة فلا يمكن أن يصدر من نبي للروح التشاؤمية والنظرة السوداوية التي تسيطر على كاتبه الذي اقتبس من الأساطير البابلية ، ومنها أن (صاحبة الحانة) نصحت جلجامش الحزين على موت أنكيدو بقولها : « أي جلجامش ، املأ بطنك ، وكن مرحًا بالليل والنهار ، بالليل والنهار كن مبتهجًا ، راضيًا ، طهر ثيابك ، واغسل رأسك بالماء ، وألق بالك إلى الصغير الذي يمسك بيدك . واستمتع بالزوجة التي تضمها إلى صدرك » .

ويشبه هذا ما جاء في سفر الجامعة وفيه « **اذهب . كُل خبزك بفرح ، واشرب خمرك بقلب طيب ، لأن الله منذ زمان قد رضي عن عملك ، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ، ولا يعوز رأسك الدهن ، إلتذّ عيشًا مع المرأة التي أحببتها** » (الجامعة ٩: ٧)[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٩٧)، وانظر حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش، ص (٢٥٦).

(٢) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١٠٤، ١٠٧).

(٣) انظر : ملحمة جلجامش ، ترجمة: طه باقر ، ص (٧٩) وكنوز الأعماق، فراس السواح، ص (١٨٨)، وقصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٢٥٩).

هذا التشابه لا يقبل الحيدة عن الإقرار بأن اللاحق قد نقله عن السابق، ويحق لنا أن نردد مع وليام ديورانت: « نرى في الآداب البابلية أمثلة سابقة لا يمكن الخطأ فيها مما ورد في سِفر الجامعة من الكتاب المقدس، من ذلك ما ورد في ملحمة جلجامش من نصح الإله سبيتو لهذا البطل بأن يكف عن شوقه إلى الحياة بعد الموت...»[١].

هذا التعليم كما يرى حبيب سعيد «يقرب من فلسفة الرواقيين.. إن كثيرًا من الألفاظ مأخوذ من أصل يوناني .. الجامعة كان متأثرًا إلى حد ما بروح الثقافة اليونانية»[٢].

وينقلنا الأب سهيل قاشا في دراسته الجريئة «حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس» إلى صور أخرى من اقتباسات التوراة من الحكيم أحيقار (٦٦٩ ق م) مستشار الملك الآشوري سنحاريب وابنه أسرحدون التي كتبها لابن اخته وابنه بالتبني نادان ، فمكتشفات عام ١٩٠٨م في جزيرة الفيلة بالقرب من أسوان حملت إلينا ١١ لوحة من كتابه «حِكم أحيقار»، وهي الحِكم التي أشار إليها مؤلف سفر طوبيا بقوله: «**فخرج أخيكار (أحيقار) إلى النور .. وبالتصدق أفلت أخيكار** » (طوبيا ١٤: ١٠).

وهذا التأثير والتأثر ليس خاصا بسفر طوبيا، بل يمتد إلى «نصوص الأسفار الحِكَمية في الكتاب المقدس كسفر الحكمة وسفر الجامعة وسفر يشوع بن سيراخ وطوبيا .. وسواها من الأسفار، أثر حكمة أحيقار فيها واضحًا وجليًا ، نصًا ومعنى، حيث تتوارد في جميعها في التفكير والتأليف، في التركيب والتعبير، حتى في اللفظ والترتيب»[٣].

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٢٥٩).

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ، ص (١٦٣).

(٣) حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، سهيل قاشا، ص (٦٦، ٦٨)، وانظر: بابل والتوراة، سهيل قاشا، ص (٧٧).

ويورد الأب سهيل قاشا – ومن قبله أنيس فريحة – نماذج من هذه التشابهات، منها قول سفر طوبيا: «**ضع خبزك وخمرك على مدفن البار، ولا تأكل ولا تشرب مع الخطاة**» (طوبيا ٤ : ٨)، فهذا المعنى في احترام الموتى لم ينزل به وحي على طوبيا، ولم يكن من إلهام الروح القدس، بل نقله من كتاب أحيقار، وفيه: «يا بني اسكب خمرتك على قبور الصديقين، ولا تشربها مع الأثمة» (أحيقار ١٠)[١].

وفي سفر الأمثال نقرأ: « **المساير الحكماء يصير حكيمًا، ورفيق الجهال يضر** » (الأمثال ١٣ : ٢٠)، وفي حكمة أحيقار: «يا بني عاشر الحكيم تصبح حكيمًا مثله، ولا تعاشر الوقح المهذار لئلا تحسب نظيره»[٢].

ويكفينا عن استعراض المزيد من صور التشابه أن نقرأ ملخص القس قاشا: «لدينا من الدلائل ما يشير إلى أن مدوني العهد القديم كانوا مطلعين على الحِكم العراقية القديمة، ولا سيما حكمة أحيقار ، حكيم البلاط الآشوري.. منها اقتبسوا النصوص الحِكَمية التعليمية ، والتي جاءت متشابهة في أكثر من سفر .. أدخلوا الكثير من النصوص العراقية القديمة في نصوص الأسفار التوراتية بعد تحويرها وتغييرها الموجه، ثم توظيفها للتوحيد»[٣].

وتتشابه كثيرًا الشرائع التوراتية مع قوانين حمورابي التي تتكون من ٢٨٢ مادة ، وقد اكتشفها عالم الآثار دو مورغان عام ١٩٠٢م على أنقاض مدينة السوس الإيرانية

---

(١) حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، سهيل قاشا، ص (٥٣)، وانظر: أحيقار حكيم من الشرق الأدنى، أنيس فريحة، ص (١٧٢-١٧٤).

(٢) بابل والتوراة، سهيل قاشا، ص (٧٧).

(٣) حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، سهيل قاشا، ص (٥)، وانظر: بابل والتوراة، سهيل قاشا، ص (١١٥).

على أسطوانة من حجر الديوريت ، وهي مكتشفات ترجع للقرن الثامن عشر حيث مات حمورابي قبل عام ١٧٠٠ قبل الميلاد[١]، أي سبقت ظهور اليهود وكتبهم بعدة قرون، وصور التشابه كثيرة ، حتى يخيل للناظر إلى كثرتها أن التوراة بشرائعها نسخة من قوانين حمورابي الوثني ، ومن صور التشابه ما جاء في الأسفار بخصوص الثور النطاح : « **إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئًا . ولكن إن كان ثورًا نطاحًا من قبل ، وقد أُشهد على صاحبه ولم يضبطه ، فقتل رجلًا أو امرأة ، فالثور يرجم ، وصاحبه يقتل أيضًا .. إن نطح الثور عبدًا أو أمة . يعطى سيدُه ثلاثين شاقل فضة ، والثور يرجم** » (الخروج ٢١: ٢٨-٣٢).

ويقابل ذلك ما جاء في قوانين حمورابي « مادة ٢٥٠-٢٥٢ » وفيه : (إذا نطح ثور أثناء سيره في الشارع رجلًا فقتله ، فلا وجه لتقديم مطالبات من أي نوع . أما إذا كان الثور ناطحًا من قبل ، وتبينت لصاحبه هذه الحقيقة ، ومع ذلك لم يكسر قرونه أو يربطه، فإذا نطح هذا الثور رجلًا حرًا فقتله ، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلاثين شاقلًا من الفضة . أما إذا نطح عبدًا فيعطى سيده عشرين شاقلًا من الفضة) .

وعند المقارنة بين صور التشابه بين قوانين حمورابي والأحكام التوراتية تبين في مطلع القرن العشرين لعالم الآثار الألماني فريدريك ديليتسش أن «في قوانين حمورابي درجة أخلاقية متسامية أكثر من تلك الموجودة في سفر العهد، وفي رأيه تفوق قصائد المزامير البابلية قصائد مزامير العهد القديم»[٢].

ولا عجب في هذه النتيجة، فالمثال السابق يعطينا مثالاً واضحًا لهذا التفوق

---

(١) انظر: قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ١٩٠).

(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٦٦).

الحمورابي، في حين جعل حمورابي عقوبة صاحب الثور النطاح المفرط في ربط ثوره «أن يدفع ثلاثين شاقلًا من الفضة» فإن التوراة جعلته « **وصاحبه يقتل** »، فلا تناسب بين الذنب وعقوبته.

ومثله التشابه بين (الخروج ٢٢: ٧) والمادة ١٢٤ من حمورابي . وكذا التشابه بين (الخروج ٢٢: ١٠-١٢) والمواد ٢٤٤-٢٤٦-٢٦٦ من قوانين حمورابي ، وكذا (الخروج ٢١: ١٨- ١٩) والذي يشبه المادة ٢٠٦ من شريعة حمورابي ، في حين يتشابه (الخروج ٢١ : ٢٢) مع مادة ٢٠٩ من شريعة حمورابي[(١)].

وتعقب دائرة المعارف الكتابية التي أوردت هذه التشابهات: « وهكذا نجد العديد من المشابهات في المواضيع والأحكام ، بين شريعة موسى وقوانين حمورابي .. لا نستطيع الجزم بأن التوافقات التي عرضناها قد جاءت نتيجة مصادفة عشوائية .. وعندما اتصل الإسرائيليون بالحضارة البابلية بعد دخولهم إلى أرض كنعان ، كان من الطبيعي أن يستخدموا ما أفرزته تلك الحضارة ، مما وجدوه فيها نافعًا لهم »[(٢)] .

وحين تتحدث الأساطير عن بعض الحيوانات التي تنتمي إلى فصيل الخيال والخرافة ، لا الحقيقة، فإن أسفار التوراة تنقل هذه الأساطير ، وتقدمها للقراء على أنها جزء من وحي الله ، وتتركز هذه الخرافات في سفر أيوب ، الذي كان ثيودور المبسوستيائي (ت ٤٢٨م) أول من تنبه إلى أنه «قصيدة مأخوذة من مصادر وثنية، وأن نشيد الأناشيد إن هو إلا إحدى أغاني الفرس ذات معنى شهواني صريح»[(٣)].

---

(١) انظر: بابل والتوراة، الأب سهيل قاشا، ص (٦١-٦٣).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٣/ ١٧٨-١٧٩) ، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠١٨).

(٣) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١٢/ ١٠٠)، ووافقه بعد ذلك ابن عزرا الغرناطي، =

فهذا السفر مشبع أكثر من غيره بالحديث عن الحيوانات الخرافية المسطورة في كتب الوثنيين، فالحيوان الخرافي لاويثان أو لوياثان مذكور في التراث الفينيقي والكنعاني برؤوسه السبعة ، وقد تسللت قصته إلى أسفار أيوب والمزامير وإشعيا، وهو بحسب الكتاب المقدس حيوان بحري ، لذلك يترنم المزمور مخاطبًا الله شاكرًا لنعمه في القضاء على فرعون الذي يشبهه النص بهذا الوحش الخرافي ذي الرؤوس العديدة: «**أنت رضضت رؤوس لوياثان ، جعلته طعامًا للشعب لأهل البرية**» (المزمور ٧٤: ١٤).

وهذا التبتل والدعاء «تتردد فيه أصداء الأسطورة الأوغاريتية عن انتصار البعل على إله البحر وشركائه»[١]، فقد تحدثت الألواح الأوغارتية عن الصراع بين الوحش التنين (شليت) وإله الخصب والعاصفة «بعل»، وامتدحته: «وسحقتَ الحية الملتوية شليت ذات الرؤوس السبعة»، وفي قصيدة أخرى: «ألم أكم فم التنين، ألم أسحق الحية الملتوية، شليت ذات الرؤوس السبعة»[٢].

ويقدم سفر أيوب وصفًا مفصلاً للوياثان في صفحة كاملة، ومنه : «**أسنانه مرعبة .. عطاسه يبعث نورًا، عيناه كهُدب الصبح، من فيه تخرج مصابيح، شرار نار تتطاير منه، من منخريه يخرج دخان كأنه من قِدر منفوخ أو من مِرجل، نفَسه يُشعِل جمرا،**

ومال إليه باروخ اسبينوزا . انظر رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٣٠٤).

(١) الإله الغامض، توماس رومير، ص (٤٠).

(٢) أناشيد البعل (قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية)، حسني حداد وسليم مجاعص، ص (٣٥، ٦٠)، وانظر: ملاحم وأساطير من أوغاريت، أنيس فريحة، ص (١٥٦)، فبحسبه اسم الوحش (لوياثان) «تريد أن تسحق لوياثان، الحية المتلوية ..»، وسيتحدث العهد الجديد عن هذا الوحش ذي الرؤوس السبعة (انظر الرؤيا ١٧: ٩).

ولهيب يخرج من فيه .. يحسب الحديد كالتبن، والنحاس كالعود النخر .. يجعل العمق يغلي كالقدر، ويجعل البحر كقدر عطارة .. ليس له في الأرض نظير، صنع لعدم الخوف » (أيوب ٤١ : ١٤-٣٣).

ويحاول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس البحث عن هذا المخلوق في قوائم التصنيف العالمية، فلا يجدون إلا التمساح، فيقولون: «يعتقد بأنه يقصد بلوياثان التمساح، وهو أكبر الحيوانات التي تدب، وظهره ورأسه وذنبه مغطاة بحراشف قرنية، لا تخترقها السهام»[١].

وأما دائرة المعارف الكتابية فتعترف أن «استخدام هذه الكلمة في الكتاب المقدس، يشير إلى "وحش بحري"، ففي المزمور الإشارة صريحة إلى حيوان بحري يلعب في (**البحر الكبير الواسع الأطراف، هنا دبابات بلا عدد، صغار حيوان مع كبار، هناك تجري السفن، لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه**) (مز ١٠٤: ٢٥و ٢٦)، مما جعل البعض يظنون أن المقصود هو "الحوت" أو "الدلفين"»، ثم تنتهي إلى « إلى ترجيح الرأي القائل بأن المقصود "بلوياثان" إنما هو التمساح »[٢].

وأما الترجمة العربية المشتركة فتعلق على نص (أيوب ٣: ٨) بقولها: «لاوياثان: حيوان أسطوري، قيل: إن السحرة قادرون على إثارته ليتسبب بكسف الشمس، يتصوره الكاتب في أيوب ٤٠ : ٢٥ - ٤١ : ٢٦ بشكل تمساح، وينسب إليه مقدرة على التهام الكواكب»[٣].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص (٨٢٦).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٧/ ٦٢).

(٣) حاشية الترجمة العربية المشتركة (١/ ٦١٩).

ويربط الشراح بين الوحش «لاوياثان» ونظيره «بهيموث» المذكور قبله بسطور: «**هو بهيموث الذي صنعته معك يأكل العشب مثل البقر، ها هي قوته في متنيه، وشدته في عضل بطنه، يخفض ذنبه كأرزة، عروق فخذيه مضفورة، عظامه أنابيب نحاس، جرمها حديد ممطول، هو أول أعمال الله، الذي صنعه أعطاه سيفه**» (أيوب ٤٠: ١٥-١٩)، فهذا الحيوان «بهيموث» هو أول مخلوقات الله «**هو أول أعمال الله**»، وزعم سفر أخنوخ ، وهو من الأسفار الأبوكريفا التي لا تعترف الكنيسة بها، أنه حيوان ذكر، وأن لوياثان هو أنثاه[١].

ويخبرنا الآباء اليسوعيون أن «بهيموث» كان «فيلاً أو جاموسًا أسطوريًا ورد ذكره في نصوص أوغاريت، أما هنا فإنه يمثل فرس البحر، رمز القوة الوحشية التي يتحكم فيها الله»[٢].

وأما دائرة المعارف الكتابية فتعترف بوجود أسطورة «بهيموث» ، وتؤكد الصلة بينه وبين بيهموث التوراتي، فإن: « البعض يقولون : المذكور في أيوب، ليس حيوانًا حقيقيًا ، ولكنه حيوان خرافي، تقول عنه الأساطير المصرية إنه لا يموت، وأن تأكيد هيمنة الله عليه، هو تأكيد للخلود، ولكن واضح من كلام الرب لأيوب أنه يتحدَّث عن حيوان حقيقي كان لأيوب معرفة به»[٣].

وأما مفسرو الكتاب فرأوا أن خير وسيلة للتخلص من هذا البهيموث واللوياثان ذي الأسنان المرعبة والفم الذي يخرج نارًا تحويلهما من حيوانين حقيقيين إلى

---

(١) انظر سفر أخنوخ ص (٧٩) نسخة إلكترونية.

(٢) انظر هامش الرهبانية اليسوعية، ص (١١٠٢).

(٣) دائرة المعارف الكتابية (٢/ ٢٢٧).

استعارة مجازية لكائن أسطوري، يقول المفسر أنطونيوس فكري: «يكلمنا الوحي عن لوياثان، وهو اقتبس صورة لوحش مصري أو تشبيه للتمساح مبالغ فيه ليرمز للشيطان»[١].

ويقول:«الله ضابط الكل،كل شي في يده، فهو قادر أن يسيطر على هذه القوى غير المنظورة، ولكننا نشعر بحروبها ضدنا، واتخذ الله الرموز طريقًا يشرح به هذه الفكرة، فنجد حيوانين هائلين ، وهما بهيموث، وهو تعبير عن الشهوات الكامنة فينا ومحبة العالم، ولوياثان ، وهو إبليس بكل قواته الموجهة ضد البشر»[٢].

وفي سفر أيوب يتنبأ أيوب عن عمره الذي سيطول ، فلن يدركه الموت إلا بعد عمر مديد ، يشبه عُمر «السمندل»: «**فقلت: إني في وكري أسلم الروح، ومثل السمندل أكثر أيامًا**» (أيوب ٢٩ : ١٨)، و«السمندل» أو «الفينيق» كما تسميه بعض النسخ الكتابية كالترجمة العربية المشتركة.

ويشرح القديس أكليمندس حقيقة هذا الطير فيقول: «لنرَ أيها الأحباء العجيبة الغريبة التي حصلت في بلاد العرب، هناك طير يسمى «فينيكس» ، فريد من نوعه، يعيش خمسمائة عام، عندما تدنو نهايته يصنع من البخور والمُر ومن العطور الأخرى تابوتًا ، ويدخله عند تمام الزمان، ويموت، من جسده المنحل تولد دودة، تتغذى من جسد الطير المنحل، وتتغطى بالريش، عندما يشتد ويقوى يحمل التابوت إلى حيث ترتاح عظام جسده؛ مجتازًا البلاد العربية، قاصدًا مصر إلى مدينة هليوبوليس، وعلى مرأى من الجميع يطير، ويضع التابوت فوق هيكل الشمس، ثم يعود إلى حيث كان.

---

(١) تفسير سفر أيوب، أنطونيوس فكري ، ص (١٧٦).

(٢) المصدر السابق ، ص (١٧١).

أما الكهنة فيتفحصون مخطوطاتهم، ويتأكدون أن وصوله تم بعد انقضاء خمسمائة سنة تمامًا»[١].

وهذا الحيوان الخرافي انتحلت التوراة قصته من أساطير بعلبك القديمة[٢].

والسمندل أو الفينيق ليس الحيوان الخرافي الأخير الذي يذكره سفر أيوب ، فقد أتحفنا بذكر حيوان آخر ، وهو (رهب)، فقد أثنى كاتب سفر المزامير على الله : «**أنت سحقت رهب مثل القتيل**» (المزمور ٨٩: ١٠)، فـ «**الله لا يرد غضبه ينحني تحته أعوان رهب**» (أيوب ٩: ١٣)، كذلك: «**بقوته يزعج البحر، وبفهمه يسحق رهب** » (أيوب ٢٦: ١٢).

و«رهب» هذا بحسب دائرة المعارف الكتابية: «اسم وحش بحري خرافي أو كائن شيطاني، ويستخدم الاسم في الكتاب المقدس مجازيًا لبيان قدرة الله»، وفي حاشية الآباء اليسوعيين نقرأ: «هو تجسيد أسطوري للمياه القديمة، للتعبير عن سيطرة الرب الخلاقة»[٣].

وهكذا فإن رهب والتنين والسمندل ولوياثان وقصة الخلق التوراتية بحسب الناقد اليهودي الألماني هيرمان جونكل (ت ١٩٣٢م) صاحب كتاب «تاريخ الأدب» تضعنا في «عالم كامل لخرافة أصلها في بابل، ومصدرها في أساطير الخلق، نشأ في محيط إسرائيل .. وتتكرر في أدب الأنبياء وأصحاب المزامير هذه الأسطورة البابلية

---

(١) رسالة أكليمندس للكورنثيين ٢٥، الآباء الرسوليين، ص (٣٤)، وانظر: عظات كيرلس الأورشليمي (١٨/ ٨)، فقد نقله عن أكليمندس مستدلاً به على قيامة الموتى.

(٢) انظر: مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، شوقي عبد الحكيم ، ص (٥٢).

(٣) دائرة المعارف الكتابية (٤/ ١٤٠)، وحاشية نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٠٦٣).

القديمة عن حرب الإله ضد الوحوش الضخمة على عتبة الخلق، وذلك بأسماء مختلفة»[١].

وأمام وفرة الشواهد وتعدد الدلائل اعترف الآباء اليسوعيون بأثر التراث القديم على مؤلفي التوراة في نسختهم الشهيرة «الرهبانية اليسوعية» ، فقالوا : « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يرون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولاسيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية، فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحِكَمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت .. لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم »[٢].

ويتكرر هذا الاعتراف المشوب بالكبر عند الأب جورج سابا: « تناول واضعو الكتاب المقدس أحيانًا بعض عناصر عُرفت في حضارات جيرانهم ودياناتهم، وطهروها من كل شائبة، واستخدموها على طريقتهم لأغراضهم الكتابية، ومن جملة ذلك: الخيال الذى يحيط بأسطورة الخلق البابلية وتقليد ما بين النهرين المتعلق بالطوفان ورموز العاصفة المنبثق من الميتولوجيا الكنعانية والأقوال الفارسية في عالم الملائكة وشرائع الشرع الحمورابي وغيره وحكم ومزامير ظهرت في مصر وغيرها .. مهما كان هناك من التقارب بين فنون الكتاب المقدس الأدبية وفنون الحضارات

(١) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٥٦).

(٢) انظر مقدمة الرهبانية اليسوعية، ص (٦٦).

الأدبية القديمة، فالكتاب المقدس يؤلف وحدة على حدة، وإنه لم يتلوث بما تلوثت به الحضارات الأخرى من وثنية وأفكار مستهجنة»[١].

وأما فيلسيان شالي فلا يجد غضاضة من القول: « أَلَّف بعض الإسرائيليين تعظيمًا لإلههم ـ منذ القرن العاشر حتى السابع ـ مجموعة الأساطير التي ستوضع بعد ذلك في كتابهم المقدس ، مثل خلق العالم والإنسان ، والجنة المفقودة ، والطوفان ، وكثير من عناصر هذه الأساطير مستعار من البلاد التي كانت إسرائيل على صلة بها ، أي من مصر وبابل خاصة »[٢].

وأما المطران كيرلس سليم بسترس رئيس أساقفة بعلبك فيقول: «إذا كانت رواية حوادث إبراهيم على جانب كبير من الموضوعية التاريخية، فالفصول الأحد عشر الأولى من سفر التكوين هي مجموعة أساطير استقاها الشعب اليهودي من آداب الشعوب المجاورة ولا سيما الأدب البابلي .. لقد تأثرت كتابة واضعي الأسفار المقدسة لكلا التاريخين ليس بالآداب المجاورة فحسب، بل أيضًا بما اختبروه في حياة شعبهم طيلة الزمن الذي دوّنوا فيه تلك الأسفار»[٣].

ويقول الأب سهيل قاشا: «لقد اكتشف دارسو ثقافات الشرق القديم منذ قرن ونيف أن الثقافات السومرية والأكدية والأشورية والكلدية قد أسهمت إسهامًا هامًا في

---

(١) على عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٤٩).
(٢) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٧٦).
(٣) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، المطران كيرلس سليم بسترس (١/ ٧٦-٧٧).

تكوين آداب العهد القديم وتشكلِ بعض مفاهيمه ومقولاته وصياغة بعض تصوراته .. العهد القديم وريث فلسفة السلوك والتربية البابلية الأشورية»[١].

كما ينقل عن العلماء والباحثين انقسامهم في هذه المسألة إلى فريقين: «المتعصبين منهم يعثرون على أصول تاريخية وآثارية لما ورد في التوراة في حضارات وثقافات الشعوب السابقة، فإنهم وخوفًا من الإحراج والوقوع في مشاكل حساسة يعمدون للقول بأن تلك المكتشفات جاءت مطابقة للتوراة، وليس العكس، ويتجاهلون أن الأحدث يكون منسوخًا أو مقتبسًا من الأقدم، وأنه في حالة عدم الإشارة للمرجع أو الاقتباس يصبح الأمر سرقة.

لكن الجريئين منهم؛ حتى لو كانوا يهودًا فإنهم يعترفون بأن التوراة على شكلها ومضمونها الحالي ليست أصيلة، وليست منسقة مع ما جاء به موسى، وأن مادتها ليست سبقًا لكتب التوراة»[٢].

ويعقب الأب سهيل بالقول: «مؤلفو التوراة يعرفون آداب بلاد ما بين النهرين ومتأثرون بها .. ليس من الغريب أن يأخذوا منها ما يناسب آدابهم وتاريخهم بعد ما نقلوه وجعلوه يوافق معتقداتهم ورؤيتهم الخاصة .. ومع ذلك فاليهود ما زالوا يصرون على أن كتابهم أصيل وفرد، علمًا أنه مقتبس من كتب أخرى سبقته بمئات السنين»[٣].

---

(١) حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، سهيل قاشا، ص (٦٧-٦٩).

(٢) بابل والتوراة، الأب سهيل قاشا، ص (٥١)، وقد تكرر من الأب سهيل تسمية ما فعله مؤلفو التوراة بـ«سرقة» و«سطو» في مواضع مختلفة من كتابه. انظر ص (١٧٩، ١٨١).

(٣) بابل والتوراة، سهيل قاشا، ص (٢٨-٢٩).

ولسنا نعيب هنا على كاتب أن يستفيد ممن سبقه من المؤلفين، فما من كاتب إلا ويصنعه، لكنا لا نستطيع فهم ولا تفهم نقل الوحي الإلهي من كتب الوثنيين ، واستفادته من تراثهم وحِكمهم.. الحق أنا لا نعتب على مؤلفي اليهود استعارتهم من كتب الوثنيين حين يجدون فيها ما يفيدهم، لكنا نرفض أن ينسب هذا المكتوب إلى الله ووحيه، ونستنكر أن يوضع في الكتاب المقدس، وأن يقال أن مؤلفي الأسفار استلهموه من الروح القدس، بينما الحقيقة أنهم كانوا يستلونه من كتب السابقين ، من غير توثيق ولا إحالة إليها.



قانونية التوراة (قدسيتها)

انتهينا إلى أن التوراة نتاج عمل العشرات من المؤلفين الذين اجتهدوا في تسجيل تاريخ بني إسرائيل ، ولم يَدُر بخلدهم أن تعتبر كتاباتهم مقدسة ، إذ لو خطر على بالهم لصاغوها بطريقة أخرى ..

إذا كان الأمر كذلك ، فمتى اكتسبت هذه النصوص قداستها ؟ وهل تم ذلك لجميع أسفارها معًا أو أنه تم بالتدريج ؟

وفي الإجابة نقول : من الطبيعي عندما نتحدث عن كتاب إلهي أنّا لا نحتاج إلى الحديث عن قانونيته ، إذ هو يستمدها من مصدره الإلهي ، ويكتسبها منذ اللحظات الأولى التي ينزله الله فيها إلى البشر ، وهذا الأمر لم يحدث مع الأسفار التوراتية التي احتاجت إلى قرارات بشرية تقدسها ، فالأسفار الخمسة أُقرت في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وتحديدًا في عام ٣٩٨ ق.م ، حين اعترفت الامبرطورية الفارسية بناموس اليهود حسبما جاء في دائرة المعارف الأمريكية .

لكن اسبينوزا يرى تاريخًا متأخرًا : « يظهر بوضوح أنه لم تكن هناك مجموعة مقننة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين (أي القرن الثاني قبل الميلاد) ، أما الكتب المقننة الآن فقد اختارها فريسيو الهيكل الثاني من بين كثيرين غيرها، وذلك بقرار منهم فحسب»[(١)]، أي لم يشاركهم به غيرهم من الطوائف اليهودية.

وقد كان مما أقره فريسيو العهد الثاني برأي اسبينوزا الأسفار الخمسة مضافًا إليها ما يسمى بأسفار الأنبياء وهي (يشوع ـ القضاة ـ صموئيل ـ الملوك) .

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٣١٤).

ولم تعتبر هذه المجموعة معادلة لسلطة الأسفار الخمسة ، ورغم ذلك ألحقت بها ، وقد كان ينظر إليها على أنها شروح وامتداد للأسفار الخمسة، وعلى كل حال، فإن هذه الاختيارات بشرية، وهؤلاء الفريسيون ليسوا أنبياء، وهم كغيرهم عرضة للخطأ والهوى[١].

وفي عام ٩٠م عقد الفريسيون مجمعًا في جامينيا بالقرب مدينة يافا الفلسطينية ، وقرروا اعتبار بعض الكتب أسفارًا قانونية وهي : المزامير ، الأمثال ، نشيد الأنشاد ، راعوث ، دانيال ، أيوب ، عزرا ، نحميا ، الأخبار ..) ، واعتبروا هذه القائمة نهائية ، ورفضوا ما عداها من الأسفار ، وقد بلغ عددها حينذاك ستًا وثلاثين سفرًا[٢]،يقول المطران كيرلس بسترس: «لم تحدد مجموعة أسفار العهد القديم المقدسة العبرية إلا في نهاية القرن الأول»[٣].

ومرة أخرى يتشكك اسبينوزا في صلاحية هؤلاء المجتمعين لإقرار الكتب المقدسة وأمانتهم ونزاهتهم، وهو يستحضر «تبجح الأحبار الذين أرادوا إخراج السفر (الأمثال) ومعه سفر الجامعة من مجموع الكتب المقننة، والاحتفاظ سرًا بأسفار ليست لدينا .. والحق أنه من المؤسف أن الأشياء المقدسة والأفضل من بينها كانت متوقفة على اختيار أناس كهؤلاء»[٤].

وقصة عزمهم على إخفاء هذه الأسفار مسطورة في التلمود اليهودي، الذي

---

(١) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٣٣٣).
(٢) اعتبروا سفري صموئيل سفرًا واحدًا، وكذلك الحال في سفري الملوك وسفري أخبار الأيام.
(٣) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس وآخرون، ص (٣٩)، وانظر المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ، ص (١٨١).
(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٢٩٩).

يخص بالفضل الكبير «الرجل الطيب حنانيا بن حزقيا بن جرون ، والذي لولاه لاختفى سفر حزقيال، لأن أقواله تناقض أقوال التوراة، فماذا عملوا؟ لقد قدموا له ثلاث مائة جرة سمن» [(١)] بعد أن استطاع الإبقاء على السفر وحل مشكلة تناقضه مع التوراة الموسوية في مسألة وراثة الذنب.

ولم تكن قائمة الأسفار الحالية محل اتفاق بين اليهود ، فمثلًا كان الفريسيون يعتبرون سفر دانيال قانونيًا ، فيما لم يعتبره الصدوقيون كذلك[(٢)] ، بينما كان لجماعة قمران أسفار كثيرة لم ترد في القائمة القانونية ، منها اليوبيل وسفر أخنوخ اللذين مازالت الكنيسة الحبشية تراهما مقدسين[(٣)]، والأسفار التي لم تدخل في القائمة كانت خمسًا وثلاثين سفرًا كما عددها روبرت تشارلز (ت ١٩٣١م) في مقدمة كتابه : (أبوكريفا العهد القديم) .

وفي مجمع (نيقية) ٣٢٥م أقر المجتمعون النصارى سفر يهوديت فقط ، وأبقوا ثمانية أسفار مشكوكًا فيها . وفي مجمع (لوديسيا) ٣٦٤م أقر المجتمعون سفرًا آخر هو سفر أستير ، وفي ٣٩٧م عقد مجمع (قرطاجة) بحضور القديس أوغسطين ، فأضاف المجمع للقائمة ستة أسفار هي (الحكمة ، وطوبيا، وباروخ ، ويشوع بن سيراخ والمكابيين الأول والثاني) ، واعتبر المجتمعون سفر باروخ جزءًا من إرميا ، ثم فصلوهما في مجمع (ترلو) ٦٩٢م ، وأصبحت هذه الأسفار متفقًا عليها عند جمهور النصارى إلى حين ظهور البروتستانت في القرن السادس عشر.

---

(١) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٢٢).

(٢) انظر المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٩).

(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٨٢).

وقد أقر قانونية هذه الأسفار جميعًا مجمع (ترنت) الكاثوليكي سنة ١٥٥٤-١٥٦٣م ، والأرثوذكس في مجمع (بيت المقدس) سنة ١٦٧٢م[١].

ويجدر بالذكر أن بعض الكنائس المسيحية تزيد أسفارًا أخرى إلى الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد، كالكنيسة الأثيوبية التي تقول عنها دائرة المعارف الكتابية : «فعلاوة على الأسفار القانونية المعترف بها ، فإنهم يقبلون: راعي هرماس، وقوانين المجامع، ورسائل أكليمندس ، والمكابيين، وطوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروخ ، وأسفار أسدراس الأربعة ، وصعود إشعياء ، وسفر آدم، ويوسف بن جوريون، وأخنوخ، واليوبيل»[٢].

وكذلك فإن الرسالة المنسوبة للنبي إرمياء كانت معتبرة عند الآباء الأوائل للكنيسة ، وقد حوتها أهم المخطوطات اليونانية [الفاتيكانية والسكندرية] وأقدم الترجمات كالسبعينية اليونانية ، والبشيطة السريانية ، والقبطية، والأثيوبية ، بل نقلت دائرة المعارف الكتابية أن « الآباء اليونانيين الأوائل يميلون ـ بوجه عام ـ إلى اعتبار الرسالة جزءًا من الأسفار القانونية ، لذلك تذكر في قوائم الأسفار القانونية لأوريجانوس [عند تفسيره للمزمور الأول] وأبيفانيوس وكيرلس الأورشليمي وأثناسيوس ، وعليه فقد اعترف بها رسميًا في مجمع لاودكية (٣٦٠م) »[٣].

---

(١) انظر: المدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف، ص (٣٩-٤٠)، وتاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلّام، ص (١١٠).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٨٢)، وانظر: ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، ريموند براون، ص (٣٣-٣٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٨٩-١٩٠) ، وانظر: تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٢٧٤).

يقول كيرلس الأورشليمي وهو يعدد أسفار الكتب المقدس: «وكتاب إرمياء الذي يحوي أيضًا باروخ والمراثي والرسالة، وكتاب حزقيال وكتاب دانيال، هذه هي كتب العهد القديم»[١].

وقد أضافها طابعو نسخة «الترجمة العربية المشتركة» إلى الأسفار المقدسة، ضاربين عرض الحائط باتفاق الكنائس بعد القرن الميلادي الرابع على اعتبارها من أسفار الأبوكريفا المدرجة زيفًا في الكتاب المقدس[٢].

وإزاء هذا الاختلاف في قدسية الأسفار رفعـًا وحذفـًا نستطيع أن نتوافق مع الأسقف الأرثوذكسي تيموثي وير حين قال: «الكتاب المقدس يستمد سلطته في النهاية من الكنيسة، لأن الكنيسة هي التي قررت في الأصل ماهي الأسفار التي تؤلف الكتاب المقدس، وهي وحدها تستطيع تفسيرها، بما لها من سلطة حقة»[٣].

ونقول: إن هذه الكتب قد كتبها اليهود بأيديهم ، ثم نسبوها إلى الله ، وأعطتها المجامع البشرية صفة القداسة والوحي ، بغير برهان من الله ولا علم مبين.



(١) العظة الرابعة، كيرلس الأورشليمي (٤١/ ٣٥).
(٢) انظر: الترجمة العربية المشتركة (٢/ ١٤٨-١٥١).
(٣) الكنيسة الأرثوذكسية، إيمان وعقيدة ، تيموثي وير ، ص (١٧).

نقد متن العهد القديم

يقول بولس : « **كل الكتاب هو موحى به من الله** [١]، **ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذي في البر** » (٢ تيموثاوس ٣: ١٦) ، وهو كلام جيد ، ويعطي مقياسًا لا بأس فيه للحكم على الكتاب المقدس ، إذ لا يُقبل أن ينسب إلى الله كلام هذر لا نفع فيه ولا فائدة ، فضلًا عن الكلام الساقط الذي يُشيع الرذيلة والانحراف السلوكي أو الإيماني .

ولنبدأ بتطبيق المقياس على نظرة التوراة إلى الله ثم إلى أنبيائه ثم إلى الأخلاق ، لنرى إن كانت الأسفار صالحة للتأديب والتهذيب والتعليم .

من الطبيعي عندما نتحدث عن كتاب ينسب إلى الله ﷻ أن نجده مفعمًا بالحديث عن الله وصفاته وأنبيائه ودينه وصور عبادته ، وعن الجنة والنار داريْ جزائه .. لكن التوراة هي بحق كتاب تاريخ لبني إسرائيل ، ويفتقد القارئ في أسفارها الحديثَ عن الله إلا فيما يتعلق بالناحية التاريخية ، فماذا تقول التوراة عن الله وأنبيائه واليوم الآخر ؟

---

(١) النص في أصله مختلف في صياغته، فهو كما يقول المفسر آدم كلارك: «كل كتاب موحى به من الله نافع ...».

اللّه وصفاته في العهد القديم

الاسم الأهم لله عز وجل في التراث الإسرائيلي هو «يهوه»، « **فيعرفون أن اسمي: يهوه** » (إرميا ١٦: ٢١)، وهو يقابل عند المسلمين الاسم «الله»، لكن هذا الاسم الأعظم « يهوه» لا يرد في التوراة إلا نادرًا ، فأسفار العهد القديم كانت دومًا تتحدث عن «يهوه»، فتسميه : السيد ، الرب ، الإله ، القدير، رب الجنود . وتغفل اسمه الأعظم!

والعجب أن التوراة تزعم أن هذا الاسم لم يعرفه أنبياء الله من قبل موسى « **وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء ، وأما باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم** » (الخروج ٦: ٣) ، **وهذا** غير صحيح ، فقد عرف إبراهيم هذا الاسم من أسماء الله ، فسمى المكان الذي أراد أن يقدم فيه ابنه « يهوه يرأه » (التكوين ٢٢: ١٤) ، **ومعناها : (الرب يرى)**.

وأشارك موقع الأنبا تكلا ، الموقع شبه الرسمي للكنيسة القبطية تقريره بأن الاسم «يهوه» معلوم معروف عند الأمم الوثنية قبل اليهودية: « (يهوه) هو أكثر الأسماء المميزة لله كإله إسرائيل .. ولا نعلم حقيقة اشتقاق الكلمة، .. كان هذا الاسم شائعًا في الديانات غير الإسرائيلية كما يقول البعض (فريدر وديلتز وهومل وونكلر وجوت) على أساس أنه قد وجد في النقوش البابلية، ويبدو أن بعض الأسماء العمونية والعربية والمصرية تحتوي على هذا الاسم مركبًا فيها (انظر " لاهوت العهد القديم " ص ٥٢ لدافيدسن)، لكن رغم أن الاسم كان شائعًا في الديانات السامية البدائية كما

كان (إلوهيم)؛ إلا أنه أصبح الاسم الإسرائيلي المميز للدلالة على (الله)»[١] ، فقِدم الاسم وانتشاره بين الأمم المختلفة قبل اليهودية حقيقة تاريخية لا يمكن القفز عليها، ولا تفيد – برأيي – وثنية الاسم، بل يمكن ربطه بالنبوات التي كانت تنتشر في تلك الشعوب التي رفضت عبادة إله الأنبياء «يهوه» وعبدت آلهتها الوثنية، ولربما اعتبرتها مظهرًا من مظاهر «يهوه».

وإذا كان الاسم «يهوه» قديمًا وغير عبري ؛ فإننا لا نوافق على محاولات البعض عبثًا الربط بينه وبين فعل «الكينونة» ، فزعموا أن **(يهوه יהוה) مشتق من الفعل (הוה)**، ولربما نوافق على أنهم استعاضوا بتلك الأسماء عن اسم الله الحقيقي ، لكراهية اليهود تنديس اسم الله بالتلفظ به[٢].

تتحدث الأسفار التوراتية في أماكن متفرقة عن الله العظيم بما يليق بجلاله وعظمته ، ومن ذلك قولها : « **اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك** » (التثنية ٦: ٤-٥) ، وتذكر أيضًا الرب لا يرى « **حقا أنت إله محتجب ، يا إله إسرائيل** » (إشعيا ٤٥: ١٥) ، وقد قال الله لموسى : « **لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش** » (الخروج ٣٣: ١٩-٢٠) .

والله ﷻ ليس كمثله شيء ، وفي ذلك يقول موسى : « **ليس مثل الله** » (التثنية ٣٤: ٣٦)، ويقول سليمان : «**أيها الرب إله إسرائيل ، لا إله مثلك في السماء والأرض**» (٢ أخبار ٦: ١٤) .

وهو حي جل وعلا إلى الأبد « **وأقول حي أنا إلى الأبد** » (التثنية ٣٢: ٤٠) إلى

(١) موقع الأنبا تكلا، وانظر: فجر الضمير، جيمس بريستد، ص (٣٧٦).

(٢) انظر: شرح إنجيل متى، متى المسكين، ص (٣٠).

غير ذلك من الصفات الكاملة الحسنة التي تذكرها التوراة لله العظيم ، ومما لا ريب أن في هذه الفقرات أثارة الأنبياء ، وبقايا وحي السماء في أسفار العهد القديم .

لكن التوراة في مواضع لا تعد ـ لكثرتها ـ تتحدث عن الله ، فتجعله كائنًا بشريًا ، وتصفه بصفات البشر ، وتسمه بنقصهم ، بل وأخطائهم وضلالهم ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، فهل هو إله أم إنسان ؟

إله أم إنسان ؟

يتحدث سفر التكوين عن خلق الله الإنسان على صورته وشبهه « **وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا** » (التكوين ١ : ٢٦) ، وفي أكبر كنائس الكاثوليك في روما ـ كنيسة القديس بطرس ـ رسم الرسام مايكل أنجلو صورة لله تشبه البشر ، وتذكرنا بما تتحدث به النصوص من صور رسمها كتبة العهد القديم.

ومن ذلك ما جاء في رؤيا دانيال أن له رأسًا ، شعره أبيض « **وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج ، شعر رأسه كالصوف النقي ، وعرشه لهيب نار** » (دانيال ٧: ٩).

وله عينان وأجفان « **عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بني آدم** » (المزمور ١١ : ٤).

وله شفتان « **شفتاه ممتلئتان سخطًا ، ولسانه كنار آكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة** » (إشعيا ٣٠: ٢٧-٢٨) .

وله رجلان ترى « **نزل وضباب تحت رجليه** » (المزمور ١٨ : ٩) ، و « **لما صعد موسى وهارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه حلية من العقيق الأزرق الشفاف ، كالسماء في النقاء ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل** » (الخروج ٢٤ : ٩-١١) .

وأيضًا له فم وأنف يخرج منهما دخان ونار « **صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه**» (المزمور ١٨ : ٩) .

وألوهيته وعظمته لا تمنع من ركوبه الملائكة في تنقلاته ، كما لا تمنع أن يكون له أذنان « **وإلى إلهي صرخت ، فسمع من هيكله صوتي ، وصراخي دخل أذنيه ، فارتجت الأرض وارتعدت ، أسس السماوات ارتعدت وارتجت ، لأنه غضب ، صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه أكلت ، جمر اشتعلت منه ، طأطأ السماوات ونزل ، وضباب تحت رجليه ، ركب على كروب ، وطار ، ورئي على أجنحة الريح ..** » (٢ صموئيل ٢٢: ٧-١١).

والكروب كما في قاموس الكتاب المقدس هم نوع من الملائكة ، وقد ذكر سفر حزقيال أن لكل واحد منهم وجهان: أحدهما على شكل وجه إنسان، والآخر على شكل وجه شبل (انظر حزقيال ٤١ : ١٨) .

وقد تكرر ركوبه على الكروبيم « **ومجد إله إسرائيل صعد عن الكروب الذي كان عليه إلى عتبة البيت** » (حزقيال ٩ : ٦) .

ولما أصبح ركوبه على الكروبيم فعلًا معتادًا له ـ جلّ وعز ـ ، ناجاه الملك حزقيا مثنيًا عليه بهذا الفعل : « **صلى حزقيا أمام الرب ، وقال : أيها الرب إله إسرائيل ، الجالس فوق الكروبيم ، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض ، أنت صنعت السماء والأرض** » (٢ ملوك ١٩ : ١٥) .

وهكذا فإن إسرائيل لودز في كتابه (نشأة التقدم في القرن الثامن) (des origins au milieu du 8 siecle) يرى أن : « التصور الطبيعي ليهوه .. تصور أحيائي ، وعلى صورة الإنسان ، ويبدو أن يهوه يملك نوعًا من الجسم الروحاني ، وعلى كل حال ؛ فإن له أعضاء شبيهة بأعضاء الإنسان ، كالعيون والآذان

والفم والخياشيم والأيدي والقلب والأحشاء .. له بشكل خاص عقل وعواطف شبيهة بمثيلاتها لدى الإنسان ، ويتميز بشكل خاص بعنف الغضب إذا أسيء إليه »[١] .

أفعال الإله البشرية :

وتحكي أسفار العهد القديم عن أفعال بشرية تنسبها إلى الله ، وهي فرع من عقيدتهم المجسِّمة لله ، ومن ذلك أن الله يمشي ، ولكن على شوامخ الجبال « **فإنه هو ذا الرب يخرج من مكانه ، وينـزل ويمشي على شوامخ الأرض . . كل هذا من أجل إثم يعقوب** » (ميخا ١ : ٣-٥) .

ومنه حديث الأسفار التوراتية عن مشي الله في الجنة ، وسماع آدم وقع خطواته : «**وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار .. فنادى الربُّ الإلهُ آدمَ ، وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعتُ صوتك في الجنة ، فخشيت لأني عريان ، فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟** » (التكوين ٣: ٨) .

ويزور الربُ إبراهيمَ ـ تعالى الله عن ذلك ـ ويأكل عنده زبدًا ولبنًا « **وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض .. ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذي عمله ، ووضعه قدامهم ، وإذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا .. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم** » (التكوين ١٨ : ١-٢٣) .

وفي موضع آخر تذكر الأسفار أن الرب ظهر ليعقوب ، وصارعه حتى الفجر :

---

(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٧٢) ، وهو تلخيص منه لكلام لودز.

« **فدعا يعقوب اسم المكان :** (فينئيل) **قائلًا : لأني نظرتُ الله وجهًا لوجه ، ونجيتُ نفسي** » (التكوين ٣٢: ٣٠) .

ولما أغضبه مريم وهارون « **فنزل الرب في عمود سحاب ، ووقف في باب الخيمة .. فقال : اسمعا لكلامي .. فمًا إلى فم ، وعيانًا أتكلم معه لا بالألغاز** » (العدد ١٢ : ٥-٨).

وفي موضع آخر رآه موسى « **ويكلم الرب موسى وجهًا لوجه ، كما يكلم الرجل صاحبه** » (الخروج ٣٣: ١١) .

ويذكر سفر التكوين أن الله رضي عن نوح وقومه بعد أن شم رائحة شواء المحرقات التي قدمها نوح على المذبح « **وبنى نوح مذبحًا للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا ..** » (التكوين ٨: ٢٠-٢١) .

ونقرأ في رؤيا حزقيال أن الله دخل الهيكل من باب ، وأمر بإغلاقه إلى الأبد « **فقال لي الرب : هذا الباب يكون مغلقًا لا يفتح ، ولا يدخل منه إنسان ، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقًا** » (حزقيال ٤٤ : ٢) .

هل يعجز الإله أو يجهل ؟

كما وتنسب النصوص إلى الله أفعالًا كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جِبلتهم وضعفهم الذي خلقهم الله عليه ، ومن ذلك عجز الإله عند مصارعة يعقوب ، يقول سفر التكوين : « **فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخذه ، فانخلع حقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه .**

وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له : ما اسمك ؟ فقال يعقوب : فقال : لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب ، بل إسرائيل ،

لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوبُ وقال : أخبرني باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ، قائلًا : لأني نظرت الله وجهًا لوجه » (التكوين ٣٢: ٢٤ - ٣٢) . فقد صارع يعقوب الله وقدر عليه ! ومعنى كلمة فينئيل وجه الله .

وتعليقًا على النص يقول محققو نسخة الرهبانية اليسوعية : « المقصود من هذه الرواية الغامضة هو الصراع الجسدي ، أي صراع مع الله ، يبدو فيه يعقوب الغالب أولًا ، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية اغتصب بركته ، مع العلم أن النص يتجنب اسم الرب »[١] .

وكان الأب يوستينوس (ت ١٦٤م) قد قال: « يعقوب قد صارعه إنسان، فهو يؤكد أن هذا الإنسان هو الله؛ إذ يقول يعقوب: (**لأني نظرتُ الله وجهًا لوجه، ونجيتُ نفسي**)»[٢].

وأما الأب غريغوريوس النزينزي فيزهو بالانتصار الذي حققه الإنسان على خالقه، ويقول: «لقد تصارع هذا الأب العظيم يعقوب معه، كما يتصارع مع إنسان، وبقيت في جسده آثار الصراع التي دلت على انتصار الطبيعة المخلوقة»[٣].

وقد حاول بعض الشراح تخفيف هذا النص وأمثاله، فاقترحوا نسبة هذه الظهورات الإلهية إلى ملائكة الله وخدامه، لكنه رأي مرفوض في القديم والحديث، فقد استنكره يوسابيوس القيصري: «لا يقبل الافتراض بأن الظهورات الإلهية كانت

---

(١) انظر حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (١١٨).
(٢) حوار مع تريفون، يوستينوس. النصوص المسيحية في العصور الأولى، ص (٣٠٢).
(٣) خطبة في اللاهوت، غريغوريوس النزينزي، ص (٢٢).

ظهورات ملائكة خاضعة أو خدام الله ، لأنه في كل مرة ظهر أحد هؤلاء للبشر لم يخف الكتابه المقدس الحقيقة، بل دعاهم بالاسم، فلم يدع أحدًا منهم إلهًا أو ربًا»[١].

وكذلك تابعه في الحديث البابا شنودة الذي نحى منحىً آخر في تبرير القصة بقوله: «أراد الله أن يرفع معنويات هذا الخائف، بأن يريه أنه يمكن أن يصارع ويغلب، فظهر له في هيئة إنسان، يمكن ليعقوب أن يصارعه ويغلبَه. تمامًا كأب يداعب طفله، ويُظهر لهذا الطفل أنه يستطيع أن يغلبه فيفرح..! وبدا أن يعقوب كان قويًا في مصارعته، وطلب منه صاحب الرؤيا أن يطلقه، ويعقوب يجيب: لا أُطلقك حتى تباركني. فباركه. ولكن ضربه على حق فخذه، فصار يخمع عليه.

كأن الله يريده أن يفرح بانتصاره، ولكن لا يكون انتصاره سبب كبرياء له.. لقد سمح له أن ينتصر، وغير اسمه إلى إسرائيل، قائلًا له: «**لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت**» (تك ٣٢: ٢٢ – ٢٨).. كم مرة ظهر الله لهذا الضعيف ليقويه، وينقذه من خوفه»[٢].

ومن العجز المنسوب إلى الرب العظيم قوله : « **وكان الرب مع يهوذا ، فملك الجبل ، ولم يطرد سكان الوادي ، لأن لهم مركبات من حديد** » (القضاة ١: ١٩) ، فكان ذلك سببًا لعجزه عنهم ، فكيف يكون الحال مع الأسلحة الحديثة المتطورة ، وهل يعجز الإله عن حرب الدول التي تملك هذه الأسلحة **! ؟**

كما تنسب التوراة إلى الله العظيم التعب ، فهو حسب أسفارها رب يحتاج للراحة ، فيسكن في مساكن متعددة « **وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح** » (التكوين ٢: ١)

(١) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص (١٣).

(٢) تأملات في حياة القديسين يعقوب ويوسف، البابا شنودة، ص (٥٥-٥٦).

« **هكذا قال الرب .. أين البيت الذي تبنون لي ؟ وأين مكان راحتي ؟** » (إشعيا ٦٦ : ١).

كما تنسب التوراة إلى الرب ـ جل وعلا ـ الجهل والقصور والضعف ، ومن ذلك أنه لما أراد معاقبة المصريين « **كلم الرب موسى وهارون .. فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة ، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ، وأصنع أحكامًا بكل آلهة المصريين . أنا الرب ، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها ، فأرى الدم ، وأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر** » (الخروج ١٢ : ١-١٣) ، فجعل الدم علامة على البيوت الإسرائيلية حتى لا يهلكها مع بقية البيوت ، فهل يحتاج الرب العليم لمثل هذه العلامة حتى يفرق بين بيوت المصريين وبيوت الإسرائيليين ؟

وتتحدث التوراة عن الله وكأن آدم قد قهره حين أكل من شجرة المعرفة والتفرقة بين الخير والشر ، وكأنه خلقنا ولم يرد منا أن نميز الخير من الشر ، ثم خاف وخشي أن يأكل آدم من شجرة الحياة ، فيصبح كالرب من الخالدين ، فأقام حرسًا من الملائكة في طريق هذه الشجرة « **أوصى الربُ الإلهُ آدمَ قائلًا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها .. وقال الرب الإله : هوذا الإنسان قد صار كواحد منا ، عارفًا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ، ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها . فطرد الإنسان ، وأقام شرقيَّ جنة عدن الكروبيمَ ، ولهيبَ سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة** » (التكوين ٢: ١٧- ٣: ٢٣) ، ومثل هذا التصور عن الله غير مقبول ، فالسفر يصوره حريصًا على جهل الإنسان ، خائفًا من تعلمه، ثم هو يخشى من خلوده إذا فاجأه وأكل من شجرة الحياة .

وقد أدرك المتأخرون ما يكتنف تحريم شجرة تعلم المعرفة والعلم، فلجأوا إلى

تحويل النص إلى رمز، ويلحظ الدكتور وهيب جورجي لجوء المؤمنين بهذا النص في مواجهة التيار الذي اعتبر الشجرة: « لم تكن غير أسطورة قديمة سجلها كاتب سفر التكوين ضمن مجموعة من الأساطير عن الخلقة والجنة والسقوط، مستندين في ذلك إلى القول بأن الله جل جلاله أرفع وأكبر من أن يربط مصائر البشر بشجرة مادية أو أكلة تافهة، وهذا بدوره أدى بأكثر من واحد من رجال الكنيسة إلى القول برمزية شجرة المعرفة، دون أن تكون هناك شجرة مادية حقيقية»[1].

ومرة أخرى تذكر التوراة أن الله خاف من اجتماع البشر وتآلفهم وعزمهم على بناء برج عظيم رأسه في السماء ، فنزل وبددهم قبل أن يحققوا غايتهم « **قالوا : هلم نبنِ لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه بالسماء . ونصنع لأنفسنا اسمًا ، لئلا نتبدد على وجه كل الأرض ، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذَيْن كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هوذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفّوا عن بنيان المدينة** » (التكوين ١١ : ٤-٨) ، فهل يعقل أن خالق السماوات والأرض ، الرب العظيم يخشى من تمام هذا البرج ، فيسعى لتفريق البشر قبل أن يصل برجهم السماء ، وهنا نتساءل عن الطول الذي كان سيصل إليه بناء البشر قبل آلاف السنين ، بل نتساءل : أوَلا يعلم الرب أن البشر يعجزون عن مناطحة السحاب فضلًا عن قرع أبواب السماء !

ومثله في العجز والنقص المنسوب إلى الله العظيم ما تذكره التوراة من أن الرب بعد ما أغرق الأرض بالطوفان زمن نوح عليه السلام قال لنوح ومن معه : « **أقيم ميثاقي معكم**

---

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٣٤).

فلا ينقرض كل ذي جسد أيضًا بمياه الطوفان .. وضعت قوسي في السحاب ، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض .. فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقًا أبديًا .. » (التكوين ٩: ١١ - ١٧) ، فجعل قوس قزح علامة تذكره بالميثاق الذي ضربه لنوح ومن معه بأن لا يغرق البشرية من جديد، فإذا ما رآه في السحاب أوقف نزول الأمطار.

ويعلق الفيلسوف اسبينوزا على قصة التذكر هذه وحكايات الندم الإلهي بقوله: «يجدر بنا أن نؤمن أنه مدسوس على الأسفار المقدسة، عن طريق أيدي مارقة عن الدين، فإن أي شيء مناقض للطبيعة مناقض للعقل، وأي شيء مناف للعقل سخيف مضحك»[١].

وفي مواضع أخرى تذكر التوراة أن الرب يفيد من استشارة البشر، كما يستفيد بعضهم من بعض لقصورهم عن إدراك عواقب الأمور ، أيضًا تذكر التوراة أن الرب شاور الملكين اللذين رافقاه في ذهابه إلى إبراهيم ثم لوط « **فقال الرب : هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله ؟** » أي في قوم لوط .

ثم ما كان منه إلا أن قال : « **أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إلي ، وإلا فأعلم** » (أي ما أصنع بهم) (التكوين ١٨ : ١٧-٢١) .

وتنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعها ، والندم فرع عن الجهل ، ومن ذلك « **ندمت على أني جعلت شاول ملكًا ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي** » (١ صموئيل ١٥: ١٠) .

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٤/ ١١٤).

وتذكر التوراة أنه لما عبد بنو إسرائيل العجل غضب الرب عليهم « **وقال الرب لموسى .. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم** » ، فكان من جواب موسى أن قال : « **ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه** » (الخروج ٣٢: ٩-١٤) .

وفي مرة أخرى « **كان الرب مع القاضي ، وخلصهم من يد أعدائهم ، كل أيام القاضي ، لأن الرب ندم من أجل أنينهم** » (القضاة ٢: ١٨) .

ومثله ندم الرب بعد أن قتل مقتلة كبيرة في بني إسرائيل ، فقد « **جعل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد ، فمات من الشعب** ـ من دان إلى بئر سبع ـ **سبعون ألف رجل ، وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها ، فندم الرب عن الشر ، وقال للملاك المهلِك الشعب : كفى ، الآن رُدَّ يدك** » (٢ صموئيل ٢٤: ١٥-١٦) .

وكانت التوراة قد نسبت قبلُ إلى الله الندم والحزن في زمن نوح ، وذلك حين رأى شرور الإنسان ، فقد : « **رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه ، فقال الرب : .. لأني حزنت أني عملتهم** » (التكوين ٦: ٥-٧) ومثل هذا الندم في الأسفار كثير (انظر إرميا ٢٦: ١٩ ، ٤٢: ١١ ، عاموس ٧: ٦ ، التكوين ١٨ : ٢٠) .

تشبيهات ممجوجة لله في العهد القديم :

ونقرأ في أسفار العهد القديم أن الله يشبه نفسه بتشبيهات غريبة ممجوجة ، فيشبه نفسه بالحيوان تارة، وبالمخمور تارة ، ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها العقلاء في التعبير عن ذواتهم ، فالقارئ الكريم لن يقبل لو شُبه بالحمار بجامع الصبر والجَلد في

كليهما ، أو بالقطة لما عندها من حنو على أبنائها ، أو بالكلب لبالغ وفائه ..

ولكن الكثير من أمثال ذلك شبهت به التوراةُ اللهَ ، من ذلك قوله : « **فأكون لهم كأسد ، أرصد على الطريق كنمر ، أصدمهم كدُبّة مثكل ، وأشق شغاف قلوبهم ، وآكلهم هناك كلبوة ، يمزقهم وحش البرية** » (هوشع ١٣ : ٧-٨)، فشُبه الرب بالأسد والنمر وأنثى الدب، واللبوة!! .

ومثله التشبيه المنكر لله والذي جاء في سفر هوشع : « **فأنا لأفرايم كالعث** (الدودة) ، **ولبيت يهوذا كالسوس** » (هوشع ٥: ١٢) .

ويشبه سفر ميخا حزن الرب على ما أصاب بني إسرائيل بنواح النعام ونحيب إناث الثعالب ، فيقول : « **قول الرب الذي صار إلى ميخا .. من أجل ذلك أنوح وأولول ، أمشي حافيًا وعريانًا ، أصنع نحيبًا كبنات آوى ، ونَوحًا كرعال النعام** » (ميخا ١ : ١-٨) .

وفي نص آخر تذكر التوراة حزنه على شعبه وعذرائها أورشليم ، فيقول للنبي إرميا : وتقول لهم هذه الْكلمة : « **لتذرف عيناي دموعًا ليلًا ونهارًا ، ولا تكفّا أبدًا ، لأنّ العذراء بنت شعبي سحقتْ سحقًا عظيمًا** » (إرميا ١٤: ١٧) .

ويستبد به الحزن إلى حد أن يدعو على نفسه بالويل والثبور « **لأنه هكذا قال الرب .. ويل لي من أجل سحقي** » (إرميا ١٠: ١٧) .

وفي صورة أخرى مشينة تصور الأسفار التوراتية سخط الله على أعداء بني إسرائيل من المؤابيين والأدوميين بصورة يترفع عن استعمالها كرام الناس وذوو الوقار فيهم ، فيقول : « **الله قد تكلم بقدسه .. وأفرايم خوذة رأسي ، يهوذا صولجاني ، موآب مرْحضتي ، وعلى أدوم ألْقي حذائي** » (المزمور٦٠: ٦-٨) ، فجعل ـ على سبيل الاستعارة والتشبيه ـ المؤابيين مكانًا لتنظفه من الأقذار للدلالة على سخطه ،

كما عبر عن سخطه على الأدوميين بإلقاء الحذاء عليهم !

وتستمر المخازي في التشبيهات التوراتية ، فتشبه الله ﷻ بالمرأة تارة ، وبالزوج تارة، فقد جاء فيها : « **لأن بعلك هو صانعك ، رب الجنود اسمه .. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح ، دعاك ربك** » (إشعيا ٥٤ : ١-٦) .

وفي موضع آخر أنه قال : « **من أجل ذنوبكم طلَّقتُ أمكم** » (إشعيا ٥٠ : ١) .

ومثله أن الله خاطب أورشليم « **وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك** » (إشعيا ٦٢ : ٥) .

ومن سيئ التشبيهات التوراتية تشبيه الله العظيم بالسكران يفيق من سكره ، فتقول : « **استيقظ الرب كنائم ، كجبار معّيط من الخمر ، فضرب أعداءه إلى الوراء ، جعلهم عارًا أبديًا** » (المزمور ٧٨: ٦٥) .

ومثله في السوء التعبير عن انتقام الله من بني إسرائيل بتسليط ملك أشور عليهم ، إذ يشبهه سفر إشعيا تشبيهًا منكرًا ، أنه يستأجر حلَّاقًا يحلق شعورهم ، فيقول : « **في ذلك اليوم يحلق السيد بموسى مستأجرة في عبر النهر ، بملك أشور الرأسَ وشعر الرجلين ، وتنزع اللحية أيضًا** » (إشعيا ٧: ٢٠) .

فمثل هذه التشبيهات المستنكرة والتعبيرات غير المقبولة لا يمكن أن تصدر عن الله العظيم ، ولا يليق أن يوصف بها ، أوليس من طريقة أفضل يعبر بها الإله عن غضبه أو حبه !!

وكيف لهذه التشبيهات أن تنسب إلى الله ، وقد قال منكرًا تشبيهه بغيره : « **فبمن تشبهون الله ، وأي شبه تعادلون به .. فبمن تشبهونني ، فأساويه ، يقول القدوس** » (إشعيا ٤٤ : ١٨-٢٥) .

هل يأمر الله بمثل هذا ؟

كما تذكر التوراة أن الله أمر أوامر غريبة يظهر لمن تدبرها مقدار العبث فيها والذي ينزه عنه الله جل وعلا .

ومن ذلك أن الله أراد أن يصور حال بني إسرائيل معه وإدبارهم عن عبادته إلى عبادة الأصنام ، فأمر نبيه باتخاذ جومر الزانية زوجة تنجب له من غيره أبناء زنا « **أول ما كلم الرب هوشع قال له : اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا ، لأن الأرض قد زنت زنىً تاركة الرب** » (هوشع ١: ٢) ، وفي موضع آخر « **وقال الرب لي : اذهب أيضًا أحببِ امرأةً ، حبيبةَ صاحبٍ وزانية ، كمحبة الرب لبني إسرائيل ، وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى** » (هوشع ٣: ١) .

تقول مقدمة السفر في نسخة الرهبانية اليسوعية : « في جرأة هوشع النبي ما يدهش، فإنه يجسد في حياته الخاصة تجسيدًا رمزيًا ما من علاقات بين الرب وشعبه الخائن .. كان ولا يزال زواج هوشع أكثر الأمور جدلًا في التفسير الكتابي .. ولا يرجح على كل حال أننا أمام مجرد استعارة .. ليس زواج هوشع خيالًا ، بل رمز ، ولذلك فمن شبه المستحيل وغير المفيد أن نهتدي إلى الحدث التاريخي الذي فيه ، إنه عمل نبوي ، مثل تلك الأعمال التي قام بها الأنبياء (راجع إشعيا ٢٠: ١-٦ ، وأعمال الرسل ٢١: ١٠-١٤) ، والتي يفسرونها هم بأنفسهم »[1].

فهل يأمر الرب بمثل هذا ليصور لبني إسرائيل حالهم مع الله ، هل يأمر الله بفعل الفاحشة ليعلمنا درسًا في الأمانة ، إن نسبة الأمر بهذه الفاحشة إلى الشيطان أليق وأولى

(١) مقدمة سفر هوشع في الرهبانية اليسوعية، ص (١٨٩٣)، وانظر: مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١١٧).

من الرب العظيم .

ومثل هذه القصة ما تنسبه التوراة إلى الله من أمره لنبيه إشعياء بالتعري ، ولماذا؟ لكي يري بني إسرائيل ما ينتظرهم من الهوان والذل والعري على يد ملك آشور « **تكلم الرب عن يد إشعياء بن آموص قائلًا : اذهب وحل المسح عن حقويك ، واخلع حذاءك عن رجليك ، ففعل هكذا ، ومشى معري وحافيًا .**

فقال الرب : كما مشى عبدي إشعياء معرىً وحافيًا ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش ، هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش ، الفتيان والشيوخ ، عراة وحفاة ، ومكشوفي الأستاه خزيًا لمصر » (إشعياء ٢٠ : ٢-٤) .

يقول القديس جيروم: «لم يخجل إشعيا من ان يخطر عاريًا، ليصور بشاعة السبي الآتي»[١].

يقول التفسير التطبيقي تعليقًا على هذه الفقرة : « كان أمر الله لإشعياء أن يتجول عاريًا لمدة ثلاث سنوات ، وهو اختبار مُذِل ، فقد كان الله يستخدم إشعياء لبيان ما ستختبره مصر وكوش من إذلال على يد آشور ، ولكن كانت الرسالة في الواقع ليهوذا »[٢].

ويجلي القمص تادرس ملطي المشهد بقوله: «أراد الله أن يحرك مشاعر شعبه ويغير قلوبهم ويؤنبهم على اتكالهم على مصر وكوش، لذا طلب من نبيَّه أن يمشي أمام الشعب عريانًا حافي القدمين لمدة ثلاث سنوات، ليكون هو نفسه نبوة عما سيحل بمصر وكوش حين يسبيهما آشور، ويقود عُظماءهما للسبي عبيدًا عراة حفاة

---

(١) رسائل هيرونيموس (جيروم) (١/ ١٧٣).

(٢) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (١٤٠٦).

الأقدام ومكشوفي الأستاه»[١] .

وهكذا فإن رؤية بني إسرائيل لنبيهم عريانًا ثلاث سنين درس كبير وعظة بالغة ! أمَا من وسيلة للإيضاح أفضل من هذه الوسيلة العارية ؟ فهل يعقل هذا ؟ هل يأمر الرب نبيه بالتعري ثلاث سنين ؟

ويذكر سفر حزقيال أن الله أمر نبيه حزقيال بأوامر كثيرة منها أنه أمره وبني إسرائيل أن يأكلوا كعك الشعير مخبوزًا مع أو بفضلات الإنسان ، ولما صعب الأمر على حزقيال ، خصه وسمح له أن يخبز كعكة الشعير مع أو بفضلات البقر ، بدلًا من فضلات الإنسان .

والنص بتمامه : « **وتأكل كعكًا من الشعير ، على الخرء الذي يخرج من الإنسان، تخبزه أمام عيونهم . وقال الرب : هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم .**

فقلت : آه يا سيد ، الرب ، ها نفسي لم تتنجس ، ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة ، ولا دخل فمي لحم نجس ، فقال لي : انظر . قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الإنسان ، فتصنع خبزك عليه » (حزقيال ٤ : ١٢-١٥) .

وتحدثنا النصوص التوراتية كيف يقذف الله ـ تعالى عن ذلك: ـ الروث الحيواني في وجوه عصاة بني إسرائيل : « **قال رب الجنود : فإني أرسل عليكم اللعن ، وألعن بركاتكم ، بل قد لعنتها ، لأنكم لستم جاعلين في القلب ، هانذا أنتهر لكم الزرع ، وأمد الفرث على وجوهكم فرث أعيادكم ، فتنزعون معه ، فتعلمون أني أرسلت إليكم هذه الوصية** » (ملاخي ٢ : ٢-٤) ، فمثل هذا لا يقبل ولو كان في باب الاستعارة والمجاز.

(١) تفسير إشعياء، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص (٢١٢).

وتتحدث الأسفار أن الله أمر بني إسرائيل بسرقة أصحابهم من المصريين ، وأنه شارك بهذا الغش عندما أمال قلوب المصريين إلى الموافقة على إعارة بني إسرائيل ما يطلبونه من ذهب وجواهر وثياب، فتقول : « **ثم قال الرب لموسى : ضربة واحدة أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك ، يطلقكم من هنا ، وعندما يطلقكم يطردكم طردًا من هنا ، بالتمام تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها ، أمتعة فضة وأمتعة ذهب ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين .. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين أمتعة من فضة وأمتعة ذهبًا وثيابًا ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين** » (الخروج ١١ : ١ - ١٢ : ٣٦) .

وتتحدث الأسفار عن الرب وهو يأمر بالإغواء والكذب ، ويبحث عمن يرشده إلى طريقة لإغواء آخاب « **فقال الرب : من يغوي أخاب ، فيصعد ويسقط في راموت جلعاد ؟ فقال هذا : هكذا وقال ذاك : هكذا . ثم خرج الروح ، ووقف أمام الرب وقال : أنا أغويه . وقال له الرب : بماذا ؟ فقال : أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه . فقال : إنك تغويه وتقتدر . فاخرج وافعل هكذا** » (١ ملوك ٢٢: ٢٠-٢٢) .

وتصور الأسفار في موضع آخر استجابة الرب لدعاء نبيه ونصرته لأوليائه ، تصوره بصورة ساذجة ، ينظر إلى يدي موسى وهو يدعوه ، فإذا هوت يداه تعبًا هزم بني إسرائيل ، وإذا أجهد نفسه أو أعانه الآخرون على رفعها ، نصره وأيده ، فتقول : « **وأما موسى وهارون وحور ، فصعدوا على رأس التلّة ، وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلِب ، وإذا خفض يده أن عماليق يغلِب ، فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا** [أي هارون وحور] **حجرًا ، ووضعاه تحته فجلس عليه ، ودعم هارون وحور يديه ، الواحد من هنا ، والآخر من هناك ، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس ،**

فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف » (الخروج ١٧ : ١٠-١٣) ، فهل هذا هو ما يحمل الرب على نصرة أنبيائه وأوليائه ؟

ويتحدث سفر العدد عن شريعة غريبة يكتشف الرجل بموجبها خيانة زوجته أو براءتها ، ألا وهو شرب ماء اللعنة المر الممزوج بغبار البيت ، فإن ورمت بطنها وسقطت فخذها ، فهي مذنبة ، وإن قدر لها النجاة من هذا الماء الغريب ، فإنها تكون بريئة .

ودعونا نتأمل طقوس هذا الاختبار الغريب ، يقول سفر العدد : « **يأتي الرجل بامرأته إلى الكاهن ، ويأتي بقربانها معها عشر الإيفة من طحين شعير ، لا يصبّ عليه زيتًا ، ولا يجعل عليه لبانًا .. فيقدّمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ، ويأخذ الكاهن ماء مقدسًا في إناء خزف ، ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ، ويجعل في الماء ، ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ، ويكشف رأس المرأة ، ويجعل في يديها تقدمة التذكار التي هي تقدمة الغيرة ، وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المرّ .**

ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها : إن كان لم يضطجع معك رجل ، وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة من تحت رجلك ، فكوني بريئة من ماء اللعنة هذا المرّ .. يستحلف الكاهن المرأة بحلف اللعنة ويقول الكاهن للمرأة : يجعلك الرب لعنة وحلفًا بين شعبك بأن يجعل الرب فخذك ساقطة وبطنك وارمًا ، ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ . فتقول المرأة : آمين آمين .

ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثم يمحوها في الماء المرّ ، ويسقي المرأة ماء اللعنة المرّ ، فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة .. ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة ، فيرم بطنها وتسقط فخذها ،

فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها ، وإن لم تكن المرأة قد تنجست ، بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع ، هذه شريعة الغيرة ، إذا زاغت امرأة من تحت رجلها وتنجست » (العدد ٥: ١٦-٢٩) ، فهل يأمر الرب العليم بمثل هذا ؟ وهل هذه طريقة منصفة أو كافية في إثبات طهارة أو تلاعب النساء ؟ وماذا لو مرضت المرأة وانتفخت بطنها بسبب هذا الماء الغريب وما ألقي فيه ، لا بسبب لعناته ، هل نعتبرها آثمة مذنبة ، فتخرج للحرق أو الجلد أو الرجم ؟

ومن غريب تشريعات العهد القديم إزدراؤه للمراة الحائض واعتبارها مباءة ومجمعًا للنجاسة ، يتنجس بسببها كل من لمسها « **وإذا كانت امرأة لها سيل ، وكان سيلها دمًا في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها ، وكل من مسّها يكون نجسًا إلى المساء ، وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسًا ، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا ، وكل من مسّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ، ويكون نجسًا إلى المساء ، وكل من مسّ متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء ، وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسّه يكون نجسًا إلى المساء .. وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أيامًا كثيرة في غير وقت طمثها ، أو إذا سال بعد طمثها ، فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما في أيام طمثها ، إنها نجسة ، كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها ، وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها ، وكل من مسّهنّ يكون نجسًا ، فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء** » (اللاويين ١٥: ١٩-٢٧) ، ويتساءل المرء لم كل هذا ؟ ما الذي ارتكبته المرأة عند حيضها حتى تكون في هذه المنزلة الوضيعة؟!

ومن غرائب العهد القديم ـ ولا تنقضي غرائبه ـ شريعة رجم الثور القاتل ، بل ورجم صاحبه إن كان يعلم أن ثوره نطاح ، يقول سفر الخروج : « **وإذا نطح ثور رجلًا**

أو امرأة فمات ، يرجم الثور ، ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئًا ، ولكن إن كان ثورًا نطّاحًا من قبل ، وقد أُشهد على صاحبه ، ولم يضبطه ، فقتل رجلًا أو امرأة، فالثور يرجم ، وصاحبه أيضًا يقتل » (الخروج ٢١: ٢٨-٢٩) ، فما ذنب صاحب الثور ليؤخذ بجريرة ثوره ، سواء بسواء ، قد قصر ـ ولا ريب ـ لكن ذلك لا يستحق قتله بحال من الأحوال .

ويتحدث سفر اللاويين عن أحكام مريض البرص وكيفية التطهر منه ، ثم ينتقل للحديث عن البرص الذي يصيب الثياب والجدران ، ويفصّل في ذكر طريقة التخلص من البرص بمساعدة الكاهن خشية انتقال عدوى المرض إلى ثياب أخرى وجدران أخر ، يقول السفر : « **يأتي الذي له البيت ويخبر الكاهن قائلًا : قد ظهر لي شبه ضربة في البيت ، فيأمر الكاهن أن يفرغوا البيت قبل دخول الكاهن . . وإذا الضربة في حيطان البيت نقر ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة ومنظرها أعمق من الحائط ، يخرج الكاهن من البيت إلى باب البيت ويغلق البيت سبعة أيام .**

فإذا رجع الكاهن في اليوم السابع ورأى وإذا الضربة قد امتدّت في حيطان البيت يأمر الكاهن أن يقلعوا الحجارة التي فيها الضربة ويطرحوها خارج المدينة في مكان نجس ، ويقشر البيت من داخل حواليه ، ويطرحون التراب الذي يقشرونه خارج المدينة في مكان نجس ، ويأخذون حجارة أخرى ويدخلونها في مكان الحجارة ويأخذ ترابًا آخر ويطيّن البيت ، فإن رجعت الضربة وأفرخت في البيت بعد قلع الحجارة وقشر البيت وتطيينه ، وأتى الكاهن ورأى وإذا الضربة قد امتدّت في البيت فهي برص مفسد (أي : معدٍ كما في تراجم أخرى) **في البيت ، إنه نجس ، فيهدم البيت ، حجارته وأخشابه وكل تراب البيت ويخرجها إلى خارج المدينة ، إلى مكان نجس ، ومن دخل إلى البيت في كل أيام انغلاقه يكون نجسًا إلى المساء ، ومن نام في البيت يغسل ثيابه ،**

ومن أكل في البيت يغسل ثيابه » (اللاويين ١٤: ٣٥-٤٧) ، ونعجب ونسأل كيف يمكن تطبيق هذا التشريع لو ظهر البرص المعدي في ناطحة سحاب ، هل ستهدم ويحمل حديدها وحجارتها إلى خارج المدينة !

ومثل هذا الهراء ورد حين الحديث عن برص الثياب ، يقول السفر : « **وأما الثوب فإذا كان فيه ضربة برص ثوب صوف أو ثوب كتان ، في السدى أو اللحمة من الصوف أو الكتان أو في جلد أو في كل مصنوع من جلد ، وكانت الضربة ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة في الثوب أو في الجلد في السدى أو اللحمة أو في متاع ما من جلد فإنها ضربة برص ، فتعرض على الكاهن ، فيرى الكاهن الضربة ويحجز المضروب سبعة أيام ، فمتى رأى الضربة في اليوم السابع ، إذا كانت الضربة قد امتدّت في الثوب في السدى أو اللحمة أو في الجلد من كل ما يصنع من جلد للعمل ، فالضربة برص مفسد** (أي : معدٍ كما في ترجمة أخرى) ، **إنها نجسة فيحرق الثوب أو السدى أو اللحمة من الصوف أو الكتان أو متاع الجلد الذي كانت فيه الضربة لأنها برص مفسد، بالنار يحرق** » (اللاويين ١٣: ٤٧-٥١) . فأين سمعت الدنيا عن مثل هذه الأمراض وعن مثل هذه الطريقة في علاج الجدران والثياب ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علوًا كبيرًا .

ويأمر سفر التثنية الأخ أن يتزوج بأرملة أخيه في بعض الأحوال الاجتماعية ، فإن أبى تحيق به العقوبة التي يقررها السفر ، وهي أن تسلبه حذاءه ، وتبصق في وجهه، يقول السفر : « **وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ ، وتقول : قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسمًا في إسرائيل ، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج ، فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه ، فإن أصر وقال : لا أرضى أن أتخذها ، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ ، وتخلع نعله من رجله ، وتبصق في وجهه ، وتصرخ ، وتقول : هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه ،**

فيدعى اسمه في إسرائيل: بيت مخلوع النعل » (التكوين ٢٥ : ٧-١٠) ، ومثل هذا التشريع يتضمن الإكراه على الزواج ، والبيوت لا تقوم على مثل هذا ، وهنا نتساءل كيف لمثل هذا الزواج أن يتم لو كانت أرملة الأخ كبيرة تكبر زوجها الجديد بأربعين سنة مثلًا ؟!

وهذا ما وقع بالفعل، فهذه الشريعة كانت سبباً في وقوع يهوذا بالزنا مع كنته ثامار ، فقد زوجها من ابنه الثاني (أونان) بعد وفاة ابنه الأول (عير) من غير إنجاب، وقد عبر الزوج الثاني عن رفضه لشريعة إنجاب ابن ينسب لغيره، فكان يعزل عنها «فعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض، لكيلا يعطي نسلا لاخيه» (التكوين ٣٨: ٩)، فأماته الرب.

ولما خشي يهوذا على حياة ابنه الثالث من هذه المرأة التي رآها شؤما على العائلة، فلم يزوجها من شيلة الصغير «فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني، لأنه قال: لعله يموت هو أيضـاً كأخويه » (التكوين ٣٨: ١١)، فكان استنكافه عن تطبيق شريعة تزويج الأخ بأرملة أخيه سبباً في انتقام ثامار منه، بأن أغوته ففجر بها ، وأنجب منها ابنين في نموذج مريع لنكاح المحارم (انظر التكوين ٣٨).

كما تتضمن شريعة مخلوع النعل العقوبة بالبصاق وخلع الحذاء « **وتخلع نعله من رجله ، وتبصق في وجهه** »، وهو لون من السخف ، يترفع عنه شرع الله ودينه ، ويظهر فيه ضعف البشر وسذاجة تفكيرهم .

وما دام حديثنا عن العقوبة التوراتية، فإنا نقرأ في سفر التكوين عن أغرب

العقوبات لأبشع الجرائم، فاغتصاب عذراء عقوبتُه الزواج منها بعد دفع مهر عال: «**إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة، فأمسكها، واضطجع معها، فوجدا، يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلّها، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه**» (التثنية ٢٢: ٢٨-٢٩) (وانظر: الخروج ٢٢: ١٥-١٦)، فهل يشرِّع الله عقوبة كهذه؟ هل تحقق العدل الإلهي من الجاني بهذه الطريقة؟ أين عقوبة زناه؟ وأين عذاب الاغتصاب؟ أيعطى تلك العذراء أبد الدهر مكافأة له على فعلته؟

ومما يتنزه الله عنه، ونجده في التوراة؛ الظلم ، فقد نسب كُتاب التوراة إلى الله حرمان أصحاب العاهات من شرف الدخول في جماعة الرب ، وقد كان الأولى تكريمهم لما أصابهم من بلاء يرفع درجاتهم ويعلي مقاماتهم، فتنسب التوراة لله أنه أمر «**لا يدخل مخصيّ بالرضّ أو مجبوب في جماعة الرب** » (التثنية ٢٣: ١) .

ويطال الحرمان آخرين من أصحاب العاهات ، فلا تقبل ذبائحهم ، بل ولا يقتربون من مذبح العبادة لأنهم نجس بسبب عيبهم الذي ابتلاهم الله به ، فتقول الأسفار : « **كلم هارون قائلًا : إذا كان رجل من نسلك في أجيالهم فيه عيب ، فلا يتقدم ليقرّب خبز إلهه ، لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم ، لا رجل أعمى ، ولا أعرج ، ولا أفطس ، ولا زوائدي ، ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ولا أحدب ، ولا أكشم ، ولا من في عينه بياض ، ولا أجرب ، ولا أكلف ، ولا مرضوض الخصى ، كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لا يتقدم .. وإلى المذبح لا يقترب لأن فيه عيبًا ، لئلا يدنّس مقدسي ، لأني أنا الرب مقدّسهم** » (اللاويين ٢١: ١٧-٢٣) .

وتستمر الأسفار في طرد الأبرياء من جماعة الرب ، ومنهم ابن الزنا ، وأبناء العمويين والمؤابيين، حتى الجيل العاشر ، وذلك جزاء لهم لتقصير أجدادهم في

استقبال بني إسرائيل، فتنسب الأسفار إلى الله قولها : « **لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب ، لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد ، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ، ولأنهم استأجروا عليك بلعام بن بعور لكي يلعنك** » (التثنية ٢٣: ١-٣) .

ومن الشرائع الغريبة لأسفار العهد القديم شريعة كسر عنق الحمار البكر الذي لم يفدَ ، فيؤاخذ بجريرة صاحبه وتقصيره في فدائه ، يقول سفر الخروج : « **لي كل فاتح رحم ، وكل ما يولد ذكرًا من مواشيك ، بكرًا من ثور وشاة ، وأما بكر الحمار فتفديه بشاة ، وإن لم تفده تكسر عنقه ، كل بكر من بنيك تفديه** » (الخروج ٣٤: ١٩-٢٠) ، فهل يأمر الرب بمثل هذا الظلم ومثل هذه القسوة ؟

هذه الأوامر وأمثالها وضعت المؤمنين بهذه الأسفار أمام مأزق أخلاقي، فلم يجدوا وسيلة للتهرب منه إلا حالة الإنكار لهذه النصوص وابتداع التفسير الرمزي الذي يجعل هذه النصوص مجرد رموز منفصلة عن كل واقع، وقد ابتدعه العلامة أوريجانوس لما رأى أن الكتاب «مملوء بقصص تعتبر غير أخلاقية، ولذلك لا يمكن أن تؤخذ حرفيًا، بل ذهب إلى القول بأن فيه أوامر سخيفة لا معنى لها، مثل الوصية بعدم أكل أنواع من الطيور وبعض الوصايا غير العادلة، كقطع نفس الأغرل من الشعب، بينما يجب أن تقع العقوبة على والديه»[(١)].

وقد تصدى لهذا الاتجاه الدخيل الأب باسيليوس الكبير أسقف قيصرية (ت ٣٧٩م)، في عظته التاسعة على سفر التكوين بقوله: «أنا لي معرفة بطريقة التفسير

(١) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١٢٥).

الرمزي، وإنْ كان أقل من عمل آخرين، هناك هؤلاء الذين بالحقيقة لا يقدِّرون الإحساس الحقيقي للكتاب، الذين لهم الماء، وليس ماء، ولكنه شيء آخر، الذين يرون في النبات والسمك أشياء حسب هواهم، الذين يغيِّرون طبيعة الزحافات ووحوش البرية تناسب رؤيتهم، مثل هؤلاء الذين الذين يفسرون الأحلام، يفسرون الرؤى في النوم، لكي تخدم أغراضهم هم، بالنسبة لي العشب هو العشب، النبات والسمك ووحش البرية والحيوانات الأليفة، وأنا آخذها بمعناها الحرفي، لأني لا أستحي بالإنجيل».

ويواصل باسيليوس: «يبدو لي أن هؤلاء الذين أعطوا لأنفسهم حق الطرق الملتوية للرمزية لم يفهموه، وأخذوا على عاتقهم أن يعطوا حق المهابة لاختراعهم للكتاب المقدس، إنهم يظنون أنهم أكثر حكمة من الروح القدس، ويقدمون أفكارهم هم تحت حجة التفسير»[١].

لكن سرعان ما غلبت الرمزية على الكنيسة حين جدد القديس أوغسطين الدعوة إليها «فقد وجد أوغستين أن التفسير الرمزي للكتاب المقدس يزيل ما كان يبدو له في سفر التكوين من سخف»[٢].

لقد كان هذا الذي ذكرناه بعضًا من أحكام تصفها التوراة نفسها بالفساد، ففي سفر حزقيال: « **وأعطيتهم أيضًا فرائض غير صالحة وأحكامًا لا يحيون بها** » (حزقيال ٢٠: ٢٥)، ويصفها الإنجيل بالعتق والشيخوخة، إذ يقول الكاتب المجهول لرسالة العبرانيين: « **فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم**

(١) أيام الخليقة الستة، باسيليوس الكبير، ص (٩٧-٩٨).
(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١٢/ ١٣٥).

نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئًا ، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » (عبرانيين ٧: ١٨-١٩) ، ومقصوده التوراة وشرائعها المختصة بالكهنوت اللاوي .

ويقول مبررًا إلغاء نظام الكهنوت التوراتي : « **فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طُلب موضع لثانٍ** » (عبرانيين ٨: ٧) ، وعيبه هو شيخوخته « **وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال** » (عبرانيين ٨: ١٣) .



الإرهاب المقدس

فولتير وغيره من كتاب عصر التنوير ، يتهمون الأديان بأنها سبب شقاء الإنسان، وأنها كانت سببًا في إزهاق الكثير من الحروب، التي كان الدين باعثًا لها أو مستغلاً من قبل بعض الأدعياء لتحقيق مآرب شخصية أو مصالح استعمارية، وهو ما ترجحه كارين أرمسترنج في خلاصة جذاذاتها من «حقول الدم» التي صبغت تاريخ الإنسان بالأحمر القاني.

والمستعرض لتاريخ البشرية سيرى أنها ما فتئت تتصارع ، ولم تعرف السلام إلا في سنوات نادرة لا تتجاوز وفق بعض المؤرخين ٣٥٠ سنة من التاريخ المسطور والذي يبلغ ٥٠٠٠ سنة.

وليس من الإنصاف أن نتهم الأديان بجُل هذه الصراعات، كما ليس من الحقيقة أن نبرئ ساحتها منه، فأهل الأديان هم بشر تتناوشهم المصالح التي يرنو إليها الآخرون، سواء بسواء.

لكن يتوقع من المؤمنين بشرائع الله أن يحققوا – على الأقل – الحد الأدنى من القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية التي لن تغيب عنهم حتى وهم يصطرعون، فلن يقبل بحال الوقوع في براثن الإرهاب المقيت، الذي يستطير بقوته وبطشه على الأطفال والنساء والشيوخ، فلا يرحم ضعفهم ، مستخفًا بأصول ما جاءت به الشرائع الإلهية، وما تقتضيه الفطر السليمة التي تشمئز من التطاول على الضعفاء والمدنيين الذين لا حول لهم ولا قوة.

لن نلج هنا إلى مناقشة بواعث الحرب في الكتاب المقدس، وهل تستند إلى مشروعية أخلاقية أم لا؟ إذ يتشبث المؤمنون بقدسية الكتاب بالحق المطلق الذي منحهم قتال هؤلاء وهؤلاء، وأورثهم البلاد والعباد من دون سائر الناس .. هذه دعوى

يدعيها كلٌ مستندًا إلى نصوصه المقدسة، لذا نعرض هنا عن مناقشة هذه البواعث، لنتوقف طويلاً مع الممارسات والنظم والضوابط الأخلاقية التي تسيج ممارسة الإنسان لشرعة القتال؛ إذ صحة الباعث لا تُجيز مجافاة المسلك الإنساني القويم الذي لن نختلف في أن أول معالمه اجتناب المدنيين من نساء وأطفال وشيوخ ومن في حكمهم ممن لا يحمل السلاح.

مهما كانت البواعث لشن الحرب صحيحة ومبررة فإنه لا يجوز أن تكون الحرب للحرب، ولا أن تكون إبادة شاملة تقتلع الحجر والشجر والإنسان والحيوان، وهي تزعم أن ذلك بأمر الله ووفق شرائعه، وهذا منهج عدل نقيمه في الحكم على كل اقتتال ينبعث من الدين، سواء كان في الإسلام أو النصرانية.

حين خرج بنو إسرائيل من مصر بعد سنوات طويلة من الاضطهاد المرير ، أقاموا ولأول مرة مجتمعًا أشبه بالدولة وفق مفهوم الدول حينذاك، إذ لهم قائد يقودهم، وهو موسى عليه السلام، ولهم أرض يسكنونها، وهي سيناء، ولهم قانون ناظم لشؤونهم وهو أسفارهم المقدسة.

ومنذ اللحظة الأولى تغيب قيم الإنسان وأخلاق الفرسان عن حروب بني إسرائيل التي يفترض أن قادتها هم أنبياء الله موسى ويشوع ثم داود وسليمان، فتغرقنا أسفار التوراة في حمأة قتل أرعن لا يميز بين طفل وشيخ، أو رجل وامرأة، وهو ما لا نقبل نسبته إلى الله تعالى وأنبيائه، فلأجل هذه القبائح والجرائم نرفض العهد القديم ونراه غارقًا في لجج التحريف والتبديل، ولسنا نعترض هنا على شن الأنبياء للحرب إحقاقًا لحق حملهم الله إياه، بيد أنّا نراهم أرحم الخلق بالخلق، وأعرفهم بما يجوز وما لا يجوز.

بحسب أسفار العهد القديم، تبدأ حروب بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، ولغريب الصدف كان أهل مدين أول عدو يرسل موسى عليه السلام جيشه إليهم،

وهو الذي عاش بينهم حين هرب من بطش فرعون، فآمنوه من خوف، وزوجوه وأكرموه قبل سنين معدودات.

وعاد الجيش الموسوي منتصرًا في حربه، ليفاجئه سخط موسى على قادته الذين توانوا عن تنفيذ كامل أمره ، « **فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب ، وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلًا بمضاجعة ذكر اقتلوها ، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات** » (العدد ٣١: ١٤–١٨) ، لقد لامهم لتقصيرهم في قتل أطفال ونساء مديان، وبذلك وضع معالم المنهج الذي سيسلكه بنو إسرائيل وفق المعطيات التوراتية التي أباحت لهم كل حرام!!.

ويبرر الدكتور وهيب جورجي مذابح الأطفال بقوله: «أما قتل الأطفال الذكور فنظر إليه موسى بمنظار حربي، إذ أراد أن يجنب بني إسرائيل شر انتقام المديانيين إلى أطول فترة من الزمن»[١] ، ولو صح هذا التبرير، لكان مسوغًا لكل المجرمين والطغاة الذين يقتلون الآباء، ثم يبيدون الأطفال والشعوب إبادة كاملة خشية الانتقام لاحقًا!!

وبحسب التوراة، فإن الله أعطى شعب إسرائيل أرض فلسطين، وسمح لهم بإفناء الشعوب التي تسكنها « **وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك ، فلا تستبق منهم نسمة ما، بل تحرّمها تحريمًا: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيين والحوّيين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك**» (التثنية ٢٠: ١٦–١٧)، وهو ما يراه القس منيس عبد النور مبررًا، فقد كانت تلك الشعوب «في منتهى الشر والفجور ..كان قضاء من القاضي العادل على شعب معين في زمن معين .. كان بقاء بني إسرائيل في

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٩١).

حالة التعبدالصحيح يستلزم ليس فقط إخضاع أولئك الأثمة وإذلالهم، بل استئصالهم والقضاء عليهم»[١].

وعن قتل أطفال تلك الشعوب يقول القس منيس: «من المحتمل أن الله من رحمته قضى على أولئك الأطفال، ونقلهم من العالم الشرير قبل أن يكبروا، فيسيروا في رجاسات أسلافهم»[٢].

ولأن القس منيس يدرك وحشية قتل الأطفال، وأنها سقوط أخلاقي فإنه لا يجد ما يقنعنا به إلا القول: «قد يتعذر على عقولنا القاصرة ومعرفتنا الناقصة أن نوفق بين عدل الله ونعمته .. ولما كانت طرق الله وأحكامه بعيدة عن الفحص وجب علينا التسليم بحكمته وعدم استغراب قضائه في هذه الحوادث وسواها »[٣].

وقد التزم اليهود أمر كتابهم، ففي طريقهم إلى الأرض المقدسة أراد بنو إسرائيل المرور في أراضي الأموريين، فتصدى لهم الملك سيحون، ومنعهم ، فكان الأموريون على موعد مع مذبحة مروعة جرت – بحسب – التوراة إنفاذًا لأمر الله ، فقد أخبر موسى (التوراتي) بني إسرائيل بأمر الرب: «**وقال الرب لي: انظر. قد ابتدات أدفع أمامك سيحون وأرضه .. فدفعه الرب إلهنا أمامنا، فضربناه وبنيه وجميع قومه، وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت، وحرمنا من كل مدينة: الرجال والنساء والأطفال، لم نبق شاردًا**» (التثنية ٢: ٣١-٣٤).

ثم انتقل بنا الأصحاح التالي إلى مدن باشان «**فقال لي الرب: لا تخف منه، لأني قد دفعته إلى يدك وجميع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين**

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، منيس عبد النور، ص (١١٨-١١٩).

(٢) المصدر السابق، ص (١١٩).

(٣) المصدر السابق، ص (١١٩).

.. وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت، لم تكن قرية لم نأخذها منهم، ستون مدينة .. محرِّمين كل مدينة: الرجال والنساء والأطفال» (التثنية ٣: ١-٦).

ومات موسى قبل دخول بني إسرائيل إلى فلسطين، وتولى قيادتهم من بعده نبي الله يشوع، وصي موسى ، فدخل بهم إلى الأرض المقدسة وهو يستحضر دومًا في مخياله النموذج الموسوي في مديان ومدن باشان وسيحون ، وهنا تفاجئنا الأسفار باختراع سلسلة من المجازر الدامية التي لم ترحم طفلاً ولا امرأة ، وتبدأ مجازر الإبادة الجماعية بمدينة أريحا ، ويتكرر السيناريو نفسه في سائر المدن الفلسطينية والتي تمتاز عنها أريحا بنجاة راحاب الزانية ومن يلوذ بها : « **وصعد الشعب إلى المدينة ، كل رجل مع وجهه ، وأخذوا المدينة ، وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها .. واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها** » (يشوع ٦: ٢٠-٢٥).

ومبدأ "الحرم" الذي تكرر الحديث عنه في حروب موسى ويشوع (التوراتيين) هو عادة وثنية استعارها مؤلفو الأسفار من الوثنيين ، تقول كارين أرمسترنج: «كان عنف يشوع مرتبطًا بعادة كنعانية قديمة هي (الحرم) قبل المعركة كان قائد الجيش يعقد صفقة مع إلهه : إن تعهد هذا الإله بأن يعطيه المدينة فإن القائد يتعهد بأن ينذر (يحرِّم) كل الغنائم الثمينة لمعبده، وأن يقدم كل سكان المدينة قرابين بشرية لهذا الإله»[١].

ومن جهتهم ؛ محررو دائرة المعارف الكتابية يرون أن هذه المجازر مبررة أخلاقيًا

---

(١) حقول الدم، كارين أرمسترنج، ص (١٧٦).

ودينيًا، «كانت مدن الكنعانيين الذين يعبدون البعل مدنًا محرمة، فكان على بني إسرائيل القضاء عليها تمامًا بمن فيها وما فيها، حتى لا يتعلموا أن يعملوا جميع أرجاسهم ويخطئوا إلى الرب»(١)، واستشهدوا بقوله: «**لكي لا يعلِّموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم، فتخطئوا إلى الرب إلهكم** » (التثنية ٢٠: ١٨).

ومن جهته ، جوناثان كيرتش لا يعري اهتمامًا للتبرير الديني السابق، ويرى أن ما جرى «تطهير عرقي، بل استئصال سكان أرض الميعاد الأصليين .. كانت مجرد حملة ظامئة إلى الدم في أرض كنعان»(٢)، ورأي كيرتش يتطابق مع قول رائد الإصلاح السويسري اللاهوتي هولدريخ زونجلي (ت ١٥٣١م) فقد قال: «أعترف بأن الإنجيل هو عطشانٌ دمًا»(٣).

وأما الأب جورج سابا، فرأى أن تكذيب الكتاب المقدس في هذه المذابح البربرية المتوحشة أولى من الاعتراف بها، واستدل لتكذيبه بانتهاء هذه العادة قبل زمن بعيد، واعتبر هذه المذابح من المبالغات الكاذبة: «ولعل ما يدعونا إلى الاستغراب الشديد في العهد القديم: الإبسال (التحريم) وهو من مراسيم الحرب الدينية، به تُنذَر غنائم الحرب للألوهية، مع ما في ذلك من قتل وتدمير، مما يرتقي إلى الأزمنة البدائية البربرية، أما ما يذكره العهد القديم في هذا الشأن (في تثنية الاشتراع ويشوع مثلًا) فقد كُتب في عهد لم يبقَ فيه أي أثر لذلك الإبسال، وبطريقة مضخمة كأنها تضع كل شيء على حساب الله»(٤).

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٦٨).

(٢) حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش ، ص (١٤٩).

(٣) الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة، قورلس بهنام بني ، ص (٩٨).

(٤) على عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٥٦).

لكنه سرعان ما تراجع عن تكذيبه للنص التوراتي، ورأى أن لا يجوز التأسي بهذه الأفعال: «العهد القديم لا يخلو من مشاهد غريبة وحروب ومجازر وأعمال انتقامية ومآسٍ جنسية ... فالتاريخ الصادق كثيرًا ما لا يكون قدوة لقارئيه، وإلى ذلك فلابد في كل مرة من البحث في السبب الذي أدَّى إلى ذكر تلك الفظائع»(١).

ومن لبنان يأتينا صوت آخر ينكر وقوع هذه المذابح، ويكذب التوراة فيما حكته من خيالات سادية مريضة، وهو صوت الخوري بولس الفغالي، فإنه رأى في أخبار تلك الحروب: «مبالغة يتوسلها الضعيف، ليعوض عن ضعفه (قتل السكان وإحراق جميع ممتلكاتهم)، ونحن نعرف أن بني إسرائيل ظلوا أقلية ضئيلة بين سكان كنعان»(٢).

وسواء اعترف سابا والفغالي بهذه الفظائع أم أنكروها فإن سفر يشوع لم يبال بإنكارهم ولا استنكارهم، ومضى في عرض مجازر يشيب لهولها الولدان، تطال النساء والأطفال الأبرياء ، وكل ذلك بحسب التوراة يحصل بأمر من النبي يشوع ، وحاشاه عليه السلام « **وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف ، وحرّم**

---

(١) المصدر السابق، ص (١٥٧).

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي (١/ ٥٧) ، والعلماء لا يتشككون في حدوث هذه المجازر فحسب، بل يتشككون في وجود بعض المدن كأريحا في زمن يشوع، يقول الأب الكاثوليكي ريموند براون عن شهادة علم الآثار عما وجد من بقايا لجدران أريحا: «ومع ذلك أرخ طبقًا لأحدث التقنيات الدمار الهائل للآثار بأنه يرجع لفترة أقدم بكثير، ويبدو أنها تشير إلى أن أريحا لم تكن حتى مسكونة في زمن يشوع .. ففكرة أن علم الآثار يثبت صحة الكتاب المقدس غير دقيقة ومضللة» ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، ريموند براون، ص (٧٤)..

ملكها هو وكل نفس بها ، لم يبق شاردًا . وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا .

ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة ، وحارب لبنة ، فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها ، فضربها بحد السيف وكل نفس بها ، لم يبق بها شاردًا ، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها ، فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل ، فأخذها في اليوم الثاني ، وضربها بحد السيف ، وكل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة ، حينئذ صعد هورام ملك جازر لإعانة لخيش ، وضربه يشوع مع شعبه ، حتى لم يبق له شاردًا .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون ، فنزلوا عليها ، وحاربوها، وأخذوها في ذلك اليوم ، وضربوها بحد السيف ، وحرّم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش ، ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون ، وحاربوها ، وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها ، لم يبق شاردًا حسب كل ما فعل بعجلون ، فحرّمها وكل نفس بها .

ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها ، وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف ، وحرّموا كل نفس بها ، لم يبق شاردًا ، كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبير وملكها وكما فعل بلبنة وملكها .

فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها ، لم يبق شاردًا ، بل حرّم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل » (يشوع ١٠ : ٢٨-٤٠) .

وهذه السلسلة الطويلة من مجازر الإبادة الجماعية ليست فعلاً بشريًا مدانًا من قبل الشريعة، بل حدثت وفق مراد الرب وأمره ، فقد جاء في خاتمتها قوله: « **كما أمر**

الرب إله إسرائيل » (يشوع ١٠: ٤٠)، وكانت تهدف إلى « **لكي تكون الأرض التي هي أكرم عندك من كل أرض عامرة بأبناء الله كما يليق بها**» (الحكمة ١٢: ٦) .

وكذا تذكر الأسفار أن الله أمر نبيه يشوع بقتل جميع سكان مدينة عاي ، ففعل النبي بحسب الأمر المقدس، فاستباح المدينة ، وأفنى أهلها امتثالًا لهذا الأمر الرهيب: «**تمتلكون المدينة ويدفعها الرب إلهكم بيدكم . ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار ، كقول الرب تفعلون . انظروا . قد أوصيتكم .. ودخلوا المدينة ، وأخذوها، وأسرعوا ، وأحرقوا المدينة بالنار .. وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية ، حيث لحقوهم وسقطوا جميعًا بحد السيف، حتى فنوا .. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفًا ، جميع أهل عاي، ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرّم جميع سكان عاي . لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع . وأحرق يشوع عاي ، وجعلها تلًا أبديًا خرابًا إلى هذا اليوم** » (يشوع ٨: ٨-٢٨) .

يقول أوريجانوس: «المعنى الذي نستخلصه هنا ، هو أنه يجب ألا نبقي شيطانًا واحدًا حيًّا ، بل نقتلهم جميعًا حتى النهاية .. هيا بنا لنحارب هكذا، ونضرب عاي بحد السيف، فنطرد القوات المعادية»[(١)] .

ويعلق ديورانت على هذه القصص: «لسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به، ومثل هذه السهولة في تعداد القتلى إلا في تاريخ الآشوريين.. أما يشوع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الثاني، وهو أن أكثر الناس

(١) تفسير سفر يشوع، القمص تادرس يعقوب ملطي، ص (١١٦).

قتلاً هو الذي يبقى حيـًا»[١].

وهذه النصوص أضحت متكأً للكثير من المجازر التي ارتكبها السفاحون عبر التاريخ ، فقد رأى الطغاة أنها تبيح وتسوغ لهم همجيتهم، فقد «ساهم سفر يشوع في تبرير إفناء هنود أمريكا أو تفوق المستعمرين البيض في جنوب أفريقيا»[٢].

فقد ادعى القاضي اينسيسكو في عام ١٥٠٩م «أن للملك كل الحق في إرسال رجاله إلى الهنود ليستولوا على أراضي هؤلاء الكفار ويأخذوها منهم، لأنه تلقاها من البابا وتسلمها، وإذا ما رفض الهنود يمكنه بصورة قانونية تمامًا أن يحاربهم ويقتلهم ويسترقهم، تمامًا كما قام يوشع باستعباد سكان بلاد كنعان»[٣].

ومن قبله كتب الأسقف بطرس الناسك إلى الملك لويس السابع عام ١١٤٧م حين شرع في الحملة الصليبية الثانية أنه «يتمنى أن يقتل عددًا كبيرًا من المسلمين يوازي من قتلهم موسى ويوشع (يشوع) من الأموريين والكنعانيين»[٤].

ومن قبله دعا البابا غريغوري السابع (ت ١٠٧٣م) إلى حملة صليبية على المسلمين، وكان يلهب المشاعر بترداد قول التوراة: «**ملعون من يمنع سيفه عن الدم** » (إرميا ٤٨: ١٠) [٥].

وهكذا، فقد فتحت نصوص سفر يشوع وأخواتها الباب واسعًا أمام سلسلة من

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٣٢٧).
(٢) الإله الغامض (العنف والجنس في قصص العهد القديم)، توماس روميرو، ص (١٠٠).
(٣) الجانب المظلم في التاريخي المسيحي، هيلين إيليربي، ص (١٠٥).
(٤) سيرة النبي محمد، كارن أرمسترنج، ص (٤٧).
(٥) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، موريس بيشوب، ص (٨٠).

الجرائم التي خضبت تاريخ البشرية، وصبغته بلون الدم «تاريخ الأديان المستندة إلى التوراة هو أيضًا تاريخ كتاب التحريم وكتاب الحرق، ومحاكم التفتيش والعزل والحرمان الكنسي، والحرب المقدسة، والحرب الصليبية، والاستشهاد والإبادة الجماعية، والمخلعة، وفعل الإيمان والاستشهاد والقتل والتعصب الديني »[١].

ويضيف ول ديورانت متحدثًا عن الكتاب المقدس: «أعظم الكتب شعبية وانتشارًا، وأعظمها أثرًا في العقيدة واللغة، بل حتى في السلوك، فإن أسوأ الاعمال الوحشية – الحروب والاضطهادات – عمدت إلى اقتباس النصوص المقدسة لتبرير ارتكابها»[٢].

وبالعود إلى النصوص التوراتية فقد بعث الله نبيه صموئيل إلى الملك شاول (طالوت) يخبره باصطفاء الله له للملك ، وأنه: « **هكذا يقول رب الجنود** : .. **فالآن اذهب ، واضرب عماليق ، وحرّموا كل ما له ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلًا وامرأة ، طفلًا ورضيعًا ، بقرًا وغنمًا ، جملًا وحمارًا** » (١ صموئيل ١٥ : ٢-٣) ، لقد أمره بقتل وسحق كل أحد من أهل مدينة عماليق ، وحتى لا يستثني منهم أحدًا أمره بقتل الرضع والأطفال والنساء ، بل وحتى الحيوان .

لكن شاول لم يلتزم أمر الرب بدقة « **وحرّم جميع الشعب بحد السيف ، وعفا شاول والشعب عن أجاج ، وعن خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف ، وعن كل الجيد، ولم يرضوا أن يحرّموها . وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرّموها** » (١

---

(١) حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش، ص (٣٥٤)، والمخلعة أداة تعذيب، وفعل الإيمان المقصود به احتفالات الكنيسة فيما بعد التعذيب.

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٠/ ٢٣٠).

صموئيل ١٥: ٨-٩) ، لقد قتل جنوده البشر والحيوانات الهزيلة ، وعفوا عن الحيوانات القوية ، فماذا كان ؟ لقد سخط الله على شاول « **وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلًا : ندمت على أني قد جعلتُ شاول ملكًا ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي** » (١ صموئيل ١٥: ١٠-١١) .

وفسَّرت روح النبي صموئيل سبب الغضب حين استحضرتها العرافة لشاول ، فقالت روحه : « **لأنك لم تسمع لصوت الرب ، ولم تفعل حمو غضبه في عماليق ، لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم** » (١ صموئيل ٢٨: ١٨) ، لقد باء بغضب الرب وندمه ، لأنه لم يكمل المجزرة إلى آخر فصولها ، فهل يأمر الله بمثل هذا ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

وقبل أن نطوي صفحة عماليق السوداء فإنا نجد لزامًا أن نستذكر مصير ملكهم أجاج ، فقد أمسكوا به حيًا « **وعفا شاول والشعب عن أجاج .. فقال شاول لصموئيل: إني قد سمعت لصوت الرب، وذهبت في الطريق التي أرسلني فيها الرب، وأتيت بأجاج ملك عماليق، وحرّمت عماليق**» (١ صموئيل ١٥: ٩-٢٠)، فأخبره النبي صموئيل – كما أسلفتُ – بغضب الله عليه ، ثم أمر بإحضار أجاج «**فقطَّع صموئيل أجاج أمام الرب في الجلجال** » (١ صموئيل ١٥: ٣٣)، وبحسب نسخة الحياة: «**وقطع صموئيل أجاج إربًا**».

وهكذا نُحِّي شاول عن الاختيار الإلهي، وقتل في معركة من معاركه مع الفلسطينيين ، وتولى قيادة الشعب الإسرائيلي النبي داود، فلم يخرج بحسب الأسفار التوراتية عن سيرة من سبقه، وصنع من المجازر ما يستحي منه الهمج الرعاع ، ولنبدأ بما فعله بالعمويين ، فقد دخل مدنهم، « **وأخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد ، وأمرَّهم في أتون الآجر ، وهكذا صنع بجميع**

مدن عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم » (٢ صموئيل ١٢: ٣١) . سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومرة أخرى تتكرر الوصاة ـ المنسوبة زورًا إلى الرب ـ بقتل الأطفال ، لكنها هذه المرة مع التأكيد على قتل الأجنة في بطون الأمهات ، حتى لا ينجو أولئك الذين لم يروا الدنيا بعد « **تجازى السامرة ، لأنها قد تمردت على إلهها ، بالسيف يسقطون ، تحطَّم أطفالهم ، والحوامل تشقّ** » (هوشع ١٣: ١٦) ، لقد عوقبوا بجريرة آبائهم ، فهل يأمر الله بمثل هذا الظلم ؟ !

وأما يوم الرب الذي سيصيب بابل في الأزمة الأخيرة، فذلك يوم مهول، ففي ذلك اليوم « **كل من وجد يُطعن ، وكل من انحاش يسقط بالسيف ، وتحطَّم أطفالهم أمام عيونهم ، وتنهب بيوتهم ، وتُفضح نساؤهم ، ها أنذا أهيج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ، ولا يسرون بالذهب ، فتحطِّم القسيُّ الفتيان ، ولا يرحمون ثمرة البطن، لا تشفق عيونهم على الأولاد، وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين؛ كتقليب الله سدوم وعمورة ، لا تعمر إلى الأبد** » (إشعيا ١٣: ١٥-٢٠).

وفي هذا اليوم «يعلن فيه يهوه ذاته، ويدين الشر، ويكمل عمل الفداء، وهو اليوم الذي سينتصر فيه يهوه على جميع أعدائه، ويخلص شعبه من كل ضيق .. ويوم الرب هو يوم الدينونة الأخير العام، وسيكون ذعرًا وهلعـًا على الأشرار .. وسيحل يوم الرب عند مجيء يسوع المسيح للدينونة»[1]، وما زال الإنجيليون يتنظرون هذا اليوم الموعود الذي وصفته التوراة بأنه «**قادم كخراب من القادر على كل شيء .. هوذا يوم الرب قادم قاسيًا بسخط وحمو غضب، ليجعل الأرض خرابًا، ويبيد منها خطاتها** » (إشعيا ١٣: ٦-٩)، و«**تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف**» (**يوئيل ٢:**

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص (١١٢٢-١١٢٣).

٣١)، وبمجيئه «ستمحى هرطقة الديمقراطية الحديثة، ويعاد تنظيم المجتمع على أسس إنجيلية صارمة .. ستعود العبودية .. وسيقضى بإعدام الزناة والشواذ ومن يكفر بالكتاب والمنجمين والساحرات، وسيرجم الأطفال الذين يثابرون في عصيانهم والديهم كما نصَّ الإنجيل»[١].

وكما رأينا فإن للأطفال نصيبًا مستحقًا من القتل والتدمير في يوم الرب، وهو ما فتئت النصوص تذكر به ، ومنه ما ينتظر أطفال بابل فطوبى لمن يقتلهم « **يا بنت بابل المخربة ، طوبى لمن يجازيكِ جزاءك الذي جازيتنا ، طوبى لمن يمسك أطفالك ، ويضرب بهم الصخرة** » (المزمور ١٣٧ : ٨-٩).

وسيصبح هذا النص ملهِمًا للمجرمين العتاة الذين رأوا فيه تسويغًا لجرائمهم، بل نبوءة عنها تعدهم بالجنة (طوبى) على قتلهم الأطفال وبقرهم البطون، وهو ما صنعه هرقل بمدينة سابور الفارسية «قتل كل من فيها من رجل وامرأة وصبي، وكانوا يشقون بطون الحبالى، ويخرجون منها الأطفال، ويضربون بهم الصخرة، عند ذلك قال هرقل: أنا الذي تنبأ عليَّ داود النبي إذ يقول: (**طوبى لمن أخذ أطفالك وضرب بهم الصخرة**)»[٢].

وحين لبَّت الحملة الصليبية الأولى نداء البابا أوربان الثاني في كليرومنت دخل البطريرك إلى بيت المقدس، وبحسب وصف المؤرخ ميخائيل درسيرر :«وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها ، مرددًا كلمات المزمور: «**يفرح الصدّيق إذ رأى النقمة، يغسل خطواته بدم الشرير، ويقول الإنسان: إن للصديق ثمرًا، إنه**

---

(١) معارك في سبيل الإله، كارين أرمسترنغ، ص (٥٢٨).

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ابن البطريق (٢/ ٣).

يوجد إله قاض في الأرض» (المزامير ٥٨: ١٠-١١) ثم أخذ في أداء القداس قائلًا: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من هذا، ليرضي به الرب»[١]، فقد كان قربانهم المقدس عشرات الألوف من النساء والأطفال الذين خاضت الخيول في دمائهم في صحن المسجد الأقصى، وهي تستلهم من النص التوراتي درس الغسيل « **بدم الشرير** »

وللاطلاع على المزيد من المجازر التي تنسبها أسفار العهد القديم إلى أمر الرب . انظر (حزقيال ٩: ٦-٧) ، و (إرمياء ٥١: ٢٠-٢٣) ، ويغنيك عن ذلك كله أن تقرأ سفر المجازر المنسوب إلى النبي يشوع ، أو أن تقرأ سيرة هتلر والنازيين وما صنعوه من جرائم يندى لها جبين الإنسان ما بقي الليل والنهار.

وفي المقابل فإن هذه القسوة والهمجية دفعت فئامًا من اليهود للتعبير عن رفضهم لقسوة هذه النصوص ، فلجؤوا إلى استبدال بعض الكلمات في النصوص المقدسة لتقديم قراءة أكثر رحمة»[٢]، بينما ندد الامبرطور الروماني (المرتد) يوليان (ت ٣٦٣م) بهذه النصوص الدموية، واعتبرها من جنس فعل الوثنيين حين يضحون ببعض الرجال والنساء لآلهتهم[٣].

وكذلك لم تحظَ هذه المجازر بقبول عند المسيحيين ، فكفروا بقدسية النص التوراتي الذي رأوه يقدم صورة للإله مناقضة لما توارثوه عن رحمة الإله ومحبته لكل خليقته، يقول الدكتور أوسم وصفي: «بعض المسيحيين في القرون الأولى للمسيحية

---

(١) الله ليس كذلك، زيغريد هونكه، ص (٢٢).

(٢) حقول الدم، كارن أرمسترنج، ص (٢٢٧).

(٣) انظر رسالته «ضد الجليليين»، وقد ضمنها بعض تناقضات الكتاب المقدس كما قدم نقدًا لبعض ما جاء فيه كأسطورة قصة الخلق، ومنع آدم من معرفة الخير والشر، ومبدأ وراثة الذنب.

أن يرفضوا العهد القديم»، وذلك لما رأوه يعرف بالله الرحيم على أنه «الإله المحارب الذي يأمر الشعب بالقتال وتحريم بلاد بالكامل، أي إبادة كل حي فيها»[١].

وآخرون من المسيحيين سلكوا طريقًا آخر في الاحتجاج على هذه القسوة، حين رفضوا ترجمة نصوصها إلى لغاتهم المحلية، كما فعل أولفيلاس الذي يسمى «رسول القوط» في منتصف القرن الرابع، فقد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة القوطية، ولم يترجم أسفار صموئيل والملوك «لئلا يتخذ البرابرة من حوادثها الحربية مشجعًا لهم على وحشيتهم»[٢].

وأما القس صموئيل مشرقي فلم يجد ما يبرر به هذه السقطات وأمثالها إلا أن يقول: «نجد في بعض المزامير مواقف قد لا نهضمها .. وإنه لمن باب الجرأة بل والخطأ الشنيع أن نعترض على الله قائلين: لماذا فعل هذه الطريقة؟ ولماذا لم يفعل غيرها؟ لأنه هو أحكم منا بلا حد، ويعرف الطريقة التي تؤثر في القلوب أكثر مما نعرف نحن »[٣].

---

(١) أسئلة في العهد القديم، أوسم وصفي، ص (١٠١).

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص (١٨٢)، وانظر: قصة الحضارة، ول ديوانت (١٢/ ٩٧)، وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر (٣/ ١٤٧).

(٣) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١١٨).

الأنبياء في العهد القديم

اصطفى الله ﷻ أنبياءه من بين سائر خلقه ، وحباهم بأن جعلهم حملة دينه إلى الناس ، وأسبق أقوامهم إليه ، وجعل منهم قدوة للعالمين ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ** ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وهذا الذي يقتضيه العقل في هؤلاء الذين اختارهم الله لهداية خلقه ، أن يكونوا أحسن الناس سيرة ، وأصدقهم طوية . . . كيف لا ، وقد جاء الحديث في التوراة عن عصمة الكهنة وبراءتهم من الآثام ، لأنهم حاملو الشريعة ومبلغوها للناس ، وهم ـ ولا ريب ـ دون منزلة الأنبياء ، يقول سفر ملاخي عن لاوي وسبطه : « **عهدي معه للحياة والسلام ، وأعطيته إياهما للتقوى ، فاتقاني ، ومن اسمي ارتاع هو ، شريعة الحق كانت في فيه ، وإثم لم يوجد في شفتيه ، سلك معي في السلام والاستقامة ، وأرجع كثيرين عن الإثم ، لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ، ومن فمه يطلبون الشريعة ، لأنه رسول رب الجنود** » (ملاخي ٢ : ٥-٧) .

وتثني التوراة في بعض نصوصها على بعض هؤلاء الأنبياء ، فعن نوح تقول : « **كان نوح رجلًا بارًا كاملًا في أجياله ، وسار نوح مع الله** » (التكوين ٦ : ٩) .

وعن إبراهيم تقول التوراة بأن الله قال له في المنام : « **يا إبرام أنا ترس لك ، أجرك كثير جدًا** » (التكوين ١٥ : ١) .

وعن إسحاق « **وباركه الرب** » (التكوين ٢٦ : ١٢)

وعن داود تقول : « **أنا أكون له أبًا ، وهو يكون لي ابنًا** » (٢ صموئيل ٧ : ١٤) .. إلى غير ذلك من القول الحسن بحق أنبياء الله الكرام .

لكن ذلك الثناء الجميل يضيع في بحر الرذائل التي تلصقها التوراة زورًا بحملة رسالات الله من الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله لبلاغ وحيه .

نـــوح عليه السلام **:**

تحدثت التوراة عن سُكرِ نبي الله نوح ـ عليه السلام وحاشاه ـ وتعريه داخل خبائه ، وحينذاك أبصره ابنه الصغير حام ، وأخبر أخويه بما رأى فجاءا بظهريهما ، وسترا عورة أبيهما الثمِل ، فلما أفاق من سكرته ، وعرف ما فعل ابنه حام الصغير قال: «**ملعون كنعان** (ابن الجاني حام) ، **عبد العبيد يكون لإخوته .. وليكن كنعان عبدًا لهم**».

والقصة بتمامها : « **وابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا . وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه . فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء . فلم يبصرا عورة أبيهما .**

فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال : ملعون كنعان (أب الفلسطينيين الذي لا علاقة له بالحادثة ، الذي لم يولد حينذاك) ، **عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم .**

ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام .وليكن كنعان عبدا لهم » (التكوين ٩: ٢٥-٢٦) ، فبدلًا من أن يوجه ابنه الصغير للتصرف الصحيح مع الوالد حين سكره وعربدته ، صب لعناته على كنعان ابن حام ، كنعان الذي لعله لم يخلق بعد ، فما ذنب هذا الكنعان ، بالطبع لا ذنب له إلا أنه سيصبح جدًّا لأهل فلسطين ، أعداء اليهود «**لأنهم كانوا ذرية ملعونة منذ البدء** » (الحكمة ١٢: ١١)**!** بل وما ذنب أبيه حام الذي لم يكن ليستحق هذا كله ؟ وماذا عن الأب الذي شرب الخمر ؟ ما الذي يستحقه من عقوبة ؟ لماذا لم يعاقبه الرب ؟

إبراهيم ﷵ **:**

وأما إبراهيم خليل الله ، فتزعم التوراة أنه أخطأ في حق الله لما أراد إهلاك قوم لوط ، وخاطب ربه بأسلوب الناصح الغليظ ، بأسلوب لا يقبل عاقل أن يخاطبه به صديقه أو ابنه ، فضلًا عن عبده الضعيف « **فتقدم إبراهيم وقال : أفتهلك البار مع الأثيم ! عسى أن يكون خمسون بارًا في المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارًا الذين فيه ؟ حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم ، فيكون البار كالأثيم ! حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلًا** » (التكوين ١٨ : ٢٣) .

لـــوط ﷵ **:**

وأما لوط ﷵ ، النبي الذي حارب الشذوذ ، فتذكر التوراة أنه لما أهلك الله قومه لجأ إلى مغارة مع ابنتيه فسقتاه الخمر ، وضاجعتاه ، ولم يعلم بذلك ، وولد من هاتين الفاحشتين عمي ومؤاب ، ومنهما انحدر العمويون والمؤابيون أعداء بني إسرائيل ، فاسمع إلى السفر : « **وصعد لوط من صوغر ، وسكن في الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنتاه .**

وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقي أبانا خمرًا ، ونضطجع معه .فنحيي من أبينا نسلًا . فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا ، فادخلي اضطجعي معه ، فنحيي من أبينا نسلًا . فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين [أعداء بني إسرائيل] **إلى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنًا ، ودعت اسمه بن عمي . وهو أبو بني عمون** [وهم أيضًا أعداء بني إسرائيل] **إلى اليوم** » (التكوين ١٩: ٣٠-٣٧) ، وهكذا فالغرض من القصة اتهام أعداء بني إسرائيل (العمويين والمؤابيين) بأنهم نتاج زنا محارم، وبعبارة - جوناثان كيرتش -: «نوع من الدعاية السوداء .. قصة بذيئة يقصد بها التشنيع على العمونيين والمؤابيين المكروهين»[١] .

ويبرر السفر جريمة زنا المحارم هذه بأن الكبيرة من بنات لوط فعلت ما فعلت بقصد حسن جميل، فقد قالت لأختها : « **أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض .. نحيي من أبينا نسلًا** » (التكوين ١٩: ٣١-٣٢) ، فيصور النص الأرض وقد خلت من الرجال ، أو أن المغارة سيمكث فيها لوط وابنتاه إلى الأبد، فلا سبيل حينذاك لاستبقاء النسل الإنساني إلا مضاجعة الأب لبناته **!** .

وهذا التبرير الغريب لهذه الفاحشة يقبله القديس أيريناوس، ويرى فيه عذرًا مقبولاً لما زعمت التوراة أن البنتين فعلتاه: «لذلك يجب أن نلتمس لهما عذر، حيث إنهما افترضتا أنهما هما فقط مع أبيهما قد تركوا لأجل حفظ الجنس البشري»[٢] .

يعقوب عليه السلام **:**

وأما يعقوب عليه السلام أصل بني إسرائيل ، فهو أيضًا لم يسلم من مخازي التوراة ،

---

(١) حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش، ص (٧٣).

(٢) ضد الهرطقات، إيريناوس (ك٤، ف ٣١)، وانظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٦٠).

ولم تشفع له أبوته لهم ، فتذكر التوراة أنه سرق البركة من أخيه الأكبر عيسو عندما خدع أباه إسحاق وأشربه الخمر ، وأوهمه أنه عيسو ، ولم يستطع إسحاق أن يفرق بين ملمس ابنه الأكبر وجلد المعزي الذي وضعه يعقوب على يده . (انظر : التكوين ٢٧ : ١٦-٢٥) .

فبارك يعقوب ، وهو يظنه عيسو ، وقال له : « **رائحة ابني كرائحة حقل ، قد باركه الرب ، فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، وكن سيدًا لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومبارِكوك مباركين** » (التكوين ٢٧: ٢٧-٢٩) .

ثم بعد برهة جاء عيسو أباه فاكتشف الخدعة ، ولكن بعد فوات الأوان .

وهكذا فالبركة سرقت ، وهذا يعتبر كذبًا على الله واهب البركة ، لا على إسحاق ، ونتساءل: لماذا لم يسترد إسحاق بركته؟ ثم ما هذه البركة التي تثمر خمرًا واستعبادًا للشعوب ؟

وهذه البركة لا يبدو لها عظيم أثر في حياة يعقوب ، فقد جوزي على خديعته لأبيه ، فخدعه خاله لابان ، فزوجه ابنته الصغرى (راحيل)، ثم أدخله ليلة الزواج على ابنته الكبرى ليئة ، فضاجعها من غير أن يكتشف أنها أخت عروسه . (انظر : التكوين ٢٩: ٢٤)، وقد رد يعقوب الصاع لخاله حينما خدعه في غنمه . (انظر : التكوين ٣٠: ٣٧ - ٤٢) .

ثم لما شاخ اعتدى شكيم بن حمور على ابنته دينة واغتصبها ، وقد تمكن اثنان من أبناء يعقوب (شمعون ولاوي) من الانتقام لشرفهم المدنس من حمور وأهل مدينته، فأوقعوهم في شراك خدعة الختان الجماعي، وهي قصة غير محبوكة نسجها الخيال التوراتي، فقد أوهم أبناء يعقوب حمورَ بتنازلهم عن عرضهم المغتصب بشرط أن يختتن حمور وأهل مدينته، فاختتنوا جميعًا في يوم واحد، ليستغل شمعون ولاوي

عجز الرجال عن القتال بسبب جراحاتهم، فقتلوا كل ذكور المدينة، وسبوا نساءهم وأطفالهم، ونهبوا بيوتهم. (انظر : التكوين ٣٤)، ويترك السفر للقارئ خياله الخصب، وهو يتصور رجلين يقتلان ذكور مدينة كاملة، من غير أن يستطيع أحد منهم أن يصيب الرجلين بأدنى أذى، وقد اكتفت النساء والفتيات الحموريات برؤية المجزرة التي أهلكت أزواجهن وأولادهن، ثم استسلمن كبهائمهن للرجلين وهما يقودان قطيعًا من النساء والأطفال والمواشي إلى الصحراء!!.

وقد لقي هذا الانتقام البشع حذرًا من يعقوب الذي خشي ردة الفعل المؤلمة، لكنه على أية حال كان من مفاخر التوراة وشعب إسرائيل، فقد تغنت به بعد قرون يهوديت حين دعت الله: « **أيها الرب، إله شمعون أبي، يا من سلَّم إلى يده سيفًا لينتقم من غرباء حلوا إزار عذراء لعارها، وعروا فخذها لخزيها، ودنسوا بطنها لهوانها، لأنك قلت: لا يكون كذلك، ولكنهم فعلوا، لذلك أسلمت رؤساءهم إلى القتل، ومضجعهم المفضوح بخداعهم خدع حتى الدم، وضربت العبيد إلى جانب المقتدرين، والمقتدرين مع عبيدهم، وأسلمت نساءهم إلى السبي، وبناتهم إلى الجلاء، وجميع أسلابهم إلى اقتسام البنين المحبوبين إليك الذين غاروا غيرتك، ومقتوا نجاسة دمهم، واستغاثوا بك اللهم، يا إلهي استجبني أنا الأرملة** » (يهوديت ٩: ٢-٤).

وتتوالى قصص البركة اليعقوبية المعكوسة ، فقد زنى أحد أبناء يعقوب، وهو يهوذا بكنته ثامار ، وأحبلها اثنين من أبنائه (انظر : التكوين ٣٨: ١٨)، ثم اعتدى ابنه البكر رؤابين على بلهة سرية يعقوب ، واضطجع معها ، ولم يحرك يعقوب ساكنًا . (انظر: التكوين ٣٥: ٢١ – ٢٢) . فأين أثر البركة المسروقة في هذا كله ؟

موسى وهارون عليهما السلام :

كما تسيء التوراة إلى موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل ، وتذكر كلمات لا

يمكن أن تصدر من موسى لما فيها من إساءة أدب مع الله ، منها : « **فقال موسى للرب: لماذا أسأتَ إلى عبدك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك، حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ؟ ألعلي حبلتُ بجميع هذا الشعب ؟ أو لعلي ولَدتُه .. فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلني قتلًا ، إن وجدتُ نعمة في عينيك فلا أرى بليتي** » (العدد ١١: ١٠-١٥) ، فهل يتحدث عبد ـ فضلًا عن نبي ـ مع ربه بمثل هذا ؟

وأما هارون القدوس كما في سفر المزامير « **هارون قدوس الرب** » (المزمور ١٠٦: ١٦) ، فإن سفر الخروج يفتري عليه ، ويتهمه بأنه الذي صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه ، فيقول : « **قال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم ، وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوّره بالإزميل ، وصنعه عجلا مسبوكًا، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر** » (الخروج ٣٢: ٢-٤)، فهل هذا صنيع يصنعه «قدوس الرب» ؟

ثم تذكر التوراة المحرفة أن الله حرم موسى وهارون من دخول الأرض المقدسة لخيانتهما لله وعدم إيمانهما : « **فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي ، حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها** » (العدد ٢٠: ١٢) .

وفي موضع آخر يؤكد هذا السبب لحرمانهما من دخول الأرض المباركة ، فيقول : « **لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل ، عند ماء مريبة قادش ، في برية صين ، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل** » (التثنية ٣٢: ٥١) .

وفجأة ، ومن غير سياق وتمهيد، تذكر التوراة قصة غريبة مبهمة ، ومفادها أن الله أراد قتل موسى وهو في صحراء سيناء ، حين كان متجهًا لدعوة فرعون كما أمره

الرب ، والذي أنقذه من القتل ذكاء زوجته صفورة وسرعة بديهتها ، حيث أدركت أن سبب غضب الرب عدم ختان موسى لنفسه ، فختنت ابنه سريعًا ، ولوثت بالدم رجلي موسى لتوهم الرب أنه اختتن ، فنجا موسى من الموت ، يقول السفر : « **حدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه ، وطلب أن يقتله ، فأخذت صفّورة صوّانة ، وقطعت غرلة ابنها ، ومسّت رجليه ، فقالت : إنك عريس دم لي ، فانفكّ عنه عندما قالت : عريس دم من أجل الختان** » (الخروج ٤ : ٢٤-٢٦) ، ولم يبين السفر السبب الصريح لهذه الغضبة الإلهية المزعومة ، واكتفى ببيان هذه الطريقة الغريبة في استرضاء الرب .

لكن لعلنا نكتشف السر حين ننقل للقارئ تعليق الآباء اليسوعيين على هذه القصة في حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، حيث يكشف لنا الآباء أن ما حصل من صفورة كان خداعًا للرب ، وأنها نجحت في ذلك : « رواية غامضة بسبب اقتضابها وعدم وجود أي سياق في الكلام .. يجوز التكهن والقول بأن قلف موسى يجلب عليه غضب الله ، وأن هذا الغضب سكن حين ختنت صفورة ابنها ، وتظاهرت بختان موسى ، فلمست عورته » ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

داود عليه السلام **:**

وأما **داود** عليه السلام والذي يصفه القرآن بالأواب ، فتخصه التوراة بقبائح لم تذكر لغيره، منها أنه لما أراد الزواج من ابنة شاول ملك إسرائيل الأول (طالوت) قدم إليه مهرًا عجيبًا، فلقد « **قام داود ، وذهب هو ورجاله ، وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل ، وأتى داود بغلفهم** (الجلدة التي تقطع في الختان) ، **فأكملوها للملك لمصاهرة الملك** » (١ صموئيل ١٨ : ٢٧) ، فما ذنب أولئك المساكين الذين قتلوا لغير جريرة ولا إثم؟! .

ويتساءل القس وهيب جورجي: «كيف يقبل نبي عظيم مثل داود أن يقوم بعمل غير إنساني ضد الفلسطينيين وهو قتل مائتي رجل ليحصل على غلفهم كمهر

للزواج؟»، ويجيب بأن ذلك لعدم وجود مواثيق دولية حينذاك تمنع من تشويه أجساد الجنود في الحرب[١] .

ويحكي سفر صموئيل عن رقص النبي داود وتكشف عورته ، وهو فرح باسترجاع التابوت من يد الفلسطينيين ، وقد استاءت زوجه ميكال من هذا المنظر ، واحتقرته لأجله « **كان داود يرقص بكل قوته أمام الرب .. أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ، ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب ، فاحتقرته في قلبها .. وقالت : ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حتى تكشف اليوم في أعين إماء عبيده ، كما يتكشف أحد السفهاء** » (٢ صموئيل ٦: ١٤-٢٠) .

ثم تحكي التوراة قصة داود مع أوريا الحثي وزوجته بثشبع: « **وكان في وقت المساء إن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحمّ . وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثّي ؟ فأرسل داود رسلًا وأخذها ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها .**

وحبلت المرأة ، فأرسلت ، وأخبرت داود ، وقالت : إني حبلى . فأرسل داود إلى يوآب يقول : أرسل إليَّ أوريا الحثي ، فأرسل يوآب أوريا إلى داود . فأتى أوريا إليه . . وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك .

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل إلى بيته .

---

(١) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١١٩).

فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ! فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي ؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر .

فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضًا ، وغدًا أطلقك ، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده . ودعاه داود فأكل أمامه ، وشرب ، وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده ، وإلى بيته لم ينزل ، وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا . وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه ، فيضرب ويموت » (٢ صموئيل ١١ : ٢-٢٦) .

وكان كما أراد ، ومات أوريا ، وضم داود بشبع الزانية إلى زوجاته ، ومنها أنجب سليمان ، الذي يشرفه كتاب الأناجيل ، فيجعلونه أحد أجداد المسيح .

ولم يجد الأسقف جيوم ديورانث (ت ١٢٩٦) أسقف مندي، ما يبرر هذه الباقعة إلا الإنكفاء إلى الرمزية التي نال أوريجانوس براءة اختراعها، فيقول: « داود حين يراقب بتشبع وهو يستحم إنما يرمز إلى المسيح ، إذ يرى كنيسته تظهر نفسها من دنس هذه الدنيا»[1].

ومثل هذا المهرب غير كاف في تبرير هذه القصة القميئة التي دفعت الكاتب والفيلسوف الفرنسي فولتير (ت ١٧٧٨م) إلى رفض الكتاب المقدس، فكتب في عظته رافضًا عبادة: «الرب الذي ورد ذكره في التوراة رب فخور حقود غضوب قاس قاتل، لا يمكن لإنسان عاقل أن يعبده، وأن داود كان وغداً منغمساً في الشهوات

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١٦/ ١١).

سفاحـًا. فكيف يتسنى لأحد أن يصدق بأن هذا الكتاب تنزيل من عند الله؟»[١].

ومن جهته فإن ديورانت يرسم شخصية بالغة السوء لداود التوراتي: « داود الشجاع قاتل جالوت، وحبيب يوناثان وكثير من الفتيات، الذي يرقص بكل قوته وهو نصف عارٍ، .. قاس غليظ القلب كما كان الناس في وقته، وكما كانت قبيلته، وكما كانت الصفات التي خلعها على إلهه .. يقتل الأسرى جملة كأنه ملك من ملوك الآشوريين، ويأمر ابنه سليمان بقتل شمعي بن جيرا الذي لعنه منذ سنين كثيرة: «**والآن فلا تبرره، لأنك أنت رجل حكيم، فاعلم ما تفعل به، وأحدر شيبته بالدم إلى الهاوية** » (١ ملوك ٢: ٩)، ويأخذ امرأة أوريا الحثي بين نسائه في غير حياء، ويرسل أوريا إلى الصف الأول في ميدان القتال ليتخلص منه، ويقبل زجر ناثان له في ذلة، ولكنه مع ذلك يحتفظ ببثشبع الجميلة .. وصف رجل حقيقي لا رجل خيالي، اكتملت فيه عناصر الرجولة المختلفة، ينطوي على جميع بقايا الهمجية، وعلى كل مقومات الحضارة»[٢].

وإذ أنزه نبي الله العظيم داود عن وصف ديورانت وفولتير الشنيع ، فإني أبدي أسفي لما جاء في التوراة من كذب فاحش أزرى بشخص هذا النبي العظيم عند كل قارئ لقصة بثشبع وغيرها من المصائب والرزايا المنسوبة بهتانًا إلى هذا النبي العظيم.

لكن العجب العجاب أن كل ما نسبته الأسفار زورًا إلى نبي الله داود ، لم يمنعها من وصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال ، فقد قال عنه الله : « **وجدتُ داود بن يسّى**

---

(١) المصدر السابق (٣٨/ ١٩٩).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٣٣١) بتصرف يسير، وقول ديورانت عن داود : «حبيب يوناثان» إيماءة إلى ما ذكرته التوراة: «يا أخي يوناثان، كنتَ حلوًا لي جدًا، محبتك لي أعجب من محبة النساء » (٢ صموئيل ١: ٢٦).

رجلًا حسب قلبي ، الذي سيصنع كل مشيئتي » (أعمال ١٣: ٢٢) ، وجعله المثل الأعلى والمقياس الأوفى الذي يوزن به ملوك بني إسرائيل ، فقد ذكرت الأسفار أن الله لم يمزق مملكة سليمان إكرامًا لأبيه الذي حفظ وصايا الله ، فتقول : « **ولا آخذ كل المملكة من يده ، بل أصيره رئيسًا كل أيام حياته ، لأجل داود عبدي ، الذي اخترته ، الذي حفظ وصاياي وفرائضي** » (١ ملوك ١١: ٣٤) .

ويؤكد سفر الملوك استقامة داود على فرائض الله ، وتنعي على سليمان أنه لم يكن مثل أبيه الذي اتبع أوامر الله بالتمام ، فتقول : « **عمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه** » (١ ملوك ١١: ٦) .

ولم تعتبر أسفار التوراة أيًا من الرزايا المنسوبة إلى داود ذنبًا فيما عدا قصته مع امرأة أوريا الحثي ، وأما مذابحه المزعومة التي صنعها للفلسطينيين جمعًا لمهر خطيبته ميكال أو محرقته ونشره لعظام العمويين ، فذلك كله لا خطيئة فيه « **داود عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ، ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته ، إلا في قضية أوريا الحثّي** » (١ ملوك ١٥: ٥) ، وقد عوقب على هذا الذنب بما هو أقبح منه، «**هكذا قال الرب: هانذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك، وأعطيهنّ لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالسرّ ، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس**» (٢ صموئيل ١٢: ١١-١٢)، والقريب الذي يعنيه النص هو ابنه أبشالوم الذي اغتصب جواري أبيه داود علانية أمام جميع الشعب «**فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل**» (٢ صموئيل ١٦: ٢٢).

سليمـان عليه السلام **:**

وأمـا سـليمان النبـي الحكـيم الـذي يشـهد لـه القـرآن والتـوراة بالحكمـة . (انظر ٢ أخبار ٢: ١٢) . فقد كان له نصيب أكبر في سلسلة المخازي التوراتية ، فقد جعلته التوراة عابدًا لأصنام نسائه اللاتي بلغن ألفًا ، كما بنى المعابد لعبادتها ، فغضب عليه الرب وسخط ، تقول التوراة : « **كانت له سبع مائة من النسـاء السـيدات ، وثـلاث مائة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه .**

فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بني عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهنّ .

فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها ، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك » (١ ملوك ١١: ٣-١١) .

وكانت الأسفار قد أثنت على سليمان ، وذكرت بشارة الله لأبيه داود بهذا الابـن الذي سيبني بيت الله ، ووصفته بالبر والطهارة الذي عبرت عنه الأسفار بلفظة البنـوة لله ، وهو لفظ يدل على صلاح صاحبه ـ كما هو معهود في التوراة ـ ، تقـول البشـارة لـداود : « **هوذا يولد لك ابن ، يكون صـاحب راحـة ، وأريحـه مـن جميـع أعدائـه حواليـه ، لأن اسمه يكون سليمان ، فأجعل سلامًا وسكينة في إسرائيل في أيامه ، هو يبني بيتًا لاسمي ، وهو يكون لي ابنًا ، وأنا لـه أبـًا** » (١ أخبـار ٢٢: ٩-١٠) ، كمـا ذكـرت الأسـفار أن الله

سماه « **يديديا** » (أي حبيب الرب) ، لأن « **الرب أحبه** » (٢ صموئيل ١٢ : ٢٤) ، فهل ضيع سليمان ـ المبَشر به ـ أوامر الرب؟ وهل عمل الشر وبنى معابد الأوثان طمعًا في رضا نسائه؟ أم كان ـ المحبوب عند الله ـ فصدق فيه قول الله في القرآن ، فقال : ﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [سورة ص : ٣٠] .

ونتساءل : لو كان هذا حال أنبياء الله حقًا ؛ فما فائدة النبوات بعد ذلك إذا كان المختارون من البشر وصفوتهم على مثل هذه الحال ؟ وأي خير يرتجى في إصلاح البشرية وتطهيرها من دنس الشرك والخطيئة بعد الذي قرأنا ؟

ثم هل تخليد هذا الدنس يصدر عن وحي السماء ؟ لو كان ذلك الذي ذكرته التوراة من المخازي حقًا فما فائدة تخليده؟ ما الفائدة المرجوة منه حتى يسطره الله في وحيه ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

ثم نتوجه بالسؤال لأولئك الذين يطلبون التهذيب والكمال الروحي من خلال سطور الكتاب المقدس ، فنقول : لو فرضنا أن هذا الكتاب كان إلهيًا؛ فإنه قد عجز عن تهذيب الأنبياء الذين أوحي به إليهم ، فقتلوا وزنوا وسكروا وبنوا معابد للأصنام ، وهو بالتالي أعجز عن أن يهب الهداية لغيرهم من القراء !



الأخلاق في العهد القديم

يقول بولس : « **كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذي في البر** » (٢ تيموثاوس ٣: ١٦) .

فهل كان الكتاب المقدس فعلًا موبخًا للخطيئة ومعلمًا للبر ومقومًا للسلوك ، وصالحًا للتأديب ؟

تمتلىء جنبات الكتاب بالنصوص المختلفة ، والذي يعنينا هنا تلك النصوص التي مست الجانب الأخلاقي ، فقد امتلأت أسفار الكتاب المقدس بالحديث عن رذائل مارسها بنو إسرائيل وغيرهم ، وحكت طويلًا عن سكرهم وزناهم ووثنيتهم .

ولقد يظن الظان أنها حكت ذلك في باب النهر والتأديب والتبصر في عاقبة المجرمين، ولكن شيئًا من ذلك لم يكن في الكتاب المقدس الذي حوى بين دفتيه عشرات النصوص التي تمثل صورة لأدب الفراش والجنس المكشوف .

كما تمتلئ بقصص الإثارة ، مع تركيز على عنصر الجريمة ، ثم قلَّ أن تجد عقوبة
أو تحذيرًا على هذه الجريمة أو تلك، لذا نتساءل: ما الفائدة إذًا من ذكر هذا كله في كتاب يزعم النصارى واليهود أنه موحى به من الله ؟ ما الفائدة من ذكر عشر حالات من زنا المحارم في كتاب مقدس ؟ والعجب أن كل هذه الحالات العشر تتعلق بالأنبياء وأبنائهم.

وعلاوة على ذلك عشرات من قصص الحب القذر . ما فائدة ذلك كله ؟

ذكرت التوراة أمثلة عدة في هذا الأدب المكشوف منها قصة يهوذا وكنته ثامارا

(انظر التكوين ٣٨)، وأيضًا القاضي شمشون والعاهرة الغزِّية . (انظر القضاة ١٦)، واغتصاب أمنون بن داود لأخته ثامار (انظر ٢ صموئيل ١٣)، وقد أشار عليه بأفضل السبل لاغتصاب الأخوات «يوناداب» الذي تصفه التوراة بأنه كان «**رجلاً حكيمًا جدًا**».

ونستطيع أن نلحظ في هذه القصة الأخيرة عددًا من الطوام المتتابعات ، كل منها يشهد ببراءة الوحي من هذه القصة، فقد احتجت ثامار على اغتصاب أخيها بقولها: «**فقالت له: لا يا أخي، لا تذلني، لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل، لا تعمل هذه القباحة، أما أنا فأين أذهب بعاري؟ وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل**»، فقد غاب الوازع الديني عن ذهنها، فلم تخوفه بالله وعقابه، بل ذكرته بأن هذا الفعل عار وقبيح لا يفعله في بني إسرائيل إلا السفهاء.

ثم مضت في قولها تعظه: «**والآن كلم الملك، لأنه لا يمنعني منك**»، هل يعقل أن داود كان سيوافق على مضاجعة أولاده لبعضهم ؟!

ولما نجح أمنون في تطبيق وصفة يوناداب الحكيم جدًا، واغتصب أخته، ثم أبغضها وطردها، فأنَّبته قائلة: «**هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي** »، ما هي الرسالة التي يوصلها السفر من قصة زنا المحارم هذه؟ هل طرد أمنون لأخته أعظم من فجوره بها؟ هل كان من المتوقع أن يسمح داود لأولاده بممارسة زنا المحارم لو استأذنوه؟ أي قيم هذه التي تقدمها القصة؟

ثم دخل عل ثامار أخوها الآخر أبشالوم، فواساها بقوله: « **الآن يا أختي، اسكتي، أخوكِ هو ، لا تضعي قلبك على هذا الأمر**»، يالها من مواساة .. الأمر هين وسهل.. إنه أخوك، وليس شخصًا غريبًا، وكأن زنا المحارم أقل وطأة وعارًا من زنا الأباعد!!.

وأما ختام القصة فكان باردًا إلى حد الصقيع، فقد علم النبي داود بما حصل بين

ابنه وابنته، فـ «**اغتاظ جدًا**»، وانتهت الحكاية من غير إقامة حد ولا توبيخ ولا تأنيب «**ولم يكلم أبشالوم أمنونَ بشرٍّ ولا بخير**»، وتنتهي الحكاية كما انتهت حكايات كثيرة تشبهها، وليس في شيء منها عقوبة للمجرم أو تطبيق لحدِّ الله تعالى عليه ، إذ لم تخبرنا التوراة أن حد الزنا المذكور في سفر اللاويين (٢٠: ١٧) قد طبق مرة واحدة .

وهنا يحار النقاد في تفسير هذه اللامبالاة التي تظهر عند داود التوراتي، فبعضهم رآه مشتركًا في الجريمة من وجه بعيد، ويوشي به ذهاب ثامار بعد الجريمة إلى أخيها أبشالوم، وليس إلى أبيها داود، وبعضهم رأى أنه لا يحسن بأبٍ له مغامرات صبيانية سابقة أن يعتب على أبنائه حين يسلكونه طريقه، ويقلدون فعله[١] .

وأما الدرس العام من القصة فهو ما «تعلمه أمنون وباقي القصر من العمل الخسيس بمجمله أن بإمكان ولي العهد أن يفعل أي شيء يطرأ في باله، ولا يهم إن كان الفعل عدوانيًا ووحشيًا ، لأن الملك كان سلبيًا جدًا، ومترددًا جدًا، ومتساهلاً جدًا إزاء وريثه مهما فعل»[٢] .

ولم يكن أبشالوم بن داود أحسن حالاً من أخيه أمنون، فهو أيضًا وقع في نكاح المحارم، حين استخدمه الرب – كما تزعم التوراة– لعقوبة داود على الزنا بامرأة أوريا الحثي، فقد ثار أبشالوم على أبيه داود، ونازعه في الملك، فهرب داود منه، فأخذ أبشالوم المنتصر محظيات أبيه، فجامعهن أمام كل شعب إسرائيل «**فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل** » (٢ صموئيل ١٦: ٢٢)، ورغم هذا الحدث المهول، فقد بكى داود مقتل هذا الابن الخارج عليه، ورثاه «**وكان يبكي، ويقول هكذا وهو يتمشى: يا ابني أبشالوم، يا ابني ،**

---

(١) انظر: حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش، ص (٣٢٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٣٢).

يا ابني أبشالوم ، يا ليتني متُ عوضًا عنك يا أبشالوم ابني» (٢ صموئيل ١٨: ٣٣)، فكل ما صنعه بمحارم أبيه لم يغير قلب الأب على ابنه!!!!

وهكذا دومًا نقرأ في التوراة عن حالات سقوط، تستوجب في الشريعة العقوبة المغلظة، لكنها تبقى حبرًا على أوراق التوراة، لا تجد من يحفل بها في دنيا الناس، ولا حتى الأنبياء والكهنة، وكنموذج للعقوبة التوراتية المفقودة نعرض لما جاء في سفر صموئيل عن عالي رئيس الكهنة وقاضي بني إسرائيل « **وشاخ عالي جدًا ، وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل ، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع . فقال لهم : لماذا تعملون مثل هذه الأمور ؟ لأني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب ، لا يا بني لأنه ليس حسنًا الخبر الذي أسمع** » (٢ صموئيل ٢: ٢٢-٢٤) ، فهل هذا كل ما صنعه كبير قضاة بني إسرائيل مع أولئك الذين يزنون في خيمة الاجتماع !؟

كما توجد الكثير من النصوص التي تمثل الأدب الفاجر ، أدب الفراش ، الذي لا تتوقع قراءته إلا في كتب الجنس والفجور، ولسوف نعرض لشيء من هذه النماذج مع الاعتذار للقارئ الكريم عن قبيح ما يقرأه .

جاء في نشيد الأنشاد في الأصحاح الأول المنسوب لسليمان : « **ليقبلني بقبلات فمه ، لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة ، اسمك دهن مهراق ، لذلك أحبتك العذارى .**

اجذبني ورائك فنجري ، أدخلني الملك إلى حجاله ، نبتهج ونفرح بك ، نذكر حبك أكثر من الخمر ..

ما أجمل خديك بسموط ، وعنقك بقلائد ، نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة .. حبيبي لي ، بين ثديي يبيت .. » (نشيد ١: ١-١٥) .

وعلى هذا تستمر بقية أصحاحات السفر ، بل تسوء « **في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ، طلبته فما وجدته .. حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي ، وحجرة من حبلت بي .. قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه .. حبيبي مد يده من الكوة ، فأنَّت عليه أحشائي ..** » (نشيد ٣: ١-٥)[١].

« **ارجعي ارجعي يا شولمّيث[٢]، ارجعي ارجعي ، فننظر إليك ماذا ترون في شولميث مثل رقص صفين [٣]، ما أجمل رجليكِ بالنعلين يا بنت الكريم ، دوائر فخذيك مثل الحلي ، صنعة يدي صناع ، سرتك كاس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية ، عنقك كبرج من عاج ، عيناك كالبرك ..**

ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذّات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد .. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك

---

(١) يرى القديس كيرلس الأورشليمي (٣٨٦م) وهو أحد دعاة الرمزية ، أن هذا النص نبوءة عن المسيح القائم من الموت، وأنه يتنبأ عما جاء في الإنجيل من بحث مريم المجدلية عنه في القبر وسؤالها الملائكة عنه (انظر يوحنا ٢٠/ ١٣). انظر العظة الرابعة عشرة، كيرلس الأورشليمي ، (الفقرة ١٣).

(٢) «شولـمّيث» كما يرى بعض الشراح اسم يشير إلى أبيشج الشونمية زوجة الملك سليمان ، واقترح آخرون أنه الصيغة المؤنثة لاسم سليمان في العبرية ، والمعنى هو « عروس الملك وشريكة حياته » انظر دائرة المعارف الكتابية ، مادة (٤/ ٥٧٨) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٥٣٥).

(٣) يعلق الآباء اليسوعيون على هذا المقطع: «يتصور الشاعرُ الشولميةَ ترقص بين جوقتين ترافقان حركاتها بتكرار كلمة (عودي) [ارجعي ارجعي] ، وهو رقص شرقي معروف، ولا يقتصر على الأعراس» حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (١٣٩٠).

كأجود الخمر ، لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين ، أنا لحبيبي ، وإليّ اشتياقه .

تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى ، لنبكرنّ إلى الكروم لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال ؟ هل نوّر الرمان . هنالك أعطيك حبي ..

ليتك كأخ لي ، الراضع ثديي أمي ، فأجدك في الخارج وأقبلك ، ولا يخزونني ، وأقودك وأدخل بك بيت أمي ، وهي تعلمني ، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني ، شماله تحت رأسي ، ويمينه تعانقني » (نشيد ٦ : ١٣- ٧ : ١-١٣) .

ويبرر القس منيس عبد النور في كتابه (شبهات وهمية) ، وجود هذه الغراميات، فيقول : « السفر يصف المباهج الزوجية ، ولا خطأ في الجنس الذي هو في إطار الزواج»[١]، وكأني بالكتاب المقدس كتاب مؤلَف لأولئك الذين يقدمون على الخطبة ويرومون الزواج ، كما وإن القس غفل عن تلك النصوص التي تتحدث عن العلاقة الآثمة خارج إطار الزوجية ، وعن دعاوى السكر: «**شربتِ خمري مع لبني ، كلوا أيها الأصحاب، اشربوا، واسكروا أيها الأحباء**» (نشيد ٥ : ١).

وعلى منوال القس عبد النور ينسج القس صموئيل يوسف فيخطو خطوة إلى الأمام، ويبرر وجود هذه النصوص الغرامية في الكتاب بقوله : « بوجوده أعطى كمالًا للأسفار المقدسة ، لأن الله يهتم بكل جوانب الحياة الإنسانية .. عندما نقرأ سفر النشيد تتطهر قلوبنا أكثر ، وندرك حقيقة التجربة وبشاعتها التي يسقط فيها عدد غير قليل من جراء عدم الأمانة بين المتزوجين ، فالسفر هدفه أخلاقي تعليمي »[٢] .

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ، القس منيس عبد النور ، ص (٢٠٩).

(٢) انظر: المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٢٤٥).

ويقول: «يجد الذهن الروحي طعامًا دسمًا في هذا السفر، وأما الإنسان الطبيعي [من أمثالنا نحن المسلمين] فليس له الحق أن ينقد سفرًا لا يفهمه ، ولا يدرك مقدار العمق الذي فيه .. هذا السفر هو بمثابة مخدع العروسين في الكتاب المقدس، وليس من حق أحد أن يسترِق السمع إليهما .. حديث جميل عذب في مخدع عروسين يحب كل منهما الآخر .. ليس من الشرف أو التهذيب الصحيح أن تقرأ خطابًا ليس لك يحوي في ثنايا عباراته أرقَّ وأجمل كلمات يتهامس بها عروسان»(١)، ونشارك القس رأيه في قباحة استراق السمع إلى عروسين يتهامسان في فراش الزوجية، ولكنه هل تُراه يشاركنا استقباحنا نشر همسهما العذري في صفحات كتب العشاق أو في أسفار كتاب يقال عنه بأنه وحي الله الذي أوحى لسليمان تلك الهمسات الدافئة والنابضة بالحب؟!

ويستنكر المؤرخ ول ديورانت وجود هذه النصوص في الكتاب المقدس، ويبدي عجزه عن معرفة مبرره : « وإذا ما وضعنا إلى جانب هذه المزامير "نشيد سليمان" لاح لنا ما في الحياة اليهودية من عنصر شهواني دنيوي .. مهما يكن من أمر هذه الكتابات الغرامية فإن وجودها في العهد القديم سر خفي .. ولسنا ندري كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية ، وأجازوا وضعها في الكتاب المقدس »(٢).

وتقول مقدمة الآباء اليسوعيين : « لا يقرأ نشيد الأنشاد إلا القليل من المؤمنين، لأنه لا يلائمهم كثيرًا » ، ويزيدنا القس صموئيل مشرقي لوعة وخشوعًا بالتحذير من استخدام السفر في حفلات الخمر والمجون، فهو : «اختبارات روحية صوفية سامية ..

---

(١) مصادر الكتاب المقدس ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (١٢٧).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢/ ٣٨٨).

من يستعمله في حفلات الخمر ويستخدمه في المجون لا نصيب له في العالم الآتي، ولم يكن يسمح لأحد قبل الثلاثين بقراءته .. يقال بأن سليمان كتبه بمناسبة زواجه من ابنة فرعون الأميرة السمراء»[(١)].

وهذا الاستخدام للسفر في الخمارات وحفلات المجون ذكرته أيضاً آن ماري بلتييه: «هذا النشيد كان يقرأ في الخمارات ، وكأنها أغنية خمرية ، وحتى اليوم ... لا يرى فيه بعضهم سوى تعبير حر عن الغرام الحر»[(٢)] وأما تعيين سن الثلاثين لقراءته فليس موضع اتفاق لأن «ينصح آباء الاعتراف شبان سن المراهقة بعدم قراءة هذا السفر إلا بعد سن البلوغ روحياً»، وهو ما يختلف من شخص لآخر، ولربما لا يصل أحدهم إلا هذا البلوغ الروحي أبداً[(٣)].

وهذه الصورة السيئة تتكرر في أسفار عدة ، ومنها ما جاء في القصة الرمزية للعاهرتين اللتين أسلمهما الله ليد عشاقهما، فذبحوهما ، والتي ترمز لمدينتي السامرة وأورشليم ، ورمزيتها لا تبرر قذارتها : « **وكان إليّ كلام الرب قائلًا : يا ابن آدم كان امرأتان ، ابنتا أم واحدة ، وزنتا بمصر ، في صباهما زنتا ، هناك دغدغت ثديّهما ، وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما . واسمها أهولة الكبيرة ، وأهوليبة أختها ، وكانتا لي وولدتا بنين وبنات . وأسماهما السامرة أهولة ، وأورشليم أهوليبة .**

وزنت أهولة من تحتي ، وعشقت محبيها أشور الأبطال اللابسين الأسمانجوني، ولاة وشحنا ، كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل . فدفعت لهم عقرها لمختاري

---

(١) مصادر الكتاب المقدس ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (١٢٦).

(٢) نشيد الأناشيد، آن ماري بلتييه، ص (٨).

(٣) اجذبني وراءك فنجري، القس مينا زكي سليمان ، ص (١٦).

بني أشور كلهم ، وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم .

ولم تترك زناها من مصر أيضًا ، لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتها ، وسكبوا عليها زناهم . لذلك سلمتها ليد عشّاقها ليد بني أشور الذين عشقتهم . هم كشفوا عورتها ..

فلما رأت أختها أهوليبة ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها ، وفي زناها أكثر من زنى أختها . عشقت بني أشور الولاة والشحن الأبطال اللابسين أفخر لباس ، فرسانًا راكبين الخيل كلهم شبان شهوة ، فرأيت أنها قد تنجست ولكلتيهما طريق واحدة .

وزادت زناها ولما نظرت إلى رجال مصوّرين على الحائط صور الكلدانيين .. عشقتهم عند لمح عينيها إياهم ، وأرسلت إليهم رسلًا إلى أرض الكلدانيين .

فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم ، فتنجست بهم وجفتهم نفسها، وكشفت زناها وكشفت عورتها ، فجفتها نفسي كما جفت نفسي أختها .

وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر ، وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير [والمعنى : مذاكيرهم كمذاكير الحمير] **، ومنيّهم كمنيّ الخيل »** (حزقيال ٢٣ : ١ - ٤٩) .

يقول الأب متى المسكين: «وسوف يصدم القارئ المتحفظ باستخدام اللغة القبيحة الفاحشة في أحط معناها وصورها في مخاطبة أهل إسرائيل، وذلك تمثيلاً للشعب، ومجازًا يعبر به عن أعمال الشعب مع تمثيلات شائنة لخيانته .. أربعة وعشرون أصحاحًا يفتتح بهم حزقيال نبوته عليهم ، فيها كل وساخة الزنا وفحشاء

الإنسان»[١].

وكان الأب جيروم قد أخبرنا منذ القرن الرابع الميلادي أن سفر «حزقيال يحمل الكثير من الغموض، في أوله، وفي آخره، فأُغلق فهمه على العبرانيين، ولم يسمح بقراءته – مع أول سفر التكوين – قبل بلوغ الثلاثين»[٢].

وتتكرر هذه اللغة المعيبة في سفر آخر، وهو سفر الأمثال، حيث يقول: « **في العشاء، في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام . وإذ بامرأة استقبلته في زيِّ زانية وخبيثة القلب . صخّابة هي وجامحة . في بيتها لا تستقر قدماها .. فأمسكته وقبّلته ، أوقحت وجهها ، وقالت له : خرجت للقائك ، لأطلب وجهك حتى أجدك . بالديباج فرشت سريري ، بموشّى كتان من مصر ، عطرت فراشي بمرّ وعود وقرفة . هلم نرتو ودًّا إلى الصباح ، نتلذذ بالحب ، لأن الرجل ليس في البيت ، ذهب في طريق بعيدة .. أغوته بكثرة فنونها ، بملث شفتيها طوحته ، ذهب وراءها لوقته ، كثور يذهب إلى الذبح ، أو كالغبي إلى قيد القصاص ، حتى يشق سهم كبده ، كطير يسرع إلى الفخ ، ولا يدري أنه لنفسِه** » (الأمثال ٧: ٩-٢٣) .

وقريبًا من هذا قول سفر الأمثال أيضًا ، ولكنه هذه المرة يتحدث عن الزوجة ، فيقول : « **وافرح بامرأة شبابك ، الظبيّة المحبوبة ، والوعْلَة الزهية . ليُروِك ثدياها في كل وقت ، وبمحبتها اسكر دائمًا** » (الأمثال ٥ : ١٨- ١٩) . وسوى ذلك ، فهل هذا وحي الله ؟ أم أنها النفوس المريضة التي لا تطيق البعد عن حمأة الجنس وأحاديثه ؟

كما تحوي الأسفار المقدسة بعض صور السباب المقزع الذي لا يليق بوحي

---

(١) النبوة والانبياء في العهد القديم، الأب متى المسكين، ص (٢٢٦-٢٢٧).

(٢) رسائل القديس هيرونيمس (جيروم) (١/ ١٩٣).

الله العظيم الجليل ، ومنه ما تنقله الأسفار عن الملك شاول أنه قال ليوناثان ابنه : « **يا ابن المتعوّجة المتمردة ، أما علمت أنك قد اخترت ابن يسّى** [داود] **لخزيك وخزي عورة أمك** » (١ صموئيل ٢٠ : ٣٠) ، ومن ذلك أن إشعيا قال لبني إسرائيل : « **أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني السامرة ، نسل الفاسق والزانية ..** » (إشعيا ٥٧ : ٣) .

وبعد : ما هي آثار الكتاب المقدس على قارئيه ؟

إن نظرة إلى المجتمع الغربي ودراسة سريعة للأرقام الوبائية للفساد في أوربا تثير الذعر ، وتدفع إلى التفكير والبحث عن مصدر هذا البلاء .

ونرى أن الكتاب المقدس هو أحد أسباب البلاء ، فقد قال المسيح : « **من ثمارهم تعرفونهم ، هل يجتنون من الشوك عنبًا ، أو من المسك تينًا ؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية** » (متى ٧ : ١٦-١٧).

ولا غرابة البتة أن تنتشر الخمور والزنا في أمة تؤمن أن أنبياءها كانوا زناة ، يمارسون الرذيلة حتى مع محارمهم ، كانوا يشربون الخمور ، حتى الثمالة ، من غير أن يعاقبهم الله أو يخلع عنهم صفة القداسة والرسالة والاصطفاء ، بل أكرم أبناء زناهم وعهرهم ، فجعلهم أجدادًا لابنه المسيح !!

لا غرابة أن تنتشر الخمور في أمة ينصح كتابها المقدس بشرب الخمر ، ويراه حلًا لمشاكل الفقراء وذهابًا لهمومهم - بديلًا عن الإيمان والرضا بالقضاء - ، يقول سفر الأمثال : « **ليس للملوك أن يشربوا خمرًا ولا للعظماء المسكر ، لئلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيّروا حجة كل بني المذلة ، أعطوا مسكرًا لهالك ، وخمرًا لمرّي النفس ، يشرب وينسى فقره ، ولا يذكر تعبه بعد** » (الأمثال ٣١ : ٦) .

ولا غرابة أن تنتشر الجريمة في مجتمع يؤمن بأن الله يأمر بقتل الأبرياء والنساء والأطفال والحيوانات ، ودون سبب .

إن ما ذكرنا من الصور كانت سببًا رئيسًا في رفض الناس الدين وكفرهم برب العالمين، وها هو بِن إدوارد اكيرلي يقول في مقدمة كتابه «The X-Rated Bible»: «وجدته في كل بيت تقريبًا ، في متناول الأطفال دون السن القانونية .. نحن نتحدث عن الكتاب المقدس، وهو كتاب مليء بزنا المحارم، والاغتصاب، والزنا، والبغاء، والمخدرات، والعلاقات الجنسية مع الحيوانات، والإخصاء، كل الأشياء القذرة».

وصدق برنارد شو ، وهو يقول عن الكتاب المقدس : « أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض ، احفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح »[١].

---

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص (٥٤ ، ٧٠).

الصبغة البشرية للعهد القديم

حين نقرأ لواحد من المؤلفين المحترفين أو الهواة؛ فإنا نستطيع تكوين صورة عن هذا المؤلف، ويستطيع المختصون تحليل عالم اللا وعي الذي يصدرعنه الكاتب، فيقرأون بين سطوره الكثير من ملامحه النفسية ومشاعره وأحاسيسه ، ونقاط قوته وضعفه.

ويستطيع النقاد بمجهر العالم الأريب أن يسجلوا ضعفات مؤلف التي تتسابق إلى عيونهم حين يكون المؤلف هاويًا، وتتسابق عيونهم إليها حين يكون محترفًا، أما حين يكون الكتاب إلهيًا فإن غاية ما يقدر عليه النقاد هو تفسير أوامر الله والبحث عن مرامي الحكمة فيها.

وحين نقرأ في أسفار العهد القديم لا يظهر لنا المحتوى الإلهي، بل نراها تصطبغ بالصبغة البشرية الضعيفة التي نجدها في سائر الكتب والمؤلفات ، فالأسفار المقدسة كتاب تاريخ يقع في كثير من الأخطاء والضعفات التي قد لا يقع فيها صغار الكُتَّاب ، ناهيك عن أصحاب الذوق الرفيع منهم .

قصص للمتعة لا للفائدة :

وفي كثير من فقراته يفتقد الكتاب المقدس إلى المعلومة المفيدة التي تستثمر الحدث التاريخي لهدف ديني ، بل فيه ما تجده في كتب الإثارة والمتعة الرخيصة واللهو البعيد عن العبرة والفائدة .

* فما الفائدة والثمرة من قبل بعض هذه الحكايات الواردة فيه ؟ ما العبرة المستفادة من قصة زنا يهوذا بكنته ثامار بعد أن زوجها أبناءه واحدًا بعد واحد ، ثم زنى بها وهو لا يعرفها ، فلما عرف بحملها أراد أن يطبق عليها الحد التوراتي، فقال :

«**أخرجوها فتحرق** » ، فلما علم أن زناها وحملها منه ، قال : « **هي أبر مني** » (انظر التكوين ٣٨: ١–٢٦) .

أين نجد المغزى من القصة؟ امرأة مات عنها أزواجها واحدًا بعد آخر ، عاقبهم الرب لأنهم كانوا يعزلون عنها في الجماع ، ثم زنت بوالدهم ، ونتج عن هذا السفاح ابنان ، أحدهما فارص الذي تشرف فأضحى أحد أجداد المسيح كما في سلسلة نسب المسيح في متى (انظر متى ١ : ٢) .

ثم تمضي القصة بلا عقوبة ولا وعيد ، فهل كان العزل عن الزوجة في الجماع مستحقًا للموت ، بينما لا عقوبة ولا حدّ على جريمة زنا المحارم ، بل شهادة بِبِر تلك الزانية « **هي أبر مني** » ، فأي بِر صنعته وهي تغوي والد أزواجها ؟ ! .

هذه القصة القميئة أوحت للكاتب الأمريكي جوناثان كيرتش بعنوان كتابه الساخر من التوراة وقصصها، فقد أسماه «عاهرة على جانب الطريق»، وهو الكتاب نفسه الذي ترجمه نذير جزماتي ، وأسماه «حكايات محرمة في التوراة».

* وفي قصة أخرى تخلو عن العبرة والفائدة تقول التوراة : « **ونذر يفتاح نذرًا للرب قائلًا : إن دفعت بني عمون ليدي ، فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند عمون يكون للرب وأصعده محرقة** » ، فلما انتصر استقبلته ابنته مهنئة ، وكانت أول مستقبليه ، فذبحها « **ففعل بها نذره الذي نذر** » (القضاة ١١ : ٣٠–٤٠) ، ما فائدة القصة لو كانت صحيحة ، لماذا يخلدها الله في كتابه ووحيه ؟ هل يحض الكتاب على تقديم المحرقة البشرية أو القربان البشري؟

إلى أن نجد مغزى لاهوتيًا لهذه القصة المشينة سنبقى نردد على حذر ما قاله بعض النقاد في تبرير وجودها في الكتاب المقدس، حيث اقترحوا: «أن تكون هناك فرقة وثنية محلية مشابهة لفرقة الإلهة «بيرسيفون» نسيت أصولها، وقد اخترعت قصة

يفتاح لتعبر عن وجود هذه الفرقة .. وربما كان سفر القضاة من أدب النخبة النسائية في إسرائيل القديمة، وهو عبارة عن مجموعة من القصص التي منحتهن الشجاعة، لكي يعشن هامشيًا، وفق طرائق تشبه طرائق الساحرات في إنجلترا الجديدة»[١].

ولئن لم يتورع القاضي التقي «يفتاح الجلعادي» عن ذبح ابنته إنفاذًا لنذره، فإنا نتوقع كذلك أنه لن يرف له جفن وهو يقتل اثنين وأربعين ألفًا من سبط أفرايم هربوا منه بعد هزيمتهم ، فكمن لهم الجلعاديون في مخاوض الأردن ، فكانوا يمسكون بالمارين فيكتشفون أنه من سبط أفرايم عن طريق اختبار طريف، كان ضروريًا في وقت لم يكن للناس بطاقات أو جوازات سفر يثبتون بها هويتهم، فقد طلب الجلعاديون من الفارين أن يقولوا كلمة «**شبولت**» العبرية التي تعني: «سيل»، ولأن الأفرايمين كانوا ينطقونها: «**سبولت**»، فقد انكشف أمر كل أفرايمي (سيني)، وقُدِّم إلى القتل، «**يقولون له: قل إذًا: (شبولت) فيقول: (سبولت) ولم يتحفظ للفظ بحق، فكانوا يأخذونه، ويذبحونه على مخاوض الأردن، فسقط في ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفًا**» (القضاة ١٢ : ٦)، ولم يظفر واحد من هؤلاء القتلى بكلمة شفقة من كاتب السفر التوراتي، كما لم ينل قاتلهم كلمة عتاب واحدة، أو وعيد على هذه الفعلة الشنيعة بإخوانه الفارين من بني إسرائيل.

* ومن قصص التوراة البائسة التي تفتقر إلى المعنى الروحي قصة الرجل اللاوي الذي اعتدى رجال بنياميون على سريته في جبعة، فتعرضت لاغتصاب جماعي أفقدها حياتها، فقام بتقطيع جثتها ، ووزعها على أسباط بني إسرائيل، مستحثًا إياهم على الانتقام ، فاجتمعت الجيوش، ودارت رحى الحرب، فطحنت ما يقرب من ٦٥٠٠٠ من الطرفين في القتال الذي استكمله المنتصرون بإبادة سبط بنيامين «**ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين، وضربوهم بحد السيف من المدينة**

---

(١) حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش، ص (٢٤٨).

بأسرها، حتى البهائم، حتى كل ما وجد وأيضًا جميع المدن التي وجدت، أحرقوها بالنار » (القضاة ٢٠: ٤٨)، فلم ينج منهم إلا «**ست مائة رجل، وأقاموا في صخرة رمون**» (القضاة ٢٠: ٤٧).

وإذا غضضنا الطرف عن إبادة النساء والأطفال والشيوخ والبهائم في مدن بنيامين، فإننا نستطيع استنباط درس أخلاقي جيد، وهو التضامن في وجه المعتدي على شرف امرأة إسرائيلية وحياتها، ولو كانت هذه المرأة غير شريفة ولا عفيفة، فقد كانت زانية (انظر: القضاة ١٩: ٢).

لكن سرعان ما تمضي القصة بنا إلى مشهد أسوأ، لا يبقي من تلكم العبرة درسًا لمعتبر، فقد ندم الإسرائيليون على إفناء هذا السبط، وقرروا استبقاءه بأن يرسلوا للستمائة رجل المتحصنين في صخرة رمون نساء يستولدوهن بما يستبقي هذا السبط، فانطلقوا إلى يابيش التي يعيش فيها سبط جلعاد الذين لم يشاركوهم القتال الأخير، فضربوا رجالهم « **بحد السيف مع النساء والأطفال، وهذا ما تعملونه: تحرِّمون كل ذكر وكل امرأة عرفت اضطجاع ذكر**» (القضاة ٢١: ١٠-١١)، فلما انتهت المذبحة الجلعادية كان من حصادها أن «**وجدوا من سكان يابيش جلعاد أربع مائة فتاة عذارى لم يعرفن رجلا بالاضطجاع مع ذكر** » (القضاة ٢١: ١٢)، أخذوهن وأعطوهن لما تبقى من رجال سبط بنيامين.

ولكن هذا لن يكفكف دموع رجال بنيامين المتبقين، فما زال لدينا مائتان منهم لا زوجة لهم، فكان الحل المثالي لهذه الأزمة اختطاف مائتين من البنات من مدينة شيلوه «**واخطفوا لأنفسكم ، كل واحد امرأته من بنات شيلوه، واذهبوا إلى أرض بنيامين**» (القضاة ٢١: ٢١)، وهنا يسدل الستار عن هذه القصة التي استغرقت ثلاثة أصحاحات، من غير أن نظفر بتعليق بسيط نستلُّ منه عظة أخلاقية أو عبرة لاهوتية أو حكما تشريعيًا، فهذه طريقة الكتاب دومًا في قصصه التي تفتقد إلى أدنى التوجيهات

والتعقيبات التي تثري تلك القصة الطويلة، وتجعلها ذات مغزى.

* ومثل هذه القصة الصادمة تجبهنا في سفر الملوك، حين لا يبقى للحياة الإنسانية قيمة، وإلا فكيف لنا أن نعقل ونفيد مما جاء عن قتل الله لأطفال نالوا من النبي إليشع، وسخروا منه « **ثم صعد من هناك** (أي إليشع) **إلى بيت إيل ، وفيما هو صاعد في الطريق، إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة ، وسخروا منه ، وقالوا له : اصعد يا أقرع. اصعد يا أقرع . فالتفت إلى ورائه ، ونظر إليهم ، ولعنهم باسم الرب ، فخرجت دبّتان من الوعر ، وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدًا** » (٢ ملوك ٢: ٢٣-٢٤)، فهل يعقل أن نبيًا يدعو بالهلاك على أطفال صغار عيّروه ؟ وهل يستجيب الله ، فيقتل الطفل البريء الذي أساء الأدب ؟ وأين أمثال هذه العقوبات الصارمة في حق أولئك الذين ارتكبوا الفواحش والموبقات (زنا المحارم ، زنا الجيران، صناعة العجل الذهبي، بناء مرتفعات للأصنام)؟

ثم لو كان هذا الذي فعله إليشع صحيحًا من الناحية التاريخية ، فما فائدة تخليده في كتاب ينسب إلى الله ، وأي خير أو هدى تتعلمه البشرية منه؟ هل يعلِّمنا أن نقتل أطفالنا وندعو عليهم بالثبور إذا أخطؤوا في حقنا أو حق الآخرين ؟

ويحاول القس صموئيل مشرقي تلمس العبرة والعظة في هذه المجزرة فيقول: «الحادثة ترينا مدى مسؤولية الوالدين في تربية أولادهم، وترينا أن الأولاد الذين لم يعلمهم ذووهم الأدب، وسمحوا لأنفسهم بالسخرية من نبي الله يستحقون الموت .. فليس هو بالإله السفاح، إنما هو الله القدوس الذي يكره الاستهتار وميوعة الاخلاق والانحراف وعدم احترام الصغار للكبار»، ثم لا يرعوي القس عن القول: «ولا شك أن هذا الحادث وأمثاله مما قد ورد في العهد القديم .. لا يناسب العصر

المسيحي!!»[1]، لقد كان الأولاد «يستحقون الموت» بحسب القس، لأن أهليهم لم يحسنوا تربيتهم، ورغم ذلك العدل الإلهي؛ فإن هذا المشهد المفزع «لا يناسب العصر المسيحي»، لماذا؟ هل أنتم – جناب القس -أدرى من الله بمعايير العدل والقسط؟ .

وأما اللورد هنري بولينغبروك رئيس حزب المحافظين في بريطانيا (ت ١٧٥١م) فيرى في القصة أسطورة تجمع بين الكذب والغباء: «لحسن حظ أطفال فلسطين، أن ضواحي بيت إيل خالية من الغابات، وفلسطين لم تعرف الدببة في أي زمان كان، وعليه فإن غباء هذه الحكاية يخفف من فظاعتها»[2].

* ومما لم أع فائدة له على كثرة قراءتي له ؛ الحوار الذي سجلته أسفار التوراة : «**عاد بنو إسرائيل أيضًا ، وبكوا ، وقالوا : من يطعمنا لحمًا ، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكرّاث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا ، ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المنّ ، وأما المنّ فكان كبزر الكزبرة ، ومنظره كمنظر المقل ، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ، ثم يطحنونه بالرحى ، أو يدقونه في الهاون ، ويطبخونه في القدور ، ويعملونه ملّات ، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت** » (العدد ١١: ٥-٨)، ما فائدة وصف المنِّ وطريقة طبخه وتحضيره؟ أي نوع من الكتب نقرأ فيه أمثال هذا؟.

ولن نغادر وصف المن قبل أن نعرج على سفر الخروج، فكاتبه يخالف كاتب سفر العدد في طعم هذا المنّ ، ولعل مرد ذلك اختلاف أذواق الكتبة ، يقول كاتب سفر الخروج : « **هو كبزر الكزبرة أبيض ، وطعمه كرقاق بعسل** » (الخروج ١٦ : ٣١).

---

(١) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي ، ص (١٢٤).

(٢) التوراة جمع من الأساطير، ليوتاكسل ، ص (٤٣٥).

* ومن القصص التي أعيى القراء بحثُهم عن فائدتها؛ قصة أكل الطفل المسلوق الذي اتفقت أمه وجارتها على أكل ابنيهما في جوع السامرة « **وكان جوع شديد في السامرة .. فقالت : إن هذه المرأة قد قالت لي : هاتي ابنك ، فنأكله اليوم ، ثم نأكل ابني غدًا . فسلقنا ابني وأكلناه ، ثم قلت لها في اليوم الآخر : هاتي ابنك ، فنأكله ، فخبأت ابنها** » (٢ ملوك ٦: ٢٥-٢٩) ، إذ ما الذي نستفيده من هذه القصة ؟

* وكذلك نجد مثل هذه المعاني المعيبة في أسفار الحكمة والشعر ، والتي من المفترض أن نقرأ في ثناياها الحكمة ، فإذا بنا نقرأ : « **لكل شيء زمان ، ولكل أمر تحت السماوات وقت ، للولادة وقت ، وللموت وقت ، للغرس وقت ، ولقلع المغروس وقت ، للبكاء وقت ، وللضحك وقت ، وللنوح وقت ، وللرقص وقت ، لتفريق الحجارة وقت ، ولجمع الحجارة وقت ، للمعانقة وقت ، وللانفصال عن المعانقة وقت ، للتمزيق وقت ، وللتخييط وقت ، للسكوت وقت ، وللتكلم وقت ، للحب وقت ، وللبغضة وقت ، للحرب وقت ، وللصلح وقت** » (الجامعة ٣: ١-٨) .

معلومات تاريخية لا قيمة لها :

* ومما لا طائل منه ولا فائدة ، تلك المعلومات التاريخية التي تبلغ ٩٠٪ من موضوعات الأسفار المقدسة ، والكثير منها معلومات غير مهمة، لا تفيد حتى من الناحية التاريخية ، من ذلك ما ورد في سفر صموئيل عن الطعام الذي قدمته امرأة نابال إلى داود حتى لا يقتله وأهل بيته « **فبادرت أبيجال ، وأخذت مائتي رغيف خبز وزقي خمر ، وخمسة خرفان مهيئة ، وخمس كيلات من الفريك ، ومائتي عنقود من الزبيب ، ومائتي قرص من التين ، ووضعتها على الحمير** » (١ صموئيل ٢٥: ١٨) ، فما الذي أفاد البشرية معرفةُ ذلك ، والكتاب ، كل الكتاب الموحى به من الله ـ كما قال بولس ـ : « **نافع للبر والتوبيخ ، للتقويم والتأديب** » !

* وفي سفر (١ أخبار ٢٤-٢٧) يعرض لنا قائمة طويلة لوكلاء داود وولاته ، فما علاقة ذلك بوحي الله ، وأين التهذيب والتأديب في ذلك ؟

* وفي سفر الملوك الأول أصحاحان كاملان في وصف الهيكل وطوله وعرضه وسماكته وارتفاعه وعدد نوافذه وأبوابه .. وتفاصيل تزعم التوراة أنها المواصفات التي يريدها الرب لمسكنه الأبدي (انظر ١ ملوك ٦: ١-٧: ٥١)، ثم في موضع آخر نقرأ : «**هل يسكن الله حقًا على الأرض ، هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك ، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت** » (١ ملوك ٨: ٢٧) .

* وفي أخبار الأيام الأول نقرأ ست عشرة صفحة كلها أنساب لآدم وأحفاده وإبراهيم وذريته . (انظر ١ أخبار ١: ١-٩: ٤٤) ، ثم قائمة أخرى بأسماء العائدين من بابل حسب عائلاتهم ، وأعداد كل عائلة إضافة لأعداد حميرهم وجمالهم و .. (انظر عزرا ٢: ١-٦٧) ، كما ثمة قوائم أخرى بأعداد الجيوش والبوابين من كل سبط ، وعدد كل جيش و .. (انظر ١ أخبار ٢٣: ١-٢٧: ٣٤) .

* وأحيانًا يُشعر كُتّاب الأسفار قراءهم بأن لديهم مصدرًا موثوقًا فيما يسردونه من معلومات تاريخية ، فهم لا يلقون الكلام على عواهنه ، كما صنع كاتب سفر الملوك ، وهو يتحدث عن قتل الملك ياهو لإيزابل وقد جاءت تطلب منه الأمان ، فما كان منه إلا أن « **رفع وجهه نحو الكوّة وقال : من معي؟ من؟ فأشرف عليه اثنان أو ثلاثة من الخصيان** » (٢ ملوك ٩: ٣٢) ، فالكاتب المجهول لسفر الملوك الذي أُلهم كتابة القصة متشكك في عدد الخصيان الذين أجابوا الملك ، ولفرط أمانته ذكر تحيره وتشككه في عددهم ، فهم إما « **اثنان أو ثلاثة** » ، فأثبت للقارئ نزاهته وأمانته ودقته ، وبرهن له أيضًا أنه يكتب بحسب معلوماته ومصادره ؛ لا بوحي الله الذي لا تغيب عنه غائبة .

قصور الأسفار في القضايا الدينية :

وعلى ما في الأسفار التوراتية من إطناب في أمور لا أهمية لها من تواريخ بني إسرائيل وأحوالهم وأسماء بنيهم وبناتهم، وأعمار ملوكهم، وأعداد قبائلهم ومواشيهم، فإنا نشهد قصورًا باديًا في الأمور الدينية، فحين ينقب الباحثون في أسفار التوراة الخمسة عن ذكر يوم القيامة والجنة والنار والبعث والنشور ، فإنهم لا يجدون نصًا صريحًا واحدًا يدل على هذه العقيدة التي ستنكرها طائفة الصدوقيين، لأنها غير مذكورة في أقدس صفحات التوراة.

ولعلي أشير إلى نص تعلق به البعض في الدلالة على يوم القيامة، هو ما جاء في سفر التثنية « **أليس ذلك مكنوزًا عندي مختومًا عليه في خزائني ، لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم** » (التثنية ٣٢: ٣٤-٣٥) ، وهو ـ كما يرى القارئ الكريم ـ محتمل الدلالة ، غير مصرح بها ، ولو أمعن القراءة فيما قبله وبعده لجزم أنه يتحدث عن يوم أرضي يعاقبهم الله فيه .

هذا الغياب لعقيدة البعث والنشور جعل يوهان سملر (ت ١٧٩١م) أستاذ الفلسفة ورئيس الكلية اللاهوتية في هالة يصرخ: «إن العهد القديم لا يمكن أن يكون موحى به من الله، لأنه– إلا في مرحلته الأخيرة – تجاهل الخلود»[(١)].

التكرار الممجوج :

وتقع الأسفار في التكرار الحرفي لبعض الأحداث ، فهل نسي الله أو الروح القدس أنه أملاه من قبل ، أو أن النسيان قد وقع من الكتبة الذين ينسون ويغفلون ويخطئون ؟

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٤١/ ١٦٦).

❋ وكنموذج للتكرار الممجوج الذي لا طائل من ورائه نقرأ ما ورد في الأصحاحات ٢٥-٣٠ من الخروج وصف دقيق لخيمة الاجتماع كما أمر الرب أن تكون.

ثم تكرر الوصف بتمامه لما استدعى موسى بصلئيل وأهولياب للشروع في البناء والتنفيذ ، واستغرقت الإعادة الأصحاحات (٣٦-٤٠)، وكان يغني عن ذلك كله لو قال : (وبصلئيل بن أروى صنع كل ما أمر به الرب موسى ومعه أهولياب بن أخيساماك) .

❋ كما يقع كتاب العهد القديم أو كتَّابه فيما نسميه سرقة أدبية كما في ذكر نص ثم إعادته في موضع آخر ، ومن أمثلته : تطابق سفر (٢ ملوك ١٨ : ١٧-٢٠ : ١٩) مع (إشعيا ٣٦-٣٩)، فقد تم إعادة هذه الصفحات بتمامها من غير داع.

ولما طرح الشيخ أحمد ديدات بعضاً من هذا النموذج من التكرار غير المبرر على ستانلي شوبرج، وطلب منه تفسير هذا التماثل ، أجاب القس : « هذه هي عظمة الكتاب! » .

❋ وأحيانًا يكرر كاتب السفر بصورة متطابقة عدة سطور سبق له أن كتبها من غير أن يفهم سبب حصول ذلك ، ومنه ما صنعه كاتب سفر أخبار الأيام وهو يتحدث عن أسلاف وأبناء الملك شاول (انظر ١ أخبار ٨: ٢٩-٣٦ ، وطابق مع ١ أخبار ٩: ٣٥-٤٣) .

❋ وتكرر النسخ والنقل في أصحاحات أخرى مع تغيير بسيط لا يذكر في بعض الكلمات (انظر التكوين ٣٦، و١ أخبار ١)، (انظر ٢ صموئيل ٢٢ والمزمور ٢١) ، وانظر (١ أخبار ١٧ ، و٢ صموئيل ٧) ، وانظر (١ أخبار ١٨ ، و٢ صموئيل ٨) ، وانظر (١ أخبار ١٩ ، و٢ صموئيل ١٠) ، وانظر (١ ملوك ٨ ، و ٢ أخبار ٦) ، وغير ذلك من الشواهد .

* وفي المقابل فإن قارئ الأسفار سيروق لتلك الإحالات التي نجدها خلال الأسفار إلى مواضع أخرى من الكتاب ، ويعجب لتلك التي تحيل فيها كلمة الله إلى مواضع خارج كلمة الله ، أي أنها من كلام البشر ، وقد أراد من خلالها المؤلف أن لا يعيد سرد معلومات سبق له أن قرأها في سفر آخر من أسفار الكتاب أو بعض الكتابات التاريخية أو الضائعة من الأسفار المقدسة كما يرى الدكتور وهيب جورجي[(١)] .

من جهتي لا أرى بأن الإحالات في سفري الملوك والأخبار كانت إلى كتب مفقودة حين يطالبنا كاتب سفر الأخبار بالرجوع إلى «**سفر ملوك يهوذا وإسرائيل**» ثماني مرات، بينما يطالبنا سفر الملوك بقراءة «**سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا**» ثلاثًا وثلاثين مرة، فلو كان المقصود أسفارًا خارج التوراة لوجدنا كلاً من الكاتبَين يحيل إلى «**سفر أخبار الأيام** » و «**وسفر ملوك يهوذا وإسرائيل**»، لكنا نجد دومًا أن كاتب سفر الملوك يحيل إلى «**سفر أخبار الأيام**»، وكاتب سفر أخبار الأيام يحيل دومـًاإلى «**سفر ملوك يهوذا وإسرائيل**».

ويبدو لي أن الذي استدعى القول بأن هذين السفرين هما خارج الكتاب المقدس، وليس السفران المعروفان بنفس الاسم داخله ؛ هو تلك الإحالات المتقابلة بين السفرين المقدسين ، فكل منهما كان يحيل إلى الآخر ، بالتبادل .

وسيدهش القارئ لذلك، ويتساءل من غير أن يجد جوابًا : أي السفرين كتب أولًا ، ومن الذي كتبهما ، ولا أجد من جواب إلا أن أحيل إلى جهل البشر وتلاعبهم بالنصوص .

---

(١) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٧٤)، وعلى عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٠٨).

* ومن أمثلة تلك الإحالات التي تبادلها كاتبا سفري الملوك وأخبار الأيام في عدد من المواضع إحالة سفر الملوك إلى سفر أخبار الأيام « **وبقية أمور أمصيا ، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا** » (٢ ملوك ١٤ : ١٨) ، مما يدل على أن سفر أخبار الأيام قد كتب قبلُ .

لكن كاتب سفر أخبار الأيام ، وبتواضع جمّ يحيل قارئه إلى سفر الملوك «**وبقية أمور أمصيا الأولى والأخيرة ، أما هي مكتوبة في سفر ملوك يهوذا وإسرائيل** » (٢ أخبار ٢٥ : ٢٦) ، فأي السفرين كتب أولًا ؟

* وقد تكرر هذا التداول بينهما مرارًا ، فكلا من الكاتِبَين يصر على أن الآخر قد كتب أولًا ، وأنه ترك بعض التفصيلات التي قرأها عند الآخر [انظر حديث السفرين عن الملك يوثام (٢ ملوك ١٥ : ٣٦) و(٢ أخبار ٢٧ : ٧) ، وتأمل ثانية في إحالتهما المتبادلة عن أخبار الملك يهوياقيم (٢ أخبار ٣٦ : ٨) و(٢ ملوك ٢٤ : ٥)] .

ويحاول الفليسوف اليهودي اسبينوزا تحليل ظاهرة التكرار في الأسفار المقدسة فلا يجد إلا أن عزرا قد جمع شتات هذه الأسفار، ولم يتمكن من مراجعتها والتوفيق بينها وحذف المكرر منها، لربما لأن الموت دهمه، أو لسبب آخر لا نعرفه.

مبالغات وأخبار خرافية :

كما تحوي أسفار العهد القديم أخبارًا هي للخرافة أقرب منها للأخبار المعقولة.

* ومن ذلك قصص شمشون الجبار وخصلات شعره التي كانت سببًا في أعاجيبه وقوته وانتصاراته ، ومن أعاجيبه أنه بينما هو يمشي « **إذ بشبل أسد يزمجر للقائه، فحل عليه روح الرب ، فشقه كشق الجدي ، وليس في يده شيء** » (القضاة ١٤ :

٥-٦) ، وهذا الذي حل عليه روح الرب يذكر سفر القضاة بعدها بصفحتين قصة زناه مع العاهرة الغزية . (انظر القضاة ١٦ : ١) ، فبطولته لا تعرف الحدود !

* وأيضًا لما ربطه قومه وسلموه للفلسطينيين موثقًا « **فحل الوثاق عن يديه ، ووجد لحي حمار طريًا ، فمد يده ، وأخذه ، وضرب به ألف رجل . فقال شمشون : بلحيّ حمار كُومَةً كومَتَيْن** [هكذا] ، **بلحيِ حمار قتلتُ ألف رجل** » (القضاة ١٥ : ١٤-١٦) .

ولا يفوتنا التنبيه إلى الملاحظة المهمة التي أراد كاتب السفر شدّ مسامعنا إليها ، وهي أن لحي الحمار الذي قتل به شمشون هؤلاء الألف رجل كان طريًا ، فكيف يكون الحال لو كان قاسيًا ، إنها طريقة العجائز في حكاية القصص الأسطورية وسبكها ، ومثل هذه الزيادة هي نوع من عناصر التشويق والإثارة تستخدمها الجدّة ، وهي تقص على أحفادها قصة ما قبل النوم .

وأما اللورد هنري بولينغبروك (ت ١٧٥١م) فيرى قصة فك الحمار: «انتحال أخرق من ممسوخ للرواية الوثنية لأسطورة هرقل»، وهذا التشابه لا ينكره اللاهوتيون لكنهم يزعمون أن «المثيولوجيا الإغريقية هي التي اقتبست التوراة وحرَّفتها»، وهو ما يرفضه اللورد بقوله: «بيد أن هذا التجريح البالغ الذي يتعهده منافقون محترفون، تحبطه تواريخ دقيقة أشار اللاهوتيون أنفسهم إلى بعضها»[1].

وقد اعتبر الناقد اللغوي حاييم (هرمان) شتينتيل قصة شمشون «أسطورة» ، ضمها إلى حديث التوراة عن (رهب، والحوت، والتنين، والحية القديمة) مقارنًا «الخرافة العبرية الموجودة في العهد القديم مع تلك الموجودة عند شعوب الشرق .. وألقى الضوء

---

(١) التوراة جمع من الأساطير، ليوتاكسل ، ص (٢٤٠).

على الأصول اليونانية لأساطير العهد القديم»[١].

* ومن غرائب القاضي شمشون وعجائبه ما صنعه بحقول الفلسطينيين ، حيث أحضر ثلاث مائة ثعلب ، وربط ذيول بعضها ببعض ، ثم أشعل فيها النار ، وأطلقها في حقول الفلسطينيين ، فأحرقوها انتقامًا من زوجته الفلسطينية التي هجرته ، فكيف جمع هذه الثعالب ! وكيف ربطها جميعًا ! قصة جِدُّ غريبة . (انظر القضاة ١٥ : ٤-٦) .

* وليس أغرب منها ما صنعه بباب مدينة غزة ، حيث « **قيل للغزّيين : قد أتى شمشون إلى هنا ، فأحاطوا به ، وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة ، فهدؤوا الليل كله قائلين : عند ضوء الصباح نقتله ، فاضطجع شمشون إلى نصف الليل ، ثم قام في نصف الليل ، وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين ، وقلعهما مع العارضة ، ووضعها على كتفيه ، وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون** » (القضاة ١٦ : ٢-٤) ، إلى غير ذلك من أخبار شمشون الجبار وشعره العجيب . (انظر القضاة ١٤-١٦) .

* وكما يبالغ البشر في عرض بطولاتهم ؛ فإن التوراة تصنعه وهي تتحدث عن بني إسرائيل وأعدادهم وبطولاتهم ، ومن ذلك قصة البطل الإسرائيلي أبيشاي ، فقد «**هزّ رمحه على ثلاث مائة، فقتلهم** » (١ أخبار ١١ : ٢٠) .

* ومثله البطل يشبعام ، فقد قتل ثلاثمائة دفعة واحدة ، وبهزة رمح واحدة «**يشبعام ابن حكموني رئيس الثوالث ، هو هزّ رمحه على ثلاث مائة ، قتلهم دفعة واحدة**» (١ أخبار ١١ : ١١) ، وفي سفر صموئيل يسمى البطل يشبعام بيوشيبا ، ويزيد عدد القتلى - بهزة رمحه - خمسمائة مقاتل ، فقد « **هز رمحه على ثمانمائة ، قتلهم دفعة**

---

(١) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (١٩٠).

واحدة » (٢ صموئيل ٢٣ : ٨) ، فكم كان طول هذا الرمح ؟ وكيف تم هذا ؟ ! !

* وأما شمجر بن عناة فقد قتل ستمائة فلسطيني من غير سلاح ، لقد قتلهم بمنساس البقر « **وكان بعده شمجر بن عناة ، فضرب من الفلسطينيين ست مائة رجل بمنساس البقر** » (القضاة ٣: ٣١) كيف لم يهربوا ؟ هل انتظر كل منهم دوره؟ ! !

* ومثله المبالغة في عرض كل ما يتعلق ببني إسرائيل « **كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرّ سميذ ، وستين كرّ دقيق ، وعشر ثيران مسمنة ، وعشرين ثورًا من المراعي، ومائة خروف عدا الأيائل واليحامير والأوز المسمن** » (١ ملوك ٤ : ٢٢-٢٣) .

* ومن المبالغة المضحكة أن الأرض انشقت لقوة صوت غناء بني إسرائيل وفرحهم « **وصعد جميع الشعب وراءه ، وكان الشعب يضربون بالناي ، ويفرحون فرحًا عظيمًا ، حتى انشقت الأرض من أصواتهم** » (١ ملوك ١ : ٤٠) ، نحوه كثير ..

* ولا تنقضي عجائب بني إسرائيل ولا فرائدهم ، والتي من بينها أبشالوم بن داود، والذي كان في غاية الحسن ، وأما شعر رأسه فـ « **كان يحلقه في آخر كل سنة ، لأنه كان يثقل عليه ، فيحلقه ، كان يزن شعر رأسه مئتي شاقل بوزن الملك** » (٢ صموئيل ١٤ : ٢٦) ، وهو ما يعادل كيلوين وربع ! فهل يعقل مثل هذا ؟! أين رأت الدنيا أو سمعت بمثله ؟

وقد كان هذا الشعر الطويل نذيرشؤم على أبشالوم وسببًا لهلاكه، فقد مرَّ يومًا تحت شجرة كبيرة، وهو راكب على بغل، فتعلق شعره بالشجرة، وأكمل البغل مسيره، فما زال معلقًا حتى عثر عليه أتباع أبيه داود فقتلوه، لأنه نافسه في حكمه (انظر ٢ صموئيل ١٨ : ٩).

لكن هذا كله لن يمنعنا من الإقرار أن كاتب أسفار التوراة يمتاز ـ ككثيرٍ من المؤلفين ـ باللباقة والاحترام ، فيعتذر لقرائه عن تقصيره في الكتابة ، وذلك في آخر كتابه، فيقول في خاتمة سفر المكابيين الثاني (آخر أسفار التوراة الكاثوليكية) : « **إن كنت قد**

أحسنت التأليف ، وأصبت الغرض ، فذلك ما كنت أتمنى ، وإن كان قد لحقني الوهن والتقصير فإني قد بذلت وسعي ، ثم كما أن شرب الخمر وحدها أو شرب الماء وحده مضر[١]**، وإنما تطيب الخمر ممزوجة بالماء وتعقب لذة وطربًا ، كذلك تنميق الكلام على هذا الأسلوب يطرب مسامع مطالعي التأليف** » (٢ مكابيون ١٥ : ٣٩-٤٠) .

ولعل مراده الاعتذار عن بعض ما تقدم ذكره ، وعن بعض العبارات الركيكة التي صدرت عن مجموعة مؤلفي هذا الكتاب والتي حار المحققون في فهم المراد منها ، ومن ذلك قولهم على لسان دانيال النبي : « **كنت نائحًا ثلاثة أسابيع أيام !** » (دانيال ١٠ : ٢) ، فكلمة (أيام) لا معنى لها .

وقد تكرر ذكر هذه الكلمة بلا فائدة : « **شلّوم بن يابيش ملك في السنة التاسعة والثلاثين لعزّيا ملك يهوذا ، وملك شهر أيام في السامرة** » (٢ ملوك ١٥ : ٣) .

ومثله في الركاكة ما نسبوه إلى النبي حزقيال « **فذهبتُ مرًا في حرارة روحي** » (حزقيال ٣: ١٤) .

ومثله ما جاء في سفر إشعيا النبي ، وجزم المفسر آدم كلارك أن به سقطًا وتحريفًا ، « **الذين يذكرونك في طرقك ، ها أنت سخطت إذ أخطانا ، هي إلى الأبد فنخلص** » (إشعيا ٦٤ : ٥) ، وغيرها من مبهمات الكتاب[٢] .



---

(١) لا نستطيع موافقة الكاتب في زعمه بأن شرب الماء وحده مضر ، فمثل هذه المعلومة لا يوافقه عليها مرجع طبي واحد ، فليس في شرب الماء وحده أي ضرر.

(٢) تفسير آدم كلارك (إشعيا - ملاخي/ ٣٥٣).

التحريف في العهد القديم

تحدث القرآن الكريم عن تحريف التوراة في آيات كريمة منها قول الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧١]، ويقول : ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء : ٤٦] ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٧٥] .

وعن تحريفهم بالنقص يقول: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ [الأنعام :٩١] ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنـاً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، ويقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة : ١٥] .

وعن تحريفهم بالزيادة والكذب على الله يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنـاً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة : ٧٩] ، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقـاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

فالتحريف إذًا يكون بالنقص والزيادة ، وكل ذلك وقع في التوراة كما سنرى .

وقبل أن نلج لعرض بعض صور التحريف يستوقفنا سؤال يطرحه النصارى دائمًا : هل من الممكن أن يحرِّف أحد كلام الله ؟ وكيف أذن الله بهذا التحريف ؟

ونقول : الكتاب المقدس يتحدث عن إمكانية تحريفه ، ويذكر لنا ـ كما سيمر معنا شهادة الأنبياء على تحريفه ـ ، فلو كان الكتاب غير ممكن التحريف لما كان أي معنى أو فائدة لآخر فقرة وردت فيه « **لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب، إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوّة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة** » (الرؤيا ٢٢: ١٨-١٩) ، فهذه الفقرة تحذر من تحريف الكتاب ، فدل ذلك على أنه ممكن الحدوث ، وفيها وعيد صادم لمن يحرف الكتاب بزيادة أسفار الأبوكريفا السبعة في الكتاب أو حذفها وإسقاطها منه ، أو غير ذلك من صور التحريف.

وقد تنبأ النبي عاموس بفقد كلمة الرب (تحريف النقص والضياع) ، فيقول : «**هوذا أيام تأتي ، يقول السيد الرب : أرسل جوعًا في الأرض ، لا جوعًا للخبز ، ولا عطشًا للماء ، بل لاستماع كلمات الرب ، فيجولون من بحر إلى بحر ، ومن الشمال إلى المشرق ، يتطوّحون ليطلبوا كلمة الرب ، فلا يجدونها** » (عاموس ٨: ١١-١٢) ، فالنص ـ كما ترى ـ نبوءة عن فقد الكتاب ، واحتياج الناس إليه، وبحثهم عنه بلا فائدة.

وأما قول قائلهم : كيف يسمح الله بحدوث ذلك ؟ فإن القائل نسي سنة الله في الكافرين والمارقين ، وقد أذن لهم ـ وفق مشيئته وقدره ـ بسبّه والكفر به وعصيان أوامره، ومثله تحريف كتابه الذي أمر بني إسرائيل بحفظه ، فأضاعوه وحرفوه ، كما صنعوا بكل شرائعه ، وكما ولغوا في دماء أنبيائه ، وكل هذه المخازي لم تخرج عن قدر الله الكوني ومشيئته وعلمه السابق .

ولما اعترض بعضهم على حفظ الله للقرآن الكريم، وعدم صون التوراة

والإنجيل عن التبديل والتحريف تولت رسالة رومية وسفر إشعيا الرد عليهم: «**من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها: «لماذا صنعتني هكذا؟» أم ليس للخزاف سلطان على الطين، أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان**» (رومية ٩: ٢٠-٢١) (وانظر إشعياء ٢٩: ١٦)، فلا يحق لمخلوق ضعيف أن يعترض على خالقه ، كما لا يحق لآنية الخزف أن تحتج وتستنكر على الخزاف الذي يصنع منها إناء تؤكل فيه أطايب الطعام، وآخر تشرب فيه أم الخبائث.

تحريف النقص :

* ومن صور التحريف بالنقص تلك الإحالات الإنجيلية إلى التوراة والتي لا نجدها في الأسفار الموجودة بين أيدينا ، ومن ذلك ما جاء في متى « **ثم أتى وسكن في بلد تسمى ناصرة ، ليكمل قول الأنبياء : أنه سيدعى ناصريًا** » (متى ٢: ٢٣).

يقول المفسر وليم باركلي: « هذه النبوءة تواجه المفسرين بصعوبة كبيرة، ذلك لأنه لا يوجد عدد في العهد القديم بهذا المعنى، وحتى مدينة الناصرة نفسها غير مذكورة على الإطلاق في العهد القديم، ولم يوجد حل كاف لهذه المشكلة»، هذه المشكلة التي يعتبرها الأب الدكتور ريموند براون « أصعب اقتباس في الإنجيل »[1].

وكان القديس يوحنا فم الذهب يتهم اليهود بضياع تلك الإحالة المفقودة من التوراة: « "**لكي يتم ما قيل بالأنبياء، إنه سيدعى ناصرياً**" (متى٢: ٢٣)، لكن مَن مِن الأنبياء قال هذا؟ لا تستغربوا، لأن كثيراً من كتابات الأنبياء قد فُقدت، ويُمكن رؤية ذلك في سفر أخبار الأيام، فبسبب إهمالهم وسقوطهم الدائم في الآثام، بعضها [يعني

---

(١) تفسير إنجيل متى، وليم باركلي، ص (٣٧)، وميلاد المسيا، ريموند براون، ص (٢٢٣)، واتفاق البشيرين، سمعان كلهون، ص (٧٥).

بعض الكتب] أُفسد، والبعض الآخر أحرقوه ومزقوه إربـاً بأنفسهم، ذكر هذه الحقيقة الأخيرة إرميا ، وذكر مؤلف سفر الملوك الرابع أنه بعد فترة طويلة وجدوا سفر التثنية بصعوبة فدُفِنَ في مكان ما ثم ضاع. فإنهم حتى قد خانوا كتبهم في الوقت الذي لم يكن عندهم أي أجانب متوحشين، خانوها أكثر مما لو كانوا تحت حكم الأجانب المتوحشين»[١] .

* ومن صور النقص ما شهد المسيح بضياعه حين قال : « **أو ما قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء** » (متى ١٢: ٥) ، ولا يوجد مثله في كلام التوراة ، فدل ذلك على ضياعه وفقده .

* وينسب سفر طوبيا (من أسفار الأبوكريفا) إلى توراة موسى ما ليس فيها ، فقد أمر ملاك الرب طوبيا بخطبة سارة بنت رعوئيل ، وقال له مطمئنًا : « **فأنا أعلم أن رعوئيل لا يقدر أن يزوجها لأحد سواك حسب شريعة موسى ، لأنه يعاقب بالموت ، لأنك أحق الناس بها** » (طوبيا ٦: ١٣) ، وهذا الحكم غير موجود في شريعة موسى ، لذا علق محققو الترجمة العربية المشتركة على هذا النص بقولهم : « لا نجد في شريعة موسى عقاب الموت في هذه الحالة »[٢] .

* ومما نفقده في سفر المراثي مرثية الملك يوشيا ، فقد ذكر كاتب سفر أخبار الأيام الثاني أنه موجود فيه فقال : « **ورثى إرميا يوشيا ، وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا في مراثيهم إلى اليوم ، وجعلوها فريضة على إسرائيل ، وها هي مكتوبة في المراثي** » (٢ أخبار ٣٥: ٢٥) .

---

(١) العظة التاسعة على إنجيل يوحنا، يوحنا فم الذهب، الفقرة (٦).

(٢) حاشية النص في الترجمة العربية المشتركة (٢/ ١١).

وهذا الموضوع لم يتطرق إليه سفر المراثي أبدًا بشهادة الآباء اليسوعيين الذين كتبوا في حاشيته : « سفر المراثي المنسوب إلى هذا النبي (إرميا) لا يحتوي على شيء يتعلق على وجه خاص بهذا الملك ، إن هذا النص الذي يستند محرر الأخبار إليه مفقود»[(١)].

* ومن السقط أيضًا خاتمة الأصحاح الثاني من سفر الخروج ، الذي ينتهي بصورة فجائية ، عند قوله : « **ونظر الله بني إسرائيل ، وعلِم اللهُ** » (الخروج ٢: ٢٥) ، وقد أشار محققو نسخة الرهبانية اليسوعية إلى أن الأصحاح مبتور .

* ومن النقص ما تضع بعض التراجم والنسخ نجومًا بدلًا منه ، منها النسخة العربية لدار الكتاب المقدس التي اعتمدناها في هذه السلسلة، فمن سفر صموئيل سقط بيان جزاء بني إسرائيل إن استقاموا على عبادة الله ، ففيه أن صموئيل قال : « **إن اتقيتم الرب وعبدتموه وسمعتم صوته ، ولم تعصوا قول الرب ، وكنتم أنتم والملك أيضًا الذي يملك عليكم وراء الرب إلهكم ***** [هكذا في المطبوع] ، **وإن لم تسمعوا صوت الرب بل عصيتم قول الرب تكن يد الرب عليكم** » (١ صموئيل ١٢: ١٤-١٥) .

* وتتلألأ النجوم مرة أخرى في سفر صموئيل الثاني مشيرة إلى وجود سقط في تمام حديث داود عن العرج والعمي ، فيقول السفر : « **قال داود في ذلك اليوم : إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمي المبغضين من نفس داود ***** [هكذا في المطبوع] **لذلك يقولون : لا يدخل البيت أعمى أو أعرج** » (٢ صموئيل ٥: ٨) .

---

(١) وانظر المدخل إلى العهد القديم ، د. صموئيل يوسف ، ص (٣٠٣).

* ونحوه سقط بعض النص في سفر حزقيال في وصف الزانية وبيان حالها ، واستعيض عنه بالنجوم « **فقلت عن البالية في الزنا : الآن يزنون زنى معها ، وهي *** ، فدخلوا عليها كما يُدخَل على امرأة زانية** » (حزقيال ٢٣: ٤٣).

* ومثله وقع النقص في رسالة ملك أرام إلى ملك إسرائيل « **فأتى بالكتاب إلى ملك إسرائيل يقول فيه ****** ، فالآن عند وصول هذا الكتاب إليك ، هوذا قد أرسلت إليك نعمان عبدي ، فاشفه من برصه** » (٢ ملوك ٥: ٦) .

* كما وقع النص في رسالة أخرى ، وهي رسالة ياهو ، حيث جاء في سفر الملوك « **فكتب ياهو رسائل وأرسلها إلى السامرة ، إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ وإلى مربّي آخآب قائلًا : ****** ، فالآن عند وصول هذه الرسالة إليكم** » (٢ ملوك ١٠: ١-٢) .

* وفي سفر أخبار الأيام الأول يفجؤنا نقص آخر عوضه كتبة الكتاب المقدس بنجوم أثبتوا من خلالها ضياع بعض كلمات الناموس ، إذ يقول : « **وبنو عزرة يثر ومرد وعافر ويالون ****** ، وحبلت بمريم وشماي ويشبح أبي اشتموع** » (١ أخبار ٤: ١٧) ، فيا ترى كم سقط من أبناء عزرة ، ومن هم الذين تحدث عنهم النص قبل أن يعود لتلك التي سقط اسمها ، والتي حبلت بمريم ؟

وقد تنبه الآباء اليسوعيون ومحررو الترجمة العربية المشتركة للنقص ، فأكملوه من عندياتهم ، وأراحوا القراء من عناء الإجابة عن سؤالنا ، فالنص عند الآباء اليسوعيين : « **وبنو عزرة : ياتر ومارد وعافر ودالون ، واتخذ مارد بتية ، فحبلت بمريم وشماي ويشباح أبي اشتموع**» ، إنهم يكملون عن الروح القدس والأنبياء ما فاتهم أن يسجلوه ، أو بالأحرى يستكملون ما ضاع من أسفارهم **! !**

والنص لم يسلم من صور أخرى من الترقيع أو التحريف، فالترجمة العربية

المشتركة ونسخة الأخبار السارة ومن يوافقهما من التراجم العالمية لا تعترف أن «**يشباح أبي اشتموع**»، بل هو «**يشباح باني مدينة أشتموع**»، كما حذفتا اسم (مريم)، فصار النص عندهما: «**وتزوج مارد بثية، فولدت وشماي ويشبح باني مدينة أشتموع**»، ولن يغيب عن القارئ تغير اسم «**شماي**» إلى «**وشماي**» بسبب تشابه النطق والكتابة العبرية.

* كما وقع النقص في خاتمة الأصحاح السادس من سفر زكريا ، ولم يجد طابعو الكتاب المقدس ما يكملون به الجملة إلا أربعة من النجوم ختموا بها هذا الأصحاح « **والبعيدون يأتون ويبنون في هيكل الرب ، فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم ، ويكون إذا سمعتم سمعًا صوت الرب إلهكم ****** » (زكريا ٦ : ١٥) .

* وفي أحيان أخرى وضع طابعو الكتاب المقدس (--) للدلالة على وجود سقط في النص ، ومن صوره « **في الأنبياء -- انسحق قلبي في وسطي ، ارتخت كل عظامي** » (إرمياء ٢٣: ٩) ، ومثله في نشيد الأنشاد « **وحنكك كأجود الخمر -- لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين** » (نشيد ٧: ٩) .

* ومن النقص في الأسفار ضياع اسم الكاهن الذي كان لعشيرة منيامين ، فقد سها عنه كاتب سفر نحميا حين قال : « **ولأبيا زكري ، ولمنيامين ، لموعديا فلطاي** » (نحميا ١٢: ١٧) ، وعلقت الترجمة العربية المشتركة بقولها : « لا يورد النص العبري اسم الكاهن في عشيرة منيامين »[١] ، وأما الآباء اليسوعيون ، فوضعوا نقطًا بدلًا عن الاسم المفقود[٢].

---

(١) انظر: حاشية النص في الترجمة العربية المشتركة (١/ ٦٠١).

(٢) حاشية النص في الرهبانية اليسوعية، ص (٨٧١).

ويقدر الفيلسوف اسبينوزا عدد المواضع التي وقع فيها السقط في الأسفار بثمان وعشرين موضعًا ، اعتاد العلماء الماسوريون على ترك فراغ لها في نسخهم[١].

ولئن كانت نقولات الآباء الأولين من الأسفار مما يطرب له المسيحيون، ويرون فيه شهادة أخرى على أصالة الكتاب، فإنه من المقابل يمكننا أن نرى في منقولاتهم شهادة على تحريف الكتاب بضياع بعض نصوصه التي نقلها هؤلاء الآباء، ولم نجدها في أسفار العهد القديم، ومن ذلك مواضع كثيرة نقلها كتاب «الدسقولية» الذي يوليه الأرثوذكس أهمية خاصة، ويصدقون ما جاء في مقدمته «نحن الإثني عشر رسولاً .. معنا أخونا بولس ويعقوب .. كتبناه وأرسلناه على يد أكليمندس رفيقنا»[٢]، فبحسب هذه المقدمة فإن الدسقولية لا تقل أهمية عن الأناجيل، فقد كتبها تلاميذ المسيح الذين كتبوا أسفار العهد الجديد.

❊ وقد نسب هؤلاء التلاميذ إلى الناموس وأسفار الأنبياء نصوصًا لا نجدها في الأسفار اليوم، من ذلك قول الدسقولية: « اسمعوني أيها الأساقفة، اسمعوا أيها العلمانيين، كما يقول الرب : إني أحكم بين كبش وكبش، وبين خروف وخروف ويقول: إني أحاكم الرعاة لأجل تفريطهم وهلاك خرافي »[٣]، وهذان القولان لا أثر لهما البتة في أسفار العهدين، القديم والجديد.

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٢٩٦).

(٢) الدسقولية، ص (١٥)، ولا ريب أن هذه النسبة غير صحيحة، وأن الكتاب منحول من أحد الآباء في القرنين الميلاديين: الثالث أو الرابع، إذ لا يمكن الجمع بين وجود بولس وبطرس اللذين ماتا في أواسط القرن الأول وبين ذكر إنجيل يوحنا الذي كتب بعد وفاتهما بثلاثين سنة، فهو على كل حال من كتابات الآباء المهمة.

(٣) المصدر السابق، ص (٩٤).

* وفي موضع آخر: «فهذا أجر عظيم لكم من الله لأنه يقول: من يخرج الجليل من غير المستحق يكون مثل فمي »[١]، وليس في الأسفار المقدسة ما يشبه هذا من قريب أو بعيد.

* وتنسب الدسقولية إلى الناموس ما ليس فيه، فتقول: «قائلاً في سفر الناموس : لاتعملوا لكم طرزاً ولا أصداغًا»[٢].

* وتنسب إلى النبي إرميا ما لا نجده في سفره ولا المراثي: «كما قال إرميا النبي: أخرجت الجماعة السوء من الله الرب، ويرفض البيت من جهته»، وفي موضع آخر نسبوا إليه القول: «إن إسرائيل قد زكى نفسه من قلة رضا يهوذا»[٣].

* وأما النبي إشعيا ففي الدسقولية قول ينسب إليه لم تتسع له أصحاحات سفر إشعيا الستة والستين: «نحن التراب، وهو خالقنا»[٤].

* وبعيدًا عن «الدسقولية» فإن في كتابات الآباء الأولين الكثير من الإحالات الكتابية المفقودة، ومن ذلك ما نسبته رسالة برنابا التي كانت مقدسة في قرون المسيحية الأولى كما نقل ذلك أوسابيوس في تاريخه، فقد أحالت على نصوص توراتية مفقودة في عديد من المواضع، منها قولها: «يقول النبي: (فليأكلوا من العجل المقدم يوم الصوم من أجل كل الخطايا .. فليأكل الكهنة فقط الأحشاء غير المغسولة

---

(١) المصدر السابق، ص (٩٤).

(٢) المصدر السابق، ص (١٩).

(٣) المصدر السابق، ص (١٦٤، ١٠١).

(٤) المصدر السابق، ص (١٢٠)، ولرؤية المزيد من المواضع انظر ص (٩٥، ١١٢، ١٢٦، ١٥٧).

والخل)»[١].

* وفي موطن آخر تقول الرسالة: «يقول نبي آخر: (كانت أرض يعقوب ممدوحة أكثر من كل أرض) .. يقول أيضًا: (كان هناك نهر يجري، وعلى ضفته اليمنى كانت تنمو أشجار جميلة، ومن يأكلها يحيا إلى الأبد)»[٢].

* ويمضي كاتب رسالة برنابا إلى ذكر نبوءة توراتية عن المسيح لا أثر لها في توراة اليوم، فيقول: «إن نبيًا آخر يعطي تحديدًا للصليب قائلاً: (متى ستتحقق كل هذه الأمور؟ عندما يسطح الخشب فوق الأرض، ثم تنتصب، وقد رشح منه الدم)، هذا الكلام يشير إلى الصليب، وإلى من يعلو فوقه»[٣]، فأين اختفت هذه النصوص من توراتنا الحالية؟ ومن المسؤول عن ضياعها؟

* وكذلك نسب الأب أكليمندس الروماني (ت ١٠١) إلى موسى عليه السلام أنه «قال: إني لست سوى دخان يتعالى من المِرجل» (رسالة أكليمندس الأولى ١٧: ٦)، ومثل هذا لا نجده في أي سفر من أسفار العهد القديم.

* ومثله قوله: «ورب الكل تكلم عن التوبة: ... ثم يضيف هذه العبارة المليئة بالطيبة: (توبوا يا بيت إسرائيل عن خطاياكم، قل لأبناء شعبي: لو صارت خطاياكم من الأرض إلى السماء، ولو أصبحت أحرَّ من الجمر، وأحلك من الكيس (ثوب الحداد) ثم التفتم نحوي، وقلتم من أعماق قلوبكم: أيها الرب، استجب لنا، نحن شعبك المقدس) » (رسالة أكليمندس الأولى ٢٦: ٨).

---

(١) رسالة برنابا، الآباء الرسوليون، ص (٨٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٠).

(٣) المصدر السابق، ص (٩٠).

* وكذلك فعل الأب كيرلس الأورشليمي (ت ٣٧٩م) أسقف أورشليم، فقد نسب إلى سفر المزامير نبوءة بقيامة المسيح، حين قال: «وهذا اليوم معلوم عند الرب، ليس بنهار ولا ليل»، وزعم أن النبوءة تحققت يوم الصلب «حين ساد الظلام على الأرض كلها في وضح النهار »[١].

* وأما القديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية (ت ٤٠٧م)، فينقل عن نبي لم يسمه قولاً لا أثر له في أسفار العهد القديم، حيث يقول: «اسمع ما يقوله النبي: (الويل لكم يا من تقتربون من اليوم الشرير، يا من تقتربون وتحفظون سبوتًا كاذبة)»[٢].

* ويستشهد ذهبي الفم بنص آخر مفقود، فيقول: «الله اتهم اليهود من خلال النبي قائلاً: (الأرض أخرجت ثمرًا بزيادة، وأنتم لم تقدموا عشوركم، أما سلب الفقير فهو في بيوتكم)»[٣].

* وكذلك فإن القديس أوغسطينوس (٤٣٠م) يحيل إلى سفر المزامير ، وإلى المزمور ٤٠ تحديدًا بقوله: «ولكي يرينا أنهم لم يجنوا شيئًا بقتله، إذ كان سيقوم ، فقال: «ألا يعود الراقد أن يقوم» ، وبعد ذلك بقليل يتكلم عن مسلمه في نفس النبوءة تلك الكلمة التي قالها أيضًا في الإنجيل: **(الذي أكل خبزي رفع عليَّ عقبه)**» [٤]، فالنبوءة التي يقصدها أغسطينوس نجدها في (المزمور ٤١: ٩)، ولا نجد قبلها في نفس

---

(١) العظة الثالثة عشرة، كيرلس الأورشليمي (١٣/ ٢٤).

(٢) الغني والفقير، يوحنا فم الذهب، ص (٢٢).

(٣) المصدر السابق، ص (٥٠).

(٤) الإيمان بأمور لا ترى، أغسطينوس، ص (٢٤).

المزمور ولا غيره النبوءة بقيامته من الموت «ألا يعود الراقد أن يقوم»، بل نجد ضدها: «**يقولون: أمر رديء قد انسكب عليه، حيث اضطجع لا يعود يقوم** » (المزمور ٤١ : ٨).

* وأحيانًا يورد الآباء نصوصًا من العهد القديم تختلف جدًا عن الموجود في الأسفار المقدسة اليوم، ففي حين نقرأ في سفر إشعيا اليوم أن الرب: «**صار لهم مخلصًا، في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته ، هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة** » (إشعيا ٦٣: ٨-٩)، فإن الأب إيريناوس (ت ٢٠٢م) ينقله بقراءة مختلفة، فيقول: «وهذا ما يقوله النبي: (ليس رسولاً ولا ملاكًا ، بل الرب نفسه سيخلصهم، لأنه يحبهم ويتراءف عليهم، وهو نفسه يفكهم)»[1]، فإن النص الحالي ينسب الرأفة والرحمة والخلاص لبني إسرائيل إلى «**ملاك حضرته**»، بينما النص بحسب إيريناوس يتحدث عن «الرب نفسه .. وهو نفسه»، ولن يخفى على القارئ زيادة إيريناوس قوله: «ليس رسولاً ولا ملاكًا».

إن هذه المواضع الضائعة من أسفار العهد القديم لم تنجح في استدراكها آلاف المخطوطات التي يتباهى بكثرتها النصارى ، فهي على كثرتها لم تكن كافية في إبلاغنا النصوص التوراتية بتمامها.

ومن صور التحريف بالنقص تلك الأسفار الضائعة :

ويمتد السقط والضياع في الأسفار التوراتية ليشمل أسفارًا توراتية ضاعت واندرس

---

(١) ضد الهرطقات، إيريناوس (ك ٣ ، ف ٢٠).

خبرها[١]، وشهد لضياعها أسفار العهد القديم الموجودة في الكتاب المقدس .

* منها : سفر حروب الرب[٢] المذكور في سفر العدد ، حيث يقول : « **لذلك يقال في كتاب حروب الرب واهب في سوفة وأودية أرنون** » (العدد ٢١: ١٤) .

* وكذا يَرثي المحققون ويألمون لضياع سفر أخبار صموئيل الرائي ، وسفر أخبار ناثان النبي ، وأخبار جاد الرائي الذين ذكروا في سفر أخبار الأيام ، حيث يقول : «**وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي** » (١ أخبار ٢٩: ٢٩) .

* ومن الأسفار الضائعة سفر أخبار شمعيا النبي ، وسفر عدوَ الرائي المذكوران في سفر أخبار الأيام « **أمور رحبعام الأولى والأخيرة ، أما هي مكتوبة في أخبار شمعيا النبي وعِدّو الرائي** » (٢ أخبار ١٢: ١٥) .

* ومن الضائع أيضًا سفر أخبار النبي أخيا الشيلوني « **هي مكتوبة في أخبار ناثان النبي وفي نبوّة أخيا الشيلوني وفي رؤى يعْدو الرائي** » (٢ أخبار ٩: ٢٩) .

---

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٧٤).

(٢) يرى محققو النص السبعيني اليوناني أن لا وجود لشيء اسمه «سفر حروب الرب»، فالأمر لا يعدو قراءة خاطئة للنص الذي تجعله السبعينية: «**لذلك يقال في سفرٍ: بِزوفه وبأودية ارنون حربُ الرب هبت**» ، وكتب محققوها في الحاشية: «هنا أحد المواضع التي تتجلى فيها أهمية السبعينية بأجلى بيان، فالعبارة في النص المسوري (ملحمة يهوه) ليست في محل جر بالإضافة، كما اعتقد المحدثون، فقالوا: (في سفر حروبِ الرب) ، لكنها في محل رفع مبتدأ، وهي بداية الكلام المكتوب في السفر المقصود». توراة موسى (ترجمة عربية للسبعينية)، د. خالد جورج اليازجي، ص (٣١٨).

* ومنها أيضًا سفر ينسب للنبي إشعيا ذكره كاتب سفر أخبار الأيام حين قال : «**وبقية أمور عزيا الأولى والأخيرة كتبها إشعيا بن آموص النبي** » (٢ أخبار ٢٦: ٢٢)، ومن المعلوم أن سفر إشعيا الحالي لم يتحدث مطلقًا عن الملك عزيا ، فإما أنه سقط منه ، أو أن الإحالة إلى سفر آخر كتبه النبي إشعيا ، وضاع فيما ضاع من أسفار التوراة.

* يقول المفسر الإنجليزي آدم كلارك (ت ١٨٣٢م) : « **حصل لقلوب العلماء قلق عظيم لأجل فقدان تاريخ المخلوقات فقدانًا أبديًا** » ، ومقصوده السفر الذي أشار إليه سفر الملوك ، حين قال عن سليمان : « **وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده ألفًا وخمسًا ، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط ، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك** » (١ ملوك ٤: ٣٢-٣٣) ، فأين هذا السفر ؟[١]

* ومن الأسفار التي نفتقدها في العهد القديم سفر أخنوخ الذي استشهد به يهوذا في رسالته ، وكان ذلك سببًا في تأخر الاعتراف برسالته[٢]، قال : « **وتنبأ عن هؤلاء أيضًا أخنوخ السابع من آدم قائلًا : هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ، ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها ، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار** » (يهوذا ١ : ١٤) .

وهذا السفر موجود بالفعل ، واقتباس يهوذا منه موجود في (أخنوخ ١ : ٩) كما نقل محررو قاموس الكتاب المقدس ، لكن آباء الكنائس النصرانية اعتبروه سفرًا مزيفًا غير قانوني ، ولم يشفع له استشهاد يهوذا والآباء الأوائل للكنيسة به ، يقول

(١) انظر : تفسير آدم كلارك (يشوع- إستير/ ٥٣٤).

(٢) انظر : علم اللاهوت النظامي ، واين جرودم (١/ ٤٨).

محررو قاموس الكتاب المقدس عن هذا السفر : « سفر من الأسفار غير القانونية .. والكتاب مليء بأخبار الرؤى عن المسيّا المنتظر والدينونة الأخيرة وملكوت المجد .. وقد اقتبس بعض الآباء الأوائل في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السفر .. ولكن قادة المسيحيين فيما بعد أنكروا هذا الكتاب ورفضوه .. »(١).

* وكذا فُقِد من الكتاب المقدس سفر ياشر ، الذي أحال عليه يشوع النبي : «**أليس هذا مكتوبًا في سفر ياشر : فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل** » (يشوع ١٠ : ١٣) ، وفي موضع آخر قال: « **أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس ، هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشر** » (٢ صموئيل ١ : ١٨) .

التحريف بالزيادة :

ومن التحريف الذي تعرضت له الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى تحريف الزيادة ، وهو باب كبير يشمل تلك المواضع المشينة التي أضيفت في الأسفار، ونسبت إلى الأنبياء ، وكما يشمل ما تضمنته الأسفار من معلومات تاريخية ومسميات ظهرت بعدهم ، كما سبق بيانه ، ومنه تلك الأخبار الملفقة والمكذوبة عن الله ورسله مما ذكرناه قبلُ .

* ومن صور تحريف الزيادة ذكر كاتب سفر التكوين اسم إسحاق في سياق قصة الذبيح ، بدلًا من إسماعيل ، فقد أمر الله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد « **خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق** » (التكوين ٢٢: ٢) ، فقوله: «إسحاق» مزيدة ولا ريب، إذ لا يصلح وصف «الوحيد» إلا على إسماعيل الذي بقي وحيدا لأبيه ١٤ عامًا.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٣٢).

فقد صرحت التوراة بأن إسماعيل أكبر أبناء إبراهيم ، وأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة « **كان أبرام ابن ستٍّ وثمانين سنةً لمّا ولدت هاجر إسماعيل لأبرام** » (التكوين ١٦ : ١٦) ، فيما ولد إسحاق بعده بأربعة عشر عامًا « **وكان إبراهيم ابن مائة سنةٍ حين ولد له إسحاق ابنه** » (التكوين ٢١ : ٥) .

لكن النصارى يزعمون أن إسماعيل لا يصلح أن يحسب ابنًا لإبراهيم ، لأنه ابن جارية ، ويتناسون أنه ابن شرعي حقيقي ، كما في التوراة نفسها « **فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجةً له . فدخل على هاجر فحبلت ..** » (التكوين ١٦ : ٣١-٤) ، وفي موضع آخر من السفر يقول : « **ولدت هاجر لأبرام ابنًا . ودعا أبرام اسم ابنه الّذي ولدته هاجر : إسماعيل** » (التكوين ١٦ : ١٥-١٦) .

وعندما غارت سارة من هاجر « **قالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأنّ ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق . فقبح الكلام جدًّا في عيني إبراهيم لسبب ابنه** (أي إسماعيل) . **فقال الله لإبراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك** » (التكوين ٢١ : ١٠-١٢) .

ويثبت له الكتاب البنوة مرة أخرى ، فيقول : « **ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة** » (التكوين ٢٥ : ٧) .

هذا ولم تقل التوراة أبدًا أن إسماعيل ابن غير شرعي لإبراهيم ، فهذه سارة امرأة إبراهيم أيقنت أنها لن تنجب لإبراهيم نسلًا ، فآثرت أن تزوجه بهاجر : « **ادخل على جاريتي لعلّي أرزق منها بنين ، فسمع أبرام لقول ساراي** » (التكوين ١٦ : ١-٤) ، «**فولدت هاجر لأبرام ابنًا . ودعا أبرام اسم ابنه الّذي ولدته هاجر إسماعيل** » (التكوين ١٦ : ١٥-١٦) .

ثم كيف يدعي المؤمنون بالكتاب المقدس أن الله أمر إبراهيم بذبح إسحاق ، وقد وعده الله أن يريه ذرية ونسلًا من إسحاق ، وهو لم يولد بعد ، فإبراهيم يعلم أن ابنه إسحاق لن يموت ولن يذبح ، لأنه سيكبر ، وستكون له ذرية كما وعده الله « **في كلّ ما تقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنّه بإسحاق يدعى لك نسلٌ** » (التكوين ٢١: ١٢-١٣) .

وهكذا، فقوله : « **خذ ابنك وحيدك** » حق ، وكلمة « **إسحاق** » زيادة ولبسٌ للحق بالباطل ، ويشهد لقولنا بالتبديل قوله : « **لم تمسك ابنك وحيدك عني** » (التكوين ٢٢ : ١٢، ١٦) ، ولم يذكر فيه اسم إسحاق .

تحريف المترجمين :

ولمترجمي الكتاب المقدس نصيبهم من التحريف الذي أضحى سمة لكل أولئك المؤتمنين على الكتاب المقدس ، حيث يتلاعب هؤلاء بالنصوص ، وهم يقومون بترجمتها ، من صور هذا النوع من التحريف الصور التي نعرضها والتي توضح مقدار الحرية التي تعامل بها المترجمون مع النصوص التوراتية ، إذ النص العربي يذكر اشتقاقات عربية لا يصح أن تكون في كتاب أصل لغته العبرية . ومن ذلك:

* يقول سفر التكوين : « **وولدت له قايين ، وقالت : اقتنيت رجلًا من عند الرب**» (التكوين ٤: ١) ، فكلمة « **قايين** » كما في قاموس الكتاب المقدس معناها : «حداد»[١]، فالمناسبة معدومة بين الاقتناء أو الشراء ، واسم قايين الذي يعني : حداد.

* ومثله قوله : « **دعي اسمها بابل ، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض** » (التكوين ١١ : ٩) . وكلمة بابل في اللغة الآكادية « باب ايلو » بمعنى : « باب الرب »

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٧١٠) .

كما في قاموس الكتاب المقدس(١) ، وعليه فليس من مناسبة بين اسم بابل والبلبلة التي تذكرها التوراة ، فالمناسبة التي يزعمها الكاتب غير متحققة .

وهنا يسعفنا الأب سهيل قاشا بسبب هذا التحريف لمعنى كلمة (بابل) من «باب الله» إلى (البلبلة): «هل كان البابليون منتشرين بكل الأرض وهل كانوا يملكونها أم أن الكاتب التوراتي حقد على بابل وسكانها، لم يرغب أن يسميها «بيت الإله» أو «باب الله»، بل جعلها مركز بلبلة الألسنة»(٢).

* ومثله حاول كاتب سفر الخروج إيجاد علاقة بين اسم موسى وانتشال ابنة فرعون له من الماء ، فقال : « **ولما كبر الولد جاءت به** [أخته] **إلى ابنة فرعون فصار لها ابنًا ، ودعت اسمه : موسى . وقالت : إني انتشلته من الماء** » (الخروج ٢: ١٠) ، فزعم أن المرأة المصرية ـ التي لا تعرف العبرانية ـ سمته بموسى ؛ لأنها انتشلته من الماء ، وأنها اشتقت اسمه من الكلمة العبرانية (مشا) أي (انتشل) .

وهذا الزعم بعبرانية اسم موسى يتشكك به الآباء اليسوعيون في تعليقهم على النص ، إذ يقولون : « إن ابنة فرعون لا تتكلم العبرية ، في الواقع هذا اسم مصري يعرف بصيغته المختصرة: موزس » (٣)، ومعناه : ولد أو ابن .

وأما محققو الترجمة العربية المشتركة فيعلقون : « موسى : اسم من أصل مصري ، ولكن الكاتب وجد له اشتقاقًا خاصًا به »(٤) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) بابل والتوراة، الأب سهيل قاشا، ص (٦٦).

(٣) حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (١٥٥).

(٤) حاشية نسخة الترجمة العربية المشتركة (١/ ٦٩).

* ومن صور التحريف الهامة ما صنعه المترجمون المسيحيون للمزمور الثاني ، حيث اكتشفوا أن بإمكانهم استيلاد نبوءة عن المسيح بتكلفة لا تتجاوز زيادة كلمتين ، فالنص الماسوري العبري للمزمور الثاني يقول: «**واهتفوا برعدة لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق**» (المزمور ٢: ١٢)، فأضافوا عليه: (**قبِّلوا الابن**)، أي المسيح ، فأضحى النص في النسخة المسيحية: «**واهتفوا برعدة، قبّلوا الابن لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق** ».

وهذا اللفظ «**قبِّلوا الابن**» ورد في ترجمة سريانية، «وأما السبعينية وكذلك الترجوم فقد ترجمها: (**اقبلوا التعليم**)، وأما ترجمة سيماخوس وجيروم فوضحتها هكذا: (**اعبدوا بنقاوة**)، وكذلك ترجمة أكويلا : (**قبلوا باختياركم**) .. ولكن جيروم في ترجمته اقتنع بأنها : (**اعبدوا الابن**)، ولكنه عاد فحذفها لتشككه، وجعلها: (**اعبدوا بنقاوة**)، ولكن من الأسهل أن نجعلها: (**قبِّلوا الابن**)»[(١)]، وهكذا صارت القراءة الأسهل جزءًا من وحي الله، لأنها تجعل من هذا المزمور نبوءة عن المسيح، بينما تحرمنا القراءات الأخرى من هذه النبوءة.

* وأعاد مترجمو الكتاب المقدس هذا النوع من التحريف الذي يستولد النبوءات بقليل من التغيير والتبديل في المزمور الثاني والعشرين ، فقد غيَّروا حرفًا واحدًا ، فاستولدوا من رحِم التبديل نبوءة مزعومة عن المسيح الذي مات على

(١) المزامير، الأب متى المسكين (٢/ ٢٨)، وترجمتا اكويلا وسيماخوس ترجمتان العهد القديم إلى اليونانية، أنجزهما يهودي يدعى أكويلا عام ١٢٦م، ومسيحي أبيوني (هرطوقي) اسمه سيماخوس (ق ٢)، وقد أثبتهما العلامة أوريجانوس في نسخته «الهكسابلا» أي «السداسية» التي وصلنا منها شذرات فقط.

الصليب وقد ثقبت يداه ورجلاه ، يقول المزمور : « **لأنه قد أحاطت بي كلاب ، جماعة من الأشرار اكتنفتني ، ثقبوا يديّ ورجليّ** » (المزمور ٢٢: ١٦) ، وليس في النص العبراني كلمة : (כָּאֲרוּ) ثقبوا ، التي تنطق (كأرو) ، بل يستخدم كلمة (כָּאֲרִי) (كأري) التي تعني كأسد ، والنص بتمامه : « כִּי סְבָבוּנִי כְּלָבִים : עֲדַת מְרֵעִים הִקִּיפוּנִי؛ כָּאֲרִי יָדַי וְרַגְלָי » .

وقد اعترفت نسخة الرهبانية اليسوعية بالتحريف ، وذكرت أن النص المحرف « بحسب الترجمة اللاتينية الشائعة ، والكلمة العبرية تعني : (كالأسد) ، وهي غامضة»[١]، وهكذا فلغموض كلمة الأسد تلاعبوا بالنص وحوروه إلى: « **ثقبوا يديّ ورجليّ** » .

❊ ومن صور تحريف المترجمين ما يقع بسبب الاشتراك اللفظي للكلمة التي تحتمل معان متغايرة، ومن ذلك كلمة (ברך)، وهي في الأعم الغالب تستخدم بمعنى «البركة»، وقد تستخدم بضدها «اللعنة» ، وحيث وردت هذه الكلمة في سفر أيوب حين قالت له زوجته بعد ما أصابه القرح : « **أنت متمسك بعدُ بكمالك ، بارك (ברך) الله ومُت** » (أيوب ٢: ٩) ، واجتهدت معظم التراجم العربية والأجنبية، وترجمتها إلى معناها الضد مستدلة بالسياق ، فأضحى النص في الرهبانية اليسوعية: «**جدِّف على الله ومُت**»، ومن المعلوم أن التجديف والبركة نقيضان، ويبقى السؤال يطارد المترجمين : هل طالبت زوجة أيوب زوجها بالتجديف على الله أم طلب البركة منه ، أيهما أراده الروح القدس ؟.

❊ ومن تلاعب المترجمين في النص التوراتي ما وقع لقول نبي الله أيوب ، فقد

---

(١) حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (١١٤٣).

قال: « **وبعد أن يفنى جلدي هذا ، وبدون جسدي أرى الله** » (أيوب ١٩: ٢٦) ، فالنص يتحدث عن فناء جلد أيوب ، وأنه سيرى الله ، لكن لا بجسده ، وهذه المعاني تغاير تمامًا ما جاء في نسخ عربية وعالمية كثيرة (اليسوعية، المشتركة، السارة ..) تقول: « **وبعد أن تلبس هذه الأعضاء بجلدي ، ومن جسدي أعاين الله** » ، فهذه النسخ ترى خطأً في الأصل العبراني يستحق التصحيح، فالجلد لن يفنى، بل سيلبس الأعضاء، وهو سيعاين الله ويراه بجسده ، وهكذا فالنسخ متناقضة بسبب تدخل المترجمين ، فأيهما هو كلمة الله ؟

* ويتحدث النص التوراتي عن القرية البائسة ؛ قرية بيت شمس الذين رأوا تابوت الرب ، فعاقبهم بقتل ما يربو على خمسين ألف من أهل تلك القرية البائسة ، كما يذكر ذلك النص العبراني الماسوري ، حين يقول : « **ضرب أهل بيتمش ، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وضَرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلًا ، فناح الشعب، لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة** » (١ صموئيل ٦: ١٩).

لكن هذا الرقم الكبير للقتلى أقضّ مضاجع مترجمي النص ، وجرح مشاعرهم، فأعادوا الحياة إلى خمسين ألف من القتلى حين نقصوهم إلى سبعين شخصًا فقط ، حيث يقول نص نسخة الرهبانية اليسوعية : «**وضرب الرب أهل بيت شمس ، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وقَتل من الشعب سبعين رجلًا ، وكانوا خمسين ألف رجل ، فناح الشعب ، لأن الرب ضرب هذا الشعب هذه الضربة العظيمة ..** » (١ ملوك ٦: ١٩)، ومثله فعلت الترجمة العربية المشتركة، وهي نص نقدي، فقد جعلت القتلى سبعين ، حذفت من النص أي ذكر للخمسين ألف، فقالت : « **وضرب الرب أهل بيت شمس ، لأنهم نظروا إلى تابوت العهد ، فمات منهم سبعون رجلًا ، فناحوا لهذه الضربة**».

* ويتحدث النص التوراتي في سفر صموئيل عن ألقانة بن يروحام الأفرايمي ، وعما أعطاه لزوجتيه حنّة وفننّة من الأنصبة ، فيقول : « **وأما حنّة فأعطاها نصيب اثنين، لأنه كان يحب حنّة** » (١ صموئيل ١ : ٥) ، ولكن المترجمين اكتشفوا في النص خطأ فأصلحوه، فأضحى في الترجمة العربية المشتركة: « **وأما حنّة فيعطيها حصة واحدة ، مع أنه كان يحبها** » .

* وتحدثت التوراة في سفر الخروج في الحديث عن ابن واحد لموسى من زوجته صفورة المديانية ، وهو جرشوم ابن موسى «**فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم لأنه قال: كنت نزيلاً في أرض غريبة**» (الخروج ٢: ٢٢)، ولما كان النص التوراتي يتحدث في (الخروج ١٨: ٤) عن ابن آخر لموسى من زوجته المديانية، فقد رأت بعض النسخ العربية والأجنبية إضافة الحديث عن هذا الابن الثاني في (الخروج ٢: ٢٢)، فصار النص في النسخة الكاثوليكية التي تصدرها دار الكتاب المقدس للشرق الأوسط: «**وولدت أيضًا غلامًا ثانيًا ، ودعا اسمه العازر ، فقال : من أجل أن إله أبي أعانني وخلصني من يد فرعون** » ، ففي هذه الزيادة استدراك لما فات النص التوراتي أن يذكره.

* وحين ذكر النص التوراتي كالب بن حصرون فإن النسخ الحديثة تاهت في تحديد علاقته مع يريعوث، ففي حين أن النصوص العبرية ذكرت «**كالب بن حصرون ولد من عزوبة امرأته ومن يريعوث**» (١ أخبار ٢: ١٨)، فعزوبة ويريعوث زوجتان لكالب، وهي معلومة لم تعجب طابعي الكتاب المقدس ومترجميه، فالآباء اليسوعيون في نسخة الرهبانية اليسوعية والترجمة العربية المشتركة جعلوا «يريعوث» ابنة لكالب، أنجبها من زوجته «عزوبة»: «**وكالب بن حصرون ولد من عزوبة امرأته ابنة اسمها يريعوث**».

وتعترف دائرة المعارف الكتابية بوقوع الفوضى في موضوع «يريعوث»، وترى «أنه

في الحقيقة نص غامض، مما أدى إلى تعدد الآراء»، وتقترح للخلوص من هذه الفوضى تغيير حرف «الواو» في قوله: «**ومن يريعوث**» إلى (أو من يريعوث)، وهذا «يجعل يريعوث اسمًا آخر لعزوبة»[١]، وهكذا يغدو التحريف الحلَ الوحيد لهذه المعضلة الكتابية.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن «جيروم يذكر في ترجمته اللاتينية «الفولجاتا» أن الاسم هو اسم ابن كالب من زوجته عزوبة»[٢].

* وتحدث سفر أيوب عن المساكين الذين يجأرون بالشكوى إلى الله ، فهم: «**من الوجع أناس يئنون، ونفس الجرحى تستغيث، والله لا ينتبه إلى الظلم** » (أيوب ٢٤ : ١٢)، وكلمة « **الظلم** » بدت لطابعي الكتاب المقدس ومترجميه خطأً ولا ريب، فغيَّرتها الترجمة السريانية إلى «**الصلاة** » ، واعتمدت هذه اللفظة « **الصلاة** » نسخة الرهبانية اليسوعية ، والعربية المشتركة، والأخبار السارة ، فالنص فيها جميعًا: « **والله لا يلتفت إلى الصلاة** »، أي: الله لا يستجيب لدعوات هؤلاء الداعين.

ونبه الآباء اليسوعيون في حاشية نسختهم إلى اعتمادهم الكلمة بحسب النص السرياني ، وذكروا أن الكلمة العبرانية المستخدمة هي « **الحماقة** »[٣]، فأي هذه الكلمات أوحاها الله (الصلاة أو الظلم أو الحماقة)؟

* وحين ترنم كاتب المزمور (١٠٢) ، قال : « **اليوم كله عيّرني أعدائي ، الحنقون عليّ حلفوا عليّ** » (المزمور ١٠٢ : ٩) ، ولكن نسخة الرهبانية اليسوعية

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (٨/ ٢٦١).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٦١).

(٣) انظر: حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (١٠٨٢).

وأمثالها لم يرُق لهم قوله: « **حلفوا علي** » فكتبوا بدلاً عنها : « **يلعنونني** » ، وأشاروا إلى أنهم يتابعون الترجمة السريانية التي تقول: « **الذين كانوا يمدحونني** »(١)، فأي هذه المعاني المتنافرة (الحلف، اللعن، المدح) هو كلمة الله ؟ وهل أعداء المترنم حلفوا عليه أم لعنوه أم مدحوه ؟

* وطلب موسى من الله أن يردف معه أخاه هارون نبيًا ، ويعرض النص التوراتي الطلب بطريقة فجة مجافي للأدب ، فقد قال له موسى : « **استمع أيها السيد ، أرسل بيد من ترسل، فحمي غضب الرب على موسى** » (الخروج ٤: ١٣-١٤) ، لكن المترجمين أزعجهم فجاجة النص، فعملوا على تلطيفه ، فغدا في عدد من النسخ العربية والأجنبية، ومنها الرهبانية اليسوعية : « **رحماك يا رب ، ابعث من أنت باعثه** » ، وهذا الأدب الجم الذي ذكروه لم يمنع من حلول السخط على موسى ، إذ يكمل النص : « **فاتقد غضب الرب على موسى** » من غير أن يظهر لقارئ نسختهم سبب يبرر هذا الغضب.

الكتب تتهم بني إسرائيل بالتحريف :

ثم ها هي أسفار العهد القديم تتهم القوم بتحريف التوراة ، فحين كان بنو إسرائيل في بابل بدأ عزرا الكاتب في كتابة الأسفار الضائعة ، والتي غابت عن بني إسرائيل طويلًا ، لكن النبي إرميا ، ـ وهو أحد أعظم أنبياء ما قبل السبي ـ نعى كثيرًا على أولئك الأنبياء الكذبة الذين سُبوا إلى بابل ، وأخبر بانحرافهم وكذبهم على الله فيما ينسبونه إلى وحي الله ، وقد وقع ذلك منه في نصوص عديدة:

---

(١) انظر : المصدر السابق، ص (١٢٥٢).

* منها قوله : « **قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبؤوا باسمي بالكذب قـائلين : حلُمتُ ، حلُمتُ** » (إرميا ٢٣: ٢٥) .

* ويقول : « **كيف تقولون : نحن حكماء ، شريعة الرب معنا حقًا ، إنه إلى الكذب ، حوَّلها قلم الكتبة الكاذب** » (إرميا ٨: ٨) ، فقد حرفت كلمة الله بيد الكتبة الكذبة .

* ويؤكد وقوع التحريف ، ويتهدد بالعقوبة أولئك الذين مازالوا يتحدثون عن كلام الرب الذي حرفوه ، فيقول : « **وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلًا : ما وحي الرب ؟ فقل لهم : أي وحي ؟ إني أرفضكم هو قول الرب ، فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول : وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته . هكذا تقولون ، الرجل لصاحبه ، والرجل لأخيه ، بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب : أما وحي الرب فلا تذكروه بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه ، إذ قد حرّفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا** » (إرمياء ٢٣: ٣٣-٣٦) .

* وقد وقع التحريف في سفره « **فأخذ إرمياء درجًا آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار، وزيد عليه أيضًا كلام كثير مثله** » (إرميا ٣٦: ٣٢) ، ولم يذكر السفر من الذي زاد على قول إرمياء النبي .

* كما تحدث إرميا عن أولئك الذين يدعون النبوة ، والرب لم يرسلهم : « **قال رب الجنود إله إسرائيل : لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ، ولا تسمعوا لأحلامهم التي يتحلمونها ، لأنهم يتنبؤون لكم باسمي الكذب ، أنا لم أرسلهم يقول الرب** » (إرميا ٢٩ : ٨-٩) .

* ويواصل إرميا الحديث عن أولئك الذين رآهم يكتبون الكتب وينسبونها إلى

الله ، فيقول : « **وصار في الأرض دَهَش وقشعريرة ، الأنبياء يتنبؤون بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم ، وشعبي هكذا أحب** » (إرميا ٥: ٣٠-٣١) . لقد تمالأ الجميع على هذا التحريف ، الأنبياء الكذبة والكهنة والشعب اليهودي .

❊ ويقول النبي إشعيا : « **ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ، فتصير أعمالهم في الظلمة ، ويقولون : من يبصرنا ، ومن يعرفنا ؟ ياالتحريفكم** » (إشعيا ٢٩: ١٥-١٦) .

❊ وفي حزقيال نقرأ: « **القائلون : وحي الرب . والرب لم يرسلهم .. وتكلمتم بعرافة كاذبة قائلين : وحي الرب ، وأنا لم أتكلم** » (حزقيال ١٣ : ٦-٧) .

وهكذا تعرض التوراة نوعين من التحريف : تحريف الكتبة الذين يدعون الوحي، وتحريف بني إسرائيل وهم يحرفون كلام الله الذي جاء على لسان أنبيائه .

❊ لقد حصل ما توقعه موسى عليه السلام حين قال : « **خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم . . لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق** » (التثنية ٣١: ٢٤-٢٩) .

اعترافات بوقوع التحريف :

لم يكن اتهام اليهود بتحريف كتابهم اختراعًا إسلاميًا، بل سبق إليه علماء المسيحية وغيرهم.

❊ فالقديس يوستينوس (ت ١٦٥م) اتهم اليهود بتحريف كتابهم المقدس، ولما كتب محاوره اليهودي تريفون مستنكرًا: «الله وحده يعلم ما إذا كان معلمونا قد حذفوا أجزاء من الكتاب المقدس كما تقول أم لا، ولكن هذا القول يبدو غير معقول»، حينها ذكَّره يوستينوس بقبائح أخرى غير معقولة صنعها اليهود: « يبدو بالفعل غير معقول،

لأنه عمل يفوق في شناعته إقامة العجل الذهبي الذي صنعوه .. كما يفوق في بشاعته تقديم أطفالهم ذبائح للشياطين أو ذبح الأنبياء، ويبدو أنك لم تسمع حتى عن الكتب المقدسة التي قمتم ببترها»(١).

ومضى يوستينوس يذكر له صورًا من التحريف ، فقال: «لقد حذفوا هذا الجزء من الفقرات التي يتحدث عنها عزرا عن قانون الفصح: (وقال عزرا للشعب: هذا الفصح هو مخلصنا وملجأنا، وإذا فهمتم ودخل هذا قلبكم أننا سوف نهينه على الصليب، وبعد ذلك نضع رجاءنا فيه، فإن هذا المكان يترك إلى الدهر، يقول رب القوات، ولكن إن لم تؤمنوا به ولم تستمعوا لتعاليمه ستكونون سخرية الأمم)»(٢).

وضرب له مثالاً آخر لتحريف اليهود، فقال: «وأيضًا حذفوا هذه الكلمات من سفر إرميا : (الرب الإله تذكر موتاه من بني إسرائيل الراقدين في القبور ، ونزل إليهم ليبشرهم بخلاصه)»(٣).

ومن أمثلة التحريف التي ذكرها يوستينوس قوله: «وفي المزمور ٩٥ تم حذف عبارة (على خشبة)، في حين أن النص يقول: (قولوا بين الأمم: الرب قد ملك على خشبة)، فقد تركوا فقط: (قولوا بين الأمم: الرب قد ملك) (٩٦: ١٠)»(٤).

كما أطلعنا يوستينوس على صور أخرى من تحريف العهد القديم حين استشهد بنصوص مقدسة لا نجد لها أثرًا فيه، منها قوله: «عندما يقول النبي: (في زمن

---

(١) حوار مع تريفون، يوستينوس، النصوص المسيحية في العصور الأولى ، ص (٢٣٤).
(٢) المصدر السابق ، ص (٢٣٢).
(٣) المصدر السابق ، ص (٢٣٢).
(٤) المصدر السابق ، ص (٢٣٢).

نوح أنا خلصتك)»[١]، فهذه العبارة لم يسجلها أي من أسفار العهد القديم.

ومثله قوله: «وعن قيامته يقول إشعيا: في دفنه يرفع من الوسط، وأيضًا: سأجازي الأغنياء عند موته»[٢]، وهما نصان مفقودان من سفر إشعيا ، وإنْ كان الأخير منهما يشبه ولا يشبه قول إشعيا: «**وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته** » (إشعيا ٥٣ : ٩).

* ومن بعد يوستينوس تنبه العلامة أوريجانوس إلى ما صنعه مترجمو الكتاب إلى اليونانية في مطلع سفر إرميا، حين قال: «لو نظرنا إلى بداية نبوة إرميا بحسب ما جاء في الترجمة السبعينية ، فإنني لا أدري لماذا كُتب: (كلام الرب الذي جاء إلى إرميا بن حلقيا، أحد الكهنة)، بينما مكتوب في الترجمة العبرية وجميع الطبعات الأخرى] هكذا [: (كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة)»[٣]، فالتساؤل الذي أثاره أوريجانوس بلطف: «فإنني لا أدري لماذا كُتب؟!»؛ جوابه: إنه التحريف والتلاعب بالنص يا أوريجانوس .

كان هذا بعضًا مما نبهنا على تحريفه الآباء في القديم.

* وأما في الحديث فيعترف كبار المراجع النصرانية بوقوع التحريف والزيادة المستمرة حيث تقول لجنة الكتاب المقدس البابوية في مدخلها سنة ١٩٤٨م : « يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية».

---

(١) المصدر السابق ، ص (٣١٦).

(٢) المصدر السابق ، ص (٢٦٤).

(٣) عظات على سفر إرمياء، أوريجانوس، (العظة ٢٠، الفقرة ٥).

* ويقول حبيب سعيد: «ولا خير في إخفاء الحقائق الواضحة، والحق هو الحق، ولا فائدة من إخفائه أو تجاهله .. إذا وجد هنا او هناك فارق في لفظة أو مقطع فليس الأمر ذي بال .. وقد ترك جل جلاله ألفاظ الكتاب المقدس لتكون عرضة إلى حد ما للمخاطر التي يتعرض لها أي كتاب آخر تكتبه يد البشر»، لأن المقصود «ليس عبادة الحرف والنص، بل طاعة القدير وإدراك الروح في وحي العلي .. وفوق كل شيء إعلان ذاته في يسوع المسيح ربنا ومخلصنا»[١].

* وكذلك نستذكر ما قاله الفيلسوف اليهودي الشهير باروخ اسبينوزا عن تحريف الأسفار التوراتية ، حيث يقول : « لا يسلِّم معظم المفسرين بوقوع أي تحريف في النص ، حتى في الأجزاء الأخرى ، ويقررون أن الله بعناية فريدة قد حفظ التوراة كلها من أي ضياع .. لقد قلتُ فعلا: إن كلام الله مزيف ومنقوص ومحرف، وأننا لا نملك منه إلا شذرات»[٢].

ويواصل بنبرة متحدية: «وعلى المرء في أثناء محاولته تفسير الروايات والتوفيق أن يراعي العبارات والأساليب ، وطرق الوصل في الكلام ، ويشرحها بحيث نستطيع طبقاً لهذا الشرح أن نقلدها في كتاباتنا ، ولسوف أنحني مقدماً في خشوع لمن يستطيع القيام بهذه المهمة ، وإني على استعداد لأن أشبهه (بأبوللو) نفسه ، على أني أعترف بأني لم أستطع أن أجد من يقوم بهذه المحاولة ، على الرغم من طول بحثي عنه .. ومع أني مشبع منذ طفولتي بالآراء الشائعة عن الكتاب المقدس ، فقد كان من المستحيل أن لا أنتهي إلى ما انتهيت إليه . وعلى أية حال فليس هناك ما يدعونا إلى أن نعطل القارئ هنا مدة طويلة،

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٤٨).

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ص (٢٨٩ ، ٣٢٧).

وأن نعرض عليه في صورة تحد أن يقوم بمحاولة ميئوس منها»[١].

وأمام مطارق العلم والبرهان التي تثبت وقوع التحريف لم يبق من حجة يستمسك بها المؤمنون إلا التدليس والكذب، وهذا ما صنعه الروسي الحائز على جائزة نوبل في الآداب إيفان بانين (ت ١٩٥٣م)، فقد كتب عام ١٩٤٢م مقالات في صحيفة أمريكية عن سر الرقم ٧ في التوراة والإنجيل، وزعم أن دراساته التي استمرت أربعين سنة قد أثبتت استحالة وقوع التحريف في الكتاب المقدس بسبب الشفرة العددية التي لا تغيب عن جملة من جمله، فهو: «مكتوب على قاعدة نظام حسابي هندسي بديع بحبث لا يستطيع علماء البشر وفلاسفتهم أن يكتبوه من أنفسهم مهما أجهدوها .. جميع كلماته وحروفه تنقسم إلى سبعات .. من أوله إلى آخره .. هنا لا يوجد مجال للتحريف على الإطلاق، لأن الكتاب بهذه الصورة لا يحتمل أن تزاد عليه (أ) واحدة أو تنقص منه .. هو السور الواقي، إنها الكيفية الحسابية التي منعت إمكانية قبول الكتاب لزيادة أو نقصان كلمة أو حرف .. هذا الاكتشاف أصبح الضربة القاضية على أقوال المنتقدين ممن يرفضون الكتاب المقدس أو ينكرون وحيه»[٢].

ولفهم هذا الإعجاز الهندسي نتأمل ما قاله بصدد الفقرة الأولى من سفر التكوين : «في البدء خلق الله السموات والأرض»، إذ هي في الأصل العبري مكونة من ٧ كلمات عبرية، وفيها من ٢٨ حرفًا ، أي ٧ ×٤ ، والكلمات الأساسية فيها: «الله» و«السماء» و«الأرض»، وعدد حروفها ١٤ أي ٧ ×٢ .

والكلمات الأولى التي فيها فعل وفاعل ومفعول مكونة أيضا من ١٤حرفًا ،

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٨٩).

(٢) مصادر الكتاب المقدس، صموئيل مشرقي، ص (١٣١-١٣٢).

والمفعولان معًا يتكون كل واحد منهما من ٧ أحرف .. والقيمة العددية بحساب الجمَّل للكلمات الثلاث الأساسية هي ٧٧٧ أي ٧ × ١١١ .

وأما الفعل الوحيد في الآية (خلق) فقيمته في حساب الجمل ٢٠٣ أي ٧ × ٢٩. والقيمة العددية للكلمات التي تحتل على التوالي بداية ووسط ونهاية الآية هي ١٣٣ أي ٧ × ١٩.

واليوم وبعد موت إيفان بستين سنة لم يعد أحد يحفل بترهاته ولا يصدق سباعياته إلا القس صموئيل مشرقي ، فقد أعاد لأسطورة إيفان الحياة بعد أن صارت من ركام الماضي الذي ذهب ولن يعود ، وقد سبقه إلى التعلق بها القس جبرة تواضروس في كتابه (بديع الحساب في تنزيل الكتاب)، وكارل سابييرز عام ١٩٧٧في كتابه (إكتشافات جديدة مذهلة)، وهذه الأسطورة الرقمية يبددها ماذكرناه وما لم نذكره في مواضع الخلاف والاختلاف في أصالة بعض الكلمات والجمل والأسفار، ويذكرنا هذا كله بالخزعبلات التي أشار إليها اسبينوزا: « أما اختلاف القراءات فهو في نظرهم علامة على أسرار في غاية العمق ، ويتناقشون بشأن النجوم الثمانية والعشرين الموجودة وسط إحدى الفقرات ، بل تبدو أشكال الحروف ذاتها وكأنها تحتوي على أسرار كبيرة ، ولست أدري إن كان ذلك ناجمًا عن اختلال العقل ، وعن نوع من تقوى العجائز المخرفين ، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث ، حتى نعتقد أنهم وحدهم هم الأمناء على أسرار الله ، ولكني أعلم فقط أني لم أجد مطلقًا أي شيء عليه سيما السر في كتبهم ، ولم أجد فيها إلا أعمالًا صبيانية »[1].



(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ص (٢٨٩).

تناقضات العهد القديم

التناسق الداخلي شرط لا يختلف العقلاء على لزوم اشتراطه في توثيق نسبة أي كتاب إلى الله ﷻ ، فالكتاب الذي يكذِّب بعضه بعضًا ، لا يمكن اعتباره كتابًا مقدسًا ، كما لا يمكن اعتبار بقيته مقدسًا ، إذ وجود الكذب في بعضه يطرح الشك في مصدره الكاذب .﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] .

ولوجود التناقضات في الكتاب المقدس دلالات كثيرة أهمها : أنه يثبت أن هذه الأسفار بشرية في مصدرها ، فقد وقع كُتّابها فيما يقع فيه البشر الضعفاء الذين يتوقع منهم الجهل، ولو كانت هذه الأسفار ملهمة من قبل الله لما خالف كُتابها بعضَهم فيما أوردوه من معلومات تاريخية وغيرها .

ووقوع الخطأ من أحد المتناقضين من كُتَّاب التوراة في قضايا بسيطة يسهل حفظها والتمكن منها يشير إلى إمكانية بل تحقق وقوع مثله في المسائل اللاهوتية والغيبية التي تحتاج إلى مزيد من العناية والتدقيق .

وهذه التناقضات التي نسوقها ، معظمها توصلنا إليه من خلال دراسة أجزاء تم إعادة كتابتها ثانية من قبل كتاب الأسفار ، ولو كتبت بقية الأجزاء ثانية لوقفنا على تناقضات تطال كل صفحة من صفحات هذا الكتاب الذي يدعي البعض أنه مقدس .

والتناقضات التوراتية كثيرة ، ومنها ما هو متعلق بأصول المعتقد ، ومنها ما هو متعلق بصفات الله ﷻ ، فالأسفار التوراتية تصف الله بالصفة ونقيضها .

* فتذكر التوراة أن الله « **إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيا**» (إشعيا ٤٠ : ٢٨) ، وهو حق ولا ريب ، لكنه يناقض ما ورد في مواضع أخرى

زعمت أن الله يحتاج للاستراحة التي لا غناء للمتعب عنها بعد طول العمل والعناء ، فبعد أن خلق الله السماوات والأرض تزعم الأسفار ـ كذبًا ـ أنه استراح ، فتقول : « **فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح** » (التكوين ٢ : ١) ، ونحوه في سفر الخروج « **في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفي اليوم السابع استراح وتنفّس** » (الخروج ٣١: ١٧)، وهذا التنفس الإلهي يشرحه القس منيس عبد النور بقوله: «معناها الحرفي يمكن أن يترجم: «الله قد تنفس بارتياح» كما يتنفس الإنسان عندما يفرغ من عمل شاق، وواضح أن هذا مجرد استعارة بديعة كما هي عادتنا نحن الشرقيين في التعبير عن الله بعبارات نستعملها في الكلام عن الناس»[١] .

* وتحدثنا التوراة عن الله العظيم العليم ، فتذكر أنه ليس كمثل البشر وضعفهم، فهو لا يندم ولا يكذب ، فتقول : « **ليس الله إنسانًا فيكذب ، ولا ابن إنسان فيندم ، هل يقول ولا يفعل ، أو يتكلم ولا يفي ؟** » (العدد ٢٣: ١٩) ، فالندم صفة الإنسان الجهول بعواقب الأمور « **نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم ، لأنه ليس إنسانًا ليندم** » (١ صموئيل ١٥: ٢٩) .

ولكن التوراة تناقض ذلك فتنسب إلى الله الندم على أمور صنعها ، ومن ذلك ندمه على اختيار شاول لملك بني إسرائيل ، حيث يقول : « **ندمت على أني جعلت شاول ملكًا ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي** » (١ صموئيل ١٥: ١٠) ، فهل الله يندم أم لا ؟ .

* وتذكر التوراة أن الله لا يرى « **حقًا أنت إله محتجب ، يا إله إسرائيل** » (إشعيا ٤٥: ١٥) ، والإنسان لا يقدر على رؤيته ، فقد قال الله لموسى : « **لا تقدر أن**

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، منيس عبد النور، ص (٩٤).

ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش » (الخروج ٣٣: ١٩-٢٠) .

لكن الأسفار التوراتية تذكر كثيرين رأوا الله ، منهم شيوخ بني إسرائيل « **لما صعد موسى وهارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل** » (الخروج ٢٤: ٩) ، ومنهم يعقوب فقد رآه حين صارعه « **فدعا يعقوب اسم المكان: (فينئيل) قائلًا : لأني نظرت الله وجهًا لوجه ، ونجيت نفسي** » (التكوين ٣٢: ٣٠) .

وقد يزعم البعض أن الذين رأوا الله رأوه حال تجسده ، ولم يروه على هيئته وفي صورة مجده ، ويرون أن المنفي رؤيته هو الله في مجده ، وهذا التفريق لا دليل عليه ، وتدحضه النصوص التي تحدثت عن أناس رأوا الله في صورة مجده .

فالنبي موسى طلب رؤية الله في مجده ، ويذكر سفر الخروج أنه رآه بالفعل ، لكنه لم ير وجهه « **فقال : أرني مجدك .. قال : لا تقدر أن ترى وجهي ، لأن الإنسان لا يراني ويعيش . وقال الرب : هوذا عندي مكان ، فتقف على الصخرة . ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة ، وأسترك بيدي حتى اجتاز . ثم ارفع يدي فتنظر ورائي ، وأما وجهي فلا يرى** » (الخروج ٣٣: ١٨-٢٣) فتفيد القصة أن وجه الله ، أي الحقيقي لا يرى ، ومن رآه يموت ، لكن جسده الحقيقي رُئي من قبل موسى ، فقد مر من أمام الصخرة فرآه .

* ومن تناقضات التوراة ترددها في وصف الله بالقدرة التامة تارة ، وبالعجز تارة أخرى ، فقد وصفه سفر طوبيا بما هو حق حين قال : « **لا إله قادر على كل شيء سواه** » (طوبيا ١٣: ٤) ، ومثله في (أيوب ٤٢: ٢) .

وهذا المعتقد الصحيح تنقضه التوراة في مواطن كثيرة ، نسبت إلى الله العجز كما مرّ معنا في تغلب يعقوب عليه في المصارعة (انظر : التكوين ٣٢: ٢٤-٣٢) ،

كما عجز عن طرد الكنعانيين الذين كانوا يمتلكون مركبات حديدية ، إذ تقول الأسفار: « **وكان الرب مع يهوذا ، فملك الجبل ، ولم يطرد سكان الوادي ، لأن لهم مركبات من حديد** » (القضاة ١ : ١٩) .

* وتتحدث التوراة عن رحمة الله وحلمه ، فتقول : « **الرب حنان رحوم بطيء عن الغضب ، وعظيم النعمة** » (المزمور ١٤٥ : ٨) ، ثم تنقضه حين تذكر ما حصل مع أهل بيت شمس الذين رأوا التابوت فقتلهم جميعًا ، وكانوا أكثر من خمسين ألف رجل « **وضرب الرب من أهل بيت شمس ، لأنهم رأوا تابوت الرب ، وضرب من الشعب سبعين رجلًا وخمسين ألف رجل** » (١ صموئيل ٦ : ١٩) فهل يستحق هذا الفعل هذه العقوبة ؟ والله حنان رحوم بطيء الغضب !

* ولهذا التابوت والعقوبات المتصلة به قصة أغرب وأعجب، فقد عزم داود على نقله في احتفال مهيب حضره ثلاثون ألفًا، ووضعه على الثيران «**وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك وبالصنوج**» (٢ صموئيل ٦: ٥)، وكانت الأمور تسير على ما يرام، وفجأة حصل ما لم يكن متوقعًا، فقد انفلتت الثيران التي تحمله، وكاد التابوت أن يهوي إلى الأرض، لولا أن البطل عزَّة أمسكه «**ولما انتهوا إلى بيدر ناخون مدّ عزّة يده إلى تابوت الله، وأمسكه لأن الثيران انشمصت**» (٢ صموئيل ٦: ٦)، ولا ريب أنه صنيع يستحق الشكر من الله والناس، لكن يفجأنا الكتاب – وما أكثر مفاجآته– بان الله قتل عزة ، وجعله نكالاً وعبرة لبني إسرائيل « **فحمي غضب الرب على عزّة ، وضربه الله هناك لأجل غفله، فمات هناك لدى تابوت الله**» (٢ صموئيل ٦ : ٧)، فما الذي فعله هذا المسكين ليغضب الرب عليه.. ثيران انجفلت وكادت توقع التابوت، وهو عالج الموقف وأنقذه!!

وليكتمل المشهد الدرامي أنقل لكم ما يقوله الشراح في تبرير العقوبة غير المبررة، وأبدأ بالأب منيس عبد النور الذي اعترف بنُبل صنيع عزة، لكن «وقع حكم الموت على عزة إنذارًا لشعب الله، حتى يحملوا تابوت الله بالطريقة الخاصة التي أمر الله بها في سفر العدد ٤: ١٥ -٢٠ .. ليس لديه عذر الجهل بالشريعة الخاصة بالتابوت»، وهنا المنطق يفترض أن تعاقب كل الجماعة وفي مقدمتهم الملك الذي أمر بنقل التابوت على كيفية يرفضها الله، وليس عزة فقط.

ولوجاهة هذا فإن الأب تادرس يعقوب ملطي- ويتابعه الدكتور منيس عبد النور – فيلخصه مقترحًا من كيسهما مبررًا آخر: «ولابد أن عزة كان قد اعتاد الدنو من التابوت منذ صغره، فكان يعامله بغير توقير» وهذا المبرر من تأليف المفسرَين فلا يوجد في الكتاب ما يدل عليه، ولو كان صحيحًا لكان ينبغي ان تقع عليه العقوبة حين أساء، وليس حين أحسن بالإمساك بالتابوت قبل وقوع.

لذا يقترح القس الدكتور منيس مبررًا ثالثًا: «وربما افتخر بجسارته لما مدَّ يده ليسند التابوت أمام الجماعة»، لقد استحق الموت لأنه انتشى بقوته وفرح بها، وكان ينبغي عليه أن يتواضع، ولم يشفع له عظيم فعله في إنقاذه من الموت الذي استحقه لفرحه وافتخاره بإنقاذ تابوت الرب من السقوط[(١)].

وأما محررو دائرة المعارف الكتابية، فيرون أن عزة استحق العقوبة «من أجل أنه مدَّ يده إلى التابوت ، فمات هناك أمام الله»[(٢)]، وكذلك قال المفسر دون فليمنج:

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، منيس عبد النور، ص (١٥٠-١٥١)، وانظر: تفسير سفر صموئيل الثاني، تادرس يعقوب ملطي، ص (٣٠).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٥/ ٢٥٤).

«مات شخص مدَّ يده، ولمس التابوت»[١].

وأما المفسر أنطونيوس فكري فيقول: «هناك أخطاء متعددة وضد الناموس فى حمل التابوت، فلقد منع الله اللاويين من لمس التابوت حتى لا يموتوا .. فالكل أخطأ ، داود والكهنة وعزة. والله الذي يعرف القلوب وجد أن أكثرهم خطأ هو عزة»[٢].

* وأيضًا تصف التوراة بصر الله ومعرفته بما يصنعه عباده ، فتقول : « **عينا الرب محيطتان بكل الأرض** » (٢ أخبار ١٦ : ٩) ، وتؤكده في سفر الأمثال « **عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين** » (الأمثال ١٥ : ٣) ، وتقول : « **الرب إله عليم**» (١ صموئيل ٢ : ٣) .

ولكن في سفر التكوين تنقضه ، فتجعله جاهلًا ببعض صنائع عباده ، إذ لما اختبأ آدم في الجنة بحث عنه الإله « **فدعا الربُ الإلهُ آدمَ وقال له : أين أنت ؟** » (التكوين ٣: ٩) ، ثم لم يعرف أن آدم أكل من الشجرة وصار عارفًا للخير من الشر ، وأنه قد أدرك سوءة العري ، فقال له : « **من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟** » (التكوين ٣: ١١) .

وكذا لما بدأ أهل بابل ببناء مدينتهم وبرجهم ، أراد الرب ـ تعالى عن ذلك ـ أن يعرف ماذا يصنعون « **فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذي كان يبتنيه بنو آدم .. وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه** » (التكوين ١١: ٥-٦) ، فكأنه خشي من

---

(١) التفسير المعاصر للكتاب المقدس، دون فليمنج، ص (١٦٤).

(٢) تفسير سفر صموئيل الثاني، أنطونيوس فكري، ص (١٩).

اجتماع بني آدم وما يمكن أن ينتج عنه ، فقال : « **هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، فكفّوا عن بنيان المدينة** » (التكوين ١١: ٧) .

* ومن التناقض أيضًا تناقض الأسفار في مسألة وراثة الذنب ، ففي سفر الخروج ذكر أن الرب « **مفتقد إثم الآباء في الأبناء ، وفي أبناء الأبناء ، في الجيل الثالث والرابع** » (الخروج ٣٤: ٧) فالأبناء يعاقبون بجريرة آبائهم . وفي سفر حزقيال كذب ذلك فقال : « **الابن لا يحمل من إثم أبيه ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون** » (حزقيال ١٨: ٢٠) .

* وفي سفر حزقيال ينعي الرب على بني إسرائيل أنهم تركوا شريعتهم وعملوا بشرائع الأمم المجاورة ، فيقول : « **أنا الرب الذي لم تسلكوا في فرائضه ، ولم تعملوا بأحكامه ، بل عملتم حسب أحكام الأمم الذين حولكم** » (حزقيال ١١: ١٢) ، ولكنه ينقضه السفر نفسه ، حين يذكر أنهم لم يعملوا بشرائع الله ولا بشرائع الأمم الذين حولهم ، فيقول : « **لم تسلكوا في فرائضي ، ولم تعملوا حسب أحكامي ، ولا عملتم حسب أحكام الأمم التي حواليكم** » (حزقيال ٥: ٧) ، فهل عملوا وفق أحكام الأمم المجاورة أم لم يعملوا ؟

* ومن التناقضات الغريبة ما ورد في آخر سفر صموئيل الأول وأول سفر صموئيل الثاني ، حيث يتحدث السفران عن نهايتين مختلفتين للملك شاول ، فيقول السفر الأول بموته منتحرًا بسيفه ، فقد جاء فيه : « **فقال شاول لحامل سلاحه : استل سيفك واطعنّي به ، لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني ، فلم يشأ حامل سلاحه، لأنه خاف جدًا ، فأخذ شاول السيف ، وسقط عليه ، ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول ، سقط هو أيضًا على سيفه ومات معه** » (١ صموئيل ٣١: ٤-٥) .

ولكن لو ألقى القارئ ببصره إلى الصفحة التالية فإنه واجد أن شاول مات بيد رجل من العماليق وأن داود قتله انتقامًا لشاول مسيح الرب ، حيث يقول السفر الثاني : « **فقال الغلام الذي أخبره : اتفق أني كنت في جبل جلبوع ، وإذا شاول يتوكأ على رمحه، وإذا بالمركبات والفرسان يشدّون وراءه ، فالتفت إلى ورائه ، فرآني ، ودعاني فقلت : ها أنذا ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت له : عماليقي أنا . فقال لي : قف عليّ واقتلني ، لأنه قد اعتراني الدوار ، لأن كل نفسي بعد فيّ . فوقفت عليه ، وقتلته ، لأني علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه ، وأخذت الإكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه ، وأتيت بهما إلى سيدي ههنا** » (٢ صموئيل ١ : ٦-١٠) ، فهل قتل شاول نفسه؟ أم قتله الرجل العماليقي ؟ وما سبب ورود الطريقتين معًا في الكتاب ؟

يجيب محققو الرهبانية اليسوعية : « تقليد آخر في موت شاول .. وهي مزيج من عناصر مختلفة »[١] .

* وأيًا كانت طريقة موت شاول فإن الله قتله نتيجة لأخطائه ، والتي منها أنه لجأ إلى العرّافة ولم يسأل الله « **فمات شاول بخيانته التي بها خان الرب ، من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه ، وأيضًا لأجل طلبه إلى الجان للسؤال ، ولم يسأل من الرب ، فأماته** » (١ أخبار ١٠ : ١٣)، فقد سأل الجان «**ولم يسأل من الرب**» .

لكن سفر صموئيل يبرئ ساحة شاول من أحد هذه الآثام ، فقد سأل شاولُ اللهَ قبل أن يلجأ للعرافة يقول السفر : « **فسأل شاول من الرب ، فلم يجبه الرب ، لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فقال شاول لعبيده : فتشوا لي على امرأة صاحبة جان** » (١ صموئيل ٢٨: ٦-٧) ، فأي السفرين يصدق القارئ الكريم ؟ هل سأل

---

(١) انظر هامش نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٥٧٧).

شاول الله أم لم يسأله قبل أن يسأل العرافة ؟

* وليس خبر موت شاول بأعجب من خبر موت جليات الجتي الفلسطيني ، فقد أماته الكتاب المقدس مرتين : أولاهما في أيام شاول على يد داود كما في سفر صموئيل الأول « **وفيما هو يكلمهم إذا برجل مبارز ، اسمه جليات الفلسطيني ، من جتّ صاعد من صفوف الفلسطينيين** » ثم يمضي السفر فيبين كيف قتله داود عليه السلام «**فركض داود ، ووقف على الفلسطيني ، وأخذ سيفه ، واخترطه من غمده ، وقتله ، وقطع به رأسه ، فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات ، هربوا** » (١ صموئيل ١٧ : ٢٣-٥١) .

أما سفر صموئيل الثاني فيذكر أن الذي قتل جليات هو ألحانان بن يعري ، وذلك زمن حكم داود « ثم كانت أيضًا حرب في جوب مع الفلسطينيين ، فألحانان بن يعري أرجيم البيت لحمي قتل جليات الجتّي » (٢ صموئيل ٢١: ١٩) ، فأيهما قَتل جليات ، داود أم ألحانان ؟

يحاول كاتب سفر أخبار الأيام حل هذه المعضلة ، فيقول : « **وكانت أيضًا حرب مع الفلسطينيين ، فقتل ألحانان بن ياعور لحمي أخا جليات الجتّي** » (١ أخبار ٢٠ : ٥) ، فالمقتول على يد داود هو جليات ، والمقتول على يد ألحانان هو أخوه ، وما جاء في صموئيل الثاني خطأ غير مقصود ، وسببه كما نقل القس صموئيل عن بعض العلماء أنه « حدث هذا الخلط عند إعادة كتابة سفر صموئيل للتشابه في العبرية بين كلمة (אֵת) ، وهي أداة المفعول به ، والكلمة (אֲחִי) التي تعني أخا ، وبهذا يكون الحانان قتل أخا جليات الفلسطيني الذي قتله داود »[1] ، وهو رأي استحسنته الترجمة

(١) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف (١٦٥).

العربية المشتركة، فكتبت: «**فقتل ألحانان بن ياعور لحمي أخا جليات الجتي**»، فصححوا الخطأ ، وانتهت عندهم المشكلة.

لكن علماء الكتاب المقدس لن يرضيهم مثل هذا الحل على بساطته ، فلجؤوا إلى حلول متناقضة زادت المسالة تعقيدًا ، تنقلها إلينا موسوعة دائرة المعارف الكتابية، فتقول : « وهناك جملة افتراضات لحل هذه المسألة :

- افتراض وجود جبارين باسم جليات ، أحدهما قتله داود ، والثاني قتله ألحانان .
- أو افتراض أن « **جليات** » كان لقبًا لطائفة من الجبابرة .
- الزعم بأن كلمة « **أخ** » سقطت من سفر صموئيل .
- الزعم بأن كاتب سفر الأخبار أضاف كلمة « **أخ** » لحل المشكلة .
- يزعم ايوالد وكنيدي أن القصة كانت أصلًا عن ألحانان ، ثم نسبت إلى داود ، أما من قتله داود فجبار مجهول الاسم [وإليه يميل محققو الرهبانية اليسوعية ، وأن اسم جوليات قد أضيف على سفر صموئيل] .
- ذكر جيروم والترجوم العبري ـ بناء على تقليد قديم ـ أن داود وألحانان اسمان لشخص واحد »[1].

وهكذا تختلف الحلول وتتضارب ، إلا أنها ـ على كل حال ـ تتفق في الشهادة على أن هذا التناقض ليس من كلام الله .

وقبل أن نغادر خبر مقتل جليات ، فإنه يلزمنا أن ننبه إلى خطأ تاريخي وقع به كاتب سفر صموئيل حين قال : « **أخذ داود رأس الفلسطيني ، وأتى به إلى أورشليم ،**

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٣٦٦).

ووضع أدواته في خيمته » (١ صموئيل ١٧: ٥٤) ، إذ أن أورشليم لم تكن من مدن اليهود زمن قتل جليات ، وقد كان الملك شاول حينذاك مقيمًا في جبعة شاول (انظر ١ صموئيل ١٤: ٢) ، ثم افتتح داود أورشليم في السنة الثامنة من ملكه ، وجعلها عاصمة لملكه (انظر ٢ صموئيل ٥: ٥-٧) ، وهكذا فإن من الخطأ البيِّن ذكر السفر ذهاب داود إلى أورشليم عاصمة اليبوسيين حينذاك ، وقد أقر بهذا الغلط الآباء اليسوعيون فقالوا : « هذه الآية إضافة ، إذ لم تفتح أورشليم إلا في وقت لاحق »[1].

* وتناقض الكتاب في مسألة قتل شاول وجليات لن يكون أشد غرابة مما جاء به سفر الأمثال ، إذ يوصي في فقرة واحدة بوصيتين متناقضتين ، في أولاهما يدعو لعدم مقابلة الجاهل حسب حماقته ، ثم يعود ليدعو إلى مقابلة الجاهل حسب حماقته ، ليترك للقارئ دهشًا لا يدري بأي الوصيتين يعمل ، يقول السفر : « **لا تجاوب الجاهل حسب حماقته ، لئلا تعدله أنت ، جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيمًا في عيني نفسه** » (الأمثال ٢٦: ٤-٥) ، فكيف يقابل أولئك الذين يهتدون بهدي الكتاب حماقة الجاهل ؟

* ومن التناقضات التي وقع فيها كُتَّاب التوراة أنه جاء في سفر الملوك أن الله وعد داود فقال : « **ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد** » (١ ملوك ٢: ٣٣).

لكنا نقرأ في سفر صموئيل ما ينقض ذلك تمامًا ، فقد قال له الله : « **والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ، لأنك احتقرتني ، وأخذت امرأة أوريا الحثي** » (٢ صموئيل ١٢: ١٠) ، فهل وُعِد بالسيف الأبدي أم بالسلام الأبدي ، فالسيف والسلام ضدان لا يجتمعان .

---

(١) حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (٥٥٥).

❋ ومن التناقضات أنه جاء في سفر التكوين في الأصحاح السادس أن البهائم التي نجت مع نوح اثنين اثنين ، من كل ما يدب على الأرض « **فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك . ومن كل حيّ من كل ذي جسد اثنين ، من كلّ تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك ، تكون ذكرًا وأنثى ، من الطيور كأجناسها ، ومن البهائم كأجناسها ، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها .اثنين من كلّ تدخل إليك لاستبقائها** » (التكوين ٦: ٢٠-٢١) .

ثم نقض ذلك في الأصحاح السابع فقال : « **وقال الرب لنوح : ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك .. من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ، ذكرًا وأنثى .. ومن طيور السماء أيضًا سبعة سبعة ذكرًا وأنثى ، لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض** » (التكوين ٧: ٢-٣) ، فما هو الذي أمر بحمله نوح من طيور السماء ، هل أمر بحمل زوجين ، أم سبع أزواج ؟ !

ومن تناقضات العهد القديم التناقض في وصف أشياء محسوسة محددة ، أو أخبار تاريخية معينة ذكرت في أكثر من موضع في أسفار التوراة ، ولم يتنبه الكتبة الملهمون إلى تناقضهم مع نصوص سابقة :

❋ ومنه أنه جاء في سفر أخبار الأيام وصف دقيق للمذبح النحاسي الذي صنعه سليمان ، ومما جاء في وصفه أنه « **يسع ثلاثة آلاف بث** » (٢ أخبار ٤ : ٥) .

وكان سفر الملوك قد أورد وصفًا دقيقًا للمذبح يتطابق مع ما جاء في سفر أخبار الأيام غير أن سعة المذبح تختلف بنسبة ٣٣٪ إذ جاء فيه « **يسع ألفي بث** » (١ ملوك ٧: ٢٦)، فهل نسي الروح القدس ما كان أملاه أم ماذا سبب هذا التفاوت بين الرقمين؟

❋ ويذكر سفر الملوك أن لسليمان أربعين ألف إصطبل لخيوله ، فيقول : « **وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته ، واثنا عشر ألف فارس** » (١ ملوك ٤ : ٢٦) .

وهذا الرقم كبير جدًا ، خاصة مع صغر أورشليم زمن سليمان عليه السلام ، وهو على كل حال مناقض لما جاء في سفر أخبار الأيام ، وفيه « **كان لسليمان أربعة ألاف مذود خيل ومركبات ، واثنا عشر ألف فارس** » (٢ أخبار ٩: ٢٥) .

ويحاول القس استانلي شوبرج كبير قساوسة السويد إزالة هذا التناقض في مناظرته مع العلامة ديدات ، فيقول في محاولة يائسة منه تدعو للضحك : « **إن هذا يبرهن على بركة الله ، في البداية كان عند سليمان أربعة آلاف مذود ، زادت إلى أربعين ألف مذود بانتهاء العام** »[١].

وأما الأسقف إيسيذورس أسقف دير البراموس (ت ١٩٤٢م) فينقل جورجي عن مذكرته "مشكاة الطلاب في حل مشاكل الكتاب" أنه كان يرى حلاً للإشكال بافتراض «أن الكاتب لسفر أخبار الأيام الثاني نظر إلى أمكنة المذاود التي تتسع كل منها لعشرة خيول فلم يستبعد إمكانية اقتناء سليمان الحكيم لأربعين ألف مذود خيل»[٢]، أي أنه يقر بأن المعلومة التوراتية خاطئة بسبب سوء تقدير في النظر.

* وتتحدث الأسفار عن غنائم داود التي غنمها من ملك صوبة ، فيقول سفر صموئيل : « **وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات ، فأخذ داود منه ألفًا وسبع مائة فارس ، وعشرين ألف راجل ، وعرقب داود جميع خيل المركبات ، وأبقى منها مائة مركبة** » (٢ صموئيل ٨: ٣-٤) ، فقد أخذ منه ١٧٠٠ فارس ، سوى ما أخذه من راجلته .

وهذه الأرقام لا تتفق مع الأرقام التي ذكرها سفر أخبار الأيام ، حين جعل

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص (٦٠).
(٢) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٥٧).

الفرسان المأسورين ٧٠٠٠ فارس ، عدا ما أخذه من راجلته ، فقال : « **وضرب داودُ هدر عزر ملك صوبة في حماة حين ذهب ليقيم سلطته عند نهر الفرات ، وأخذ داود منه ألف مركبة وسبعة آلاف فارس ، وعشرين ألف راجل ، وعرقب داود كل خيل المركبات ، وأبقى منها مائة مركبة** » (١ أخبار ١٨ : ٣-٤) .

* ويتحدث السفران عن حاشية داود بعد تملكه على جميع إسرائيل، فيتفقان في مجمل الأسماء ويختلفان في اسمين، فيقول كاتب سفر صموئيل: « **وصادوق بن أخيطوب وأخيمالك بن أبياثار كاهنين، وسرايا كاتبًا** (٢ صموئيل ٨: ١٧)، في حين أن كاتب سفر الأخبار يستبدل اسمين (أخيمالك الكاهن بأبيمالك، وسرايا الكاتب بشوشا الكاتب)، فيقول: «**وصادوق بن أخيطوب وأبيمالك بن أبياثار كاهنين ، وشوشا كاتبًا**» (١ أخبار ١٨: ١٦)[١].

كما نلحظ بين السفرين جملة من الاختلافات التي ترجع إلى اختلاف النساخ في تهجئة الكلمات المتقاربة في الكتابة، ومنها اسم ملك حماة (هدد عزر הדד – هدر عزر הדר)، واسم مدينتيه (باطح وبيروثاي – طبحة وخون)، وتحديد جنس القتلى الثمانية عشر ألفاً ، هل كانوا من (أرام **ארם** - أدوم **אדום**)؟.

* ويقص سفر صموئيل عن حرب أرام مع بني إسرائيل ، فيقول : « **وقتل داود من أرام سبعمائة مركبة ، وأربعين ألف فارس** » (٢ صموئيل ١٠ : ١٨) .

ثم أعادت الأسفار ذكر حرب إسرائيل مع أرام فقال كاتب سفر أخبار الأيام :

---

(١) يرجح محررو دائرة المعارف الكتابية أن الصحيح ما ذكره سفر صموئيل، وأن كلمة «أبيمالك» في (١ أخ ١٨ : ١٦) فالأرجح أنها خطأ من الناسخ (١/ ٦٢).

« **وهرب أرام من أمام إسرائيل ، وقتل داود من أرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل** » (١ أخبار ١٩ : ١٨) .

وبين السفرين تناقض واضح في نقطتين :

الأولى : كم عدد المراكب التي قتلها جيش إسرائيل هل ٧٠٠ أم ٧٠٠٠ ، ولم يوضح لنا السفر كيف تقتل المراكب ؟ ولعله أراد من فيها .

الثانية : هل كان القتلى من الفرسان أم المشاة ؟ فكيف لم يفرق الملهِم بين الفرسان والمشاة ؟

* ويتحدث سفر صموئيل عن أن داود قد أمره الرب بإحصاء بني إسرائيل ، فيقول : « **فحمي غضب الرب على إسرائيل ، فأهاج عليهم داود قائلًا : امض وأحصِ إسرائيل ويهوذا** » ، ففعل داود « **فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك ، فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف** (٨٠٠ ألف) ، **ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل** » (٥٠٠ ألف) .

ثم إن داود ندم على إحصائه بني إسرائيل ، وقال للرب : « **لقد أخطأت جدًا في ما فعلت ، والآن يا رب أزل إثم عبدك** » ، وهذا الندم عجيب ، إذ هو قد امتثل لأمر الله ، وصنع تمامًا كما أمره .

ثم أمر اللهُ النبيَّ جاد أن يبلغ داودَ عقوبةَ الله له ، فالله يخيره بين أمور « **أتأتي عليك سبع سني جوع في أرضك ؟ أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك ؟ أم يكون ثلاثة أيام وباء في أرضك ؟ فالآن اعرف ، وانظر ماذا أرد جوابًا على مرسلي** » (٢ صموئيل ٢٤ : ١-١٣) .

ويختلف سفر الأخبار عن سفر صموئيل في رواية القصة ذاتها ، فيقول : «

ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل .. فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى داود ، فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل (مليون ومائة ألف) **مستلّي السيف ، ويهوذا أربع مئة وسبعين ألف رجل مستلّي السيف** (٤٧٠ ألف) .. **وقبح في عيني الله هذا الأمر ، فضرب إسرائيل .**

فقال داود لله : لقد أخطأت جدًا حيث عملت هذا الأمر ، والآن أزل إثم عبدك ، لأني سفهت جدًا . فكلم الرب جاد رائي داود ، وقال : اذهب ، وكلم داود قائلًا : هكذا قال الرب : ثلاثة أنا عارض عليك ، فاختر لنفسك واحدًا منها فأفعله بك .. إما ثلاث سنين جوع ، أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك ، وسيف أعدائك يدركك ، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووبأ في الأرض .. فانظر الآن ماذا أرد جوابًا لمرسلي » (١ أخبار ٢١ : ١ – ١٢) .

فقد تناقض النصان في أمور :

١- من الذي أمر بإحصاء بني إسرائيل الرب أم الشيطان ؟ وكما يقول العلامة ديدات : « فإن الشيطان والرب ليسا مصطلحين مترادفين في أي الديانات »[1] .

٢- أعداد بني إسرائيل ، ففي سفر صموئيل كان رجال إسرائيل ٨٠٠٠٠٠ ، وفي أخبار الأيام أضحوا ١١٠٠٠٠٠ ، وفي سفر صموئيل كان رجال يهوذا ٥٠٠٠٠٠ رجل ، فجعلهم سفر الأخبار ٤٧٠٠٠٠ رجل ، فأي السفرين أرقامه صحيحة ؟ ومن المخطئ ، هل هو الروح القدس أم الكتبة الملهمون ؟

الآباء اليسوعيون في نسخة الرهبانية اليسوعية يرفضون كل هذه الأرقام: « من الواضح أن الأرقام مبالغ فيها كما في كثير من الأرقام المماثلة في العهد القديم ، وقد

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص (٢٩).

زيد عليها أيضًا في سفري الأخبار »[١].

وكذلك يستنكر أمثال هذه الأرقام الأب جورج سابا، ويراها من المبالغات غير الواقعية ، والتي وقع فيها المؤلفون لأنهم كانوا لا يلتزمون «بموجب قواعدنا العصرية الدقيقة، بل بموجب الطرق السامية الشرقية القديمة القائمة على جمع الذكريات .. لذا في العهد القديم أمور تثير استغرابنا من روايات مزدوجة وأرقام غريبة ووصف على غرار الملحمة الخروج من مصر وفتح أريحا .. إلى غير ذلك من أمور لم تتوخَ الواقع التاريخي» [٢].

ويرجح رولان دوفو (ت ١٩٧١) مدير مدرسة الأبحاث التوراتية الفرنسية في القدس أن «هذه الأرقام زائفة»، وأن شعبي إسرائيل يهوذا لم يتجاوزوا المليون إنسان قط، ويستدل لذلك بعمليات حسابية تعتمد على الحدس والتوقع أحيانًا ، وعلى المنطق أحيانًا، فسكان فلسطين عام ١٩٣١م كان مليونًا وأربعة عشر ألفًا، ولا يمكن أن نتوقع أنهم أكثر من ذلك قبل ثمان وعشرين قرنًا ، كما أردفها بشواهد مما كان الإسرائيليون يدفعونه من جزية للآشوريين (انظر: ٢ ملوك ١٥: ١٩-٢٠)[٣].

٣- وهل كانت العقوبة التي خير داود ثلاث سنين جوع أم سبع سنين .

وفي سبب هذه المشكلة يفيدنا القس صموئيل مشرقي أنه نتج عن تشابه هجاء الرقمين (٣ שלוש) و(٧ שבע) في الكتابة العبرية[٤]، وهو التبرير الذي يورده في عدد

(١) حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (١٥٥).

(٢) على عتبة الكتاب المقدس، الأب جورج سابا، ص (١٥٤).

(٣) انظر: بنو إسرائيل: مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، رولان دوفو (١/ ١٠٥-١٠٩).

(٤) انظر : مصادر الكتاب المقدس، ص (١٢٩).

من المشكلات الكتابية المتعلقة بالأرقام.

وقد يكون هذا التبرير صحيحًا، وأنه بالفعل وقع اللبس بسبب التشابه بين هجاء هذه الأرقام، وانطلى الخطأ على اليهود والمسيحيين طوال قرون طويلة، بسبب تخلي الروح القدس عن تصحيح هذه الأخطاء، وهذا يفتح الباب للشك في كل كلمات الكتاب المقدس ، فهي عرضة للبس بسبب تشابه الحروف العبرية الذي يمكن أن ينتج لنا قراءات خاطئة تنطلي علينا اليوم، فالذي كشف لنا الخطأ السابق ورودُ الحديث عن موضوعه في سفر آخر ، فهذا ما نبهنا على الخطأ، وأما ما لم يتكرر الحديث عنه في موضع آخر فيبقى عرضة للخطأ والتبديل الذي يسببه التشابه في صورة كتابة الحروف العبرانية.

* وتتحدث الأسفار عن مكان موت ودفن نبي الله هارون ، فتقول : « **وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير ، هناك مات هارون ، وهناك دفن** » (التثنية ١٠: ٦) .

وفي موضع آخر تذكر مكانًا آخر تزعم أن هارون مات فيه ، فتقول : « **كما مات هارون أخوك في جبل هور** » (التثنية ٣٢: ٥٠) .

وتحاول دائرة المعارف الكتابية الجمع بين المكانين وإزالة التناقض بين النصين ، فتقول عن مسيروت : « ويسمى أيضًا موسير ، وهناك مات هارون وهناك دفن .. فلابد أنها كانت قريبة من جبل هور ، حيث إن هارون مات في جبل هور »[1] .

والصحيح أن جبل هور بعيد عن موسير (مسيروت) ، فقد مرّ بنو إسرائيل في طريقهم إلى أدوم بمسيروت ، وارتحلوا عنها ، فمروا بستة منازل قبل أن يصلوا إلى

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (٤/ ١٦١).

جبل هور ، يقول سفر العدد : « **ثم ارتحلوا من مسيروت ، ونزلوا في بني يعقان ، ثم ارتحلوا من بني يعقان ، ونزلوا في حور الجدجاد .. ونزلوا في يطبات .. ونزلوا في عبرونة .. ونزلوا في عصيون جابر .. ونزلوا في برية صين وهي قادش ، ثم ارتحلوا من قادش ، ونزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم ، فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ، ومات هناك** » (العدد ٣٣: ٣١-٣٨) ، وعليه فجبل هور بعيد عن موسير بمقدار ستة منازل ، ففي أي المكانين مات هارون ودُفن ؟

* ويأبى الكتاب المقدس إلا أن يدس اسمه في موسوعة جينس للأرقام القياسية، حين قدمت صفحتان من صفحاته العدد الأكبر من التناقضات المقدسة، إذ لم يسبق لكاتب أن تناقض ١٨ مرة خلال صفحتين فقط!!

وتفصيله، أن كلاً من سفري عزرا ونحميا يذكران قائمة طويلة بأعداد العائدين من السبي بحسب قبائلهم ، (انظر عزرا ٢: ١-٦٤ ، ونحميا ٧: ٦-٦٦) ، ويتفقان في كثير من الأرقام التي يذكرانها ، ويختلفان أيضًا في كثير منها ، وفيما يلي بعض هذه الأرقام ، نضعها في جدول ليسهل على القارئ الكريم المقابلة بينهما :

أسماء القبائل	سفر عزرا	سفر نحميا	أسماء القبائل	سفر عزرا	سفر نحميا
بنو فرعوش	٢١٧٢	٢١٧٢	بنو بيصاي	٣٢٣	٣٢٤
بنو شفطيا	٣٧٢	٣٧٢	بنو حشوم	٢٢٣	٣٢٨
بنو آرح	٧٧٥	٦٥٢	بنو أريحا	٣٤٥	٣٤٥
بنو فحث موآب	٢٨١٢	٢٨١٨	بنو بيت لحم	١٢٣	(معًا)
بنو عيلام	١٢٥٤	١٢٥٤	رجال نطوفة	٥٦	١٨٨
بنو زتو	٩٤٥	٨٤٥	رجال عناثوث	١٢٨	١٢٨
بنو زكاي	٧٦٠	٧٦٠	بنو عزموت	٤٢	٤٢

بنو باني (بنوي)	٦٤٢	٦٤٨	بنو حاريم	٣٢٠	٣٢٠
بنو باباي	٦٢٣	٦٢٨	بنو آطير	٩٨	٩٨
بنو عرجد (عزجد)	١٢٢٢	٢٣٢٢	بيت ايل وعاي	٢٢٣	١٢٣
بنو ادونيقام	٦٦٦	٦٦٧	رجال مخماس	١٢٢	١٢٢
بنو بغواي	٢٠٥٦	٢٠٦٧	بنو نبو الأخرى	٥٢	٥٢
بنو عادين	٤٥٤	٦٥٥	بنو سناءة	٣٦٣٠	٣٩٣٠
بنو الرامة وجبع	٦٢١	٦٢١	بنو عيلام	١٢٥٤	١٢٥٤
بنو يورة (حاريف)	١١٢	١١٢	بنو جبّار (جبعون)	٩٥	٩٥
جميع النثينيم وبني عبيد سليمان	٣٩٢	٣٩٢	بنو لود بنو حاديد واونو	٧٢٥	٧٢١
بنو دلايا بنو طوبيا	٦٥٢	٦٤٢	بنو يشوع وقدميئيل	٧٤	٧٤
بنو يدعيا	٩٧٣	٩٧٣	المغنون بنو آساف	١٢٨	١٤٨
بنو امّير	١٠٥٢	١٠٥٢	بنو مغبيش	١٥٦	لم يُذكروا
بنو فشحور	١٢٤٧	١٢٤٧	بنو حاريم (الكهنة)	١٠١٧	١٠١٧
بنو البوابين بنو شلوم بنو آطير بنو طلمون بنو عقّوب بنو حطيطا بنو شوباي	١٣٩	١٣٨	بنو قرية عاريم كفيرة وبئيروت	٧٤٣	٧٤٣
المجموع حسب الكتاب المقدس	٤٢٣٦٠	٤٢٣٦٠	ناتج الجمع الصحيح	٢٩٨١٨	٣١٠٨٩

وكما يلحظ القارئ الكريم فإن هذه الأرقام متباينة اختلف فيها السفران اختلافًا كبيرًا ، فأحد الملهمين - أو كلاهما أخطأ - ولا محالة ، والذي يخطئ في مثل هذه المسائل البسيطة لا يؤمَن عليه الخطأ في المسائل اللاهوتية والأمور الهامة الأخرى .

لكن الأعجب أن الكاتبين ورغم اختلافهما الكبير في أعداد عدد من القبائل العائدة مع زربابل ، فإنهما يتفقان في المجموع الكلي للعائدين ، هو (٤٢٣٦٠) ، فيقول عزرا : « **كل الجمهور معًا اثنان وأربعون ألفًا وثلاث مئة وستون** » (عزرا ٢: ٦٤) ، ويوافقه نحميا فيقول : « **كل الجمهور معًا أربع ربوات وألفان وثلاث مئة وستون** » (نحميا ٧: ٦٦) .

وكلاهما خطأ ولا ريب ، ومن شك في ذلك فسيدرك اليقين إذا جمع الأرقام الكتابية بواسطة أرخص آلة حاسبة، وسيصل إلى نتيجة لا يختلف عليها طلاب المدارس الإبتدائية ، تفيد أن عدد العائدين حسب أرقام عزرا (٢٩٨١٨) ، بينما عددهم حسب أرقام نحميا (٣١٠٨٩)[(١)] ، فمن الذي أخطأ في تقرير أعداد العائدين من السبي؟ ومن الذي أخفق في جمع أعدادهم؟ هل هم الكتبة المقدسون؟ أم الروح القدس الذي زعموا أنه ألهمهم ما كتبوه ولم يتنبه لأخطائهم؟ أم أولئك الذين أعطوا لكلام البشر صفة القداسة والإلهام ، وزعموا أن تخليطهم وأخطاءهم هي وحي الله وكلمته؟ تعالى الله عن خطئهم وزللهم علوًا كبيرًا .

❋ واستمر السفران التوراتيان (عزرا ونحميا) في إعطاء قوائم بأعداد جِمال العائدين وحميرهم وخيلهم، ثم أعطيا تقريرًا عما أهداه رؤوس الآباء من تبرعات لبناء الهيكل ، بحسب عزرا فإنهم «**أعطوا حسب طاقتهم لخزانة العمل واحدًا وستين ألف درهم من الذهب، وخمسة آلاف منًّا من الفضة، ومائة قميص للكهنة**» **(عزرا ٢:**

---

(١) وانظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ص (٣١٠).

٦٨-٦٩)، وأما سفر نحميا فيفصل العطاءات ذاكرًا ما دفعه الرؤوس على حدة، وما دفعه عامة الناس على حدة، وهو في كلا الحالين يخالف ما ذكره عزرا، يقول نحميا: «**البعض من رؤوس الآباء أعطوا للعمل، الترشاثا [الوالي] أعطى للخزينة ألف درهم من الذهب، وخمسين منضحة، وخمس مئة وثلاثين قميصًا للكهنة، والبعض من رؤوس الآباء أعطوا لخزينة العمل ربوتين من الذهب، وألفين ومئتي منًّا من الفضة، وما أعطاه بقية الشعب ست ربوات من الذهب، وألفي منًّا من الفضة، وسبعة وستين قميصًا للكهنة**» (**نحميا ٧: ٧٠-٧٢**)، فقد اختلف السفران في مقدار الفضة وعدد الأقمصة.

العطاءات	بحسب عزرا	بحسب نحميا	
	عطاءات الرؤوس	عطاءات الرؤوس	عطاءات العامة
من الذهب	٦١.٠٠٠درهم	١٠٠٠ درهم	٦٠.٠٠٠ درهم
من الفضة	٥٠٠٠ منّ	٢٢٠٠ منّ	٢٠٠٠ منّ
من القمصان	١٠٠ قميص	٥٣٠ قميص	٦٧ قميص

* ومن الأخبار التوراتية المتناقضة أنه جاء في سفر الملوك « **كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة** » (٢ ملوك ٨: ٢٦) .

وفي سفر أخبار الأيام ما يناقضه : « **كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة** » (٢ أخبار ٢٢: ٢) .

وما جاء في الأخبار خطأ ولا ريب ، إذ أن يهورام الملك والد أخزيا قد مات وعمره أربعون سنة ، وتولى الحكم بعده ابنه أخزيا ، فلا يمكن أن يكون عمر ابنه أخزيا حينذاك اثنين وأربعين سنة .

لذلك عمد محققو الترجمة العربية المشتركة إلى تصحيح الخطأ في سفر الأخبار ، فالنص عندهم: «**وكان أخزيا ابن عشرين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة بأورشليم**» (٢ أخبار ٢٢: ٢) ، لكنه ـ وللأسف ـ لم يصحح في مئات التراجم العالمية

التي يتداولها المسيحيون في العالم .

وقد أقر القس الدكتور منيس عبد النور في دفاعه الحميم عن الكتاب المقدس الموسوم بـ (شبهات وهمية) ؛ أقر بوقوع خطأ في سفر أخبار الأيام ، وردّه إلى غلطة الناسخ ، لتشابه الحرف العبراني الذي يدل على الرقم (٢) مع الحرف الذي يدل على الرقم (٤) ، لكنه قلل من أهميته ، لأن « غلطة الناسخ هذه لا تُغير عقيدة يهودية ولا مسيحية »[١] .

ومع أني لم أجد هذا التشابه الذي ادعاه القس منيس في صورة كتابة الرقمين (٢٠ و٤٠) في الكتابة العبرية (**עֶשְׂרִים ، אַרְבָּעִים**) إلا أني أشيد بشجاعته في الاعتراف بالخطأ، فهي قليلة في نصارى العرب، لكن لا مناص منها في حالتنا التي تجعل الابن أكبر من أبيه بسنتين، قال الدكتور وهيب جورجي: «أجمع المفسرون على أن النص الوارد في ٢ أخبار ٢٢: ٢ نتج عن خطأ في الترجمة أو النقل دون قصد من الكاتب .. فلا يعقل أن يكون الابن أكبر سنًا من أبيه»[٢] .

وإشادتي بشجاعة القس منيس والعلماء الذين أجمعوا على الاعتراف بهذا الخطأ لن تمنعني من التساؤل: متى سيصلحون هذا الخطأ؟ وإن كان الخطأ وقع من ناسخ واحد من نساخ المخطوطات التي يتفاخرون بكثرتها ، فلم ترك اليهود والنصارى الكثرة الكاثرة من المخطوطات الصحيحة ، وأخذوا بالخاطئ منها؟

والعجز عن الجواب يدفعنا باتجاه خيار آخر، وهو اتهام المؤلف الأصلي للسفر بالخطأ الذي أطبق على إيراده نساخ المخطوطات ، أو خيار ثالث صعب، وهو

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ، القس منيس عبد النور ، ص (١٦٦).
(٢) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٥٨).

اتهام الروح الذي زعموا أنه أوحى السفر بالتسبب بهذا الغلط.

ثم نسأل الأب منيس عبد النور: هل أخطأ النساخ في فقرات أخرى من المواضع التي لا تؤثر على العقيدة؟ وكيف لنا أن نجزم بأنهم معصومون من الخطأ في قضايا العقيدة دون القضايا التاريخية التي تشكل غالب أجزاء الكتاب المقدس .

* ومثله وقع الخطأ في عمر يهوياكين الذي ملك بني إسرائيل ، فقد جاء في سفر الملوك « **كان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم** » (٢ ملوك ٢٤ : ٨) .

وفي سفر أخبار الأيام ما ينقضه ولا سبيل إلى الجمع ، إذ يقول : « **كان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم** » (٢ أخبار ٣٦: ٩).

فأما محررو قاموس الكتاب المقدس فيقولون : « **يرجح أن رواية سفر الملوك الثاني هي الرواية الصحيحة** »[(١)]، وأما دائرة المعارف الكتابية فلا تقنع بالترجيح ، بل تجزم أن «الثماني السنوات المذكورة في (٢ أخبار ٣٦: ٩) خطأ من النساخ، إذ كان متزوجًا وسُبيت نساؤه معه (٢ ملوك ٢٤: ١٥) »[(٢)]، ولذلك فإن العديد من النسخ الكتابية الأجنبية والعربية (كالترجمة العربية المشتركة، الأخبار السارة، كتاب الحياة) تصحح الرقم (٨) ، وتجعله (١٨)، لتوافق ما جاء في سفر الملوك.

وأما الدكتور وهيب جورجي فيقول: «هي لا تزيد عن كونها مجرد هفوات

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠٩٩).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٤٠١).

تافهة وغير مقصودة، ولا تغير من موضوع السفر، كما لا تقلل من قانونيته »[١].

❋ ويتحدث سفر أخبار الأيام عن الملك شاول ، فيجعله من ذرية قيس بن نير ، فيقول : « **ونير ولد قيس ، وقيس ولد شاول** » (١ أخبار ٨: ٣٣) ، وهذا مناقض لما جاء في سفر صموئيل ، حيث يخبرنا أن نير وقيس أخوان ، فيقول : « **أبنير بن نير عم شاول ، وقيس أبو شاول ، ونير أبو أبنير ؛ ابنا إبيئيل** » (١ صموئيل ١٤: ٥٠-٥١) ، و(انظر ١ صموئيل ٩: ١) .

❋ ويتناقض كُتاب العهد القديم في نِسبة يثر والد عماسا ، فيجعلونه مرة إسماعيليًا كما في سفر أخبار الأيام « **وأبو عماسا يثر الإسمعيلي** » (١ أخبار ٢: ١٧) ، وفي مرة أخرى جعلوه إسرائيليًا ، لا إسماعيليًا كما زعم كاتب سفر صموئيل بقوله : « **وكان عماسا ابن رجل اسمه يثرا الإسرائيلي** » (٢ صموئيل ١٧: ٢٥) ، فأيهما هو الصحيح، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون يثر من نسل إسرائيل (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) وهو في نفس الوقت ينتسب لعمه إسماعيل بن إبراهيم !

❋ وتكرر نفس الخطأ والتناقض في سياق الحديث عن أُم الملك حورام ملك صور، ففي سفر الملوك أن حيرام « **ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي** » (١ ملوك ١٤: ٧)، وبينما يقول كاتب سفر أخبار الأيام بأنه « **ابن امرأة من بنات دان** » (٢ أخبار ٢: ١٤)، ودان ونفتالي هما ابنا يعقوب من زوجته بلهة ، فكيف أصبحت أُم حورام من ذرية أخوين شقيقين ؟ أين سمعت الدنيا عن شخص يولد لأخوين إلا في الكتاب المقدس؟!

❋ ويتحدث سفر الملوك عن الهدايا التي أرسلها الملك حيرام لسليمان ، فيذكر

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٥٨).

أنها ٤٢٠ وزنة ذهب ، فيقول : « **فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان ، فأتوا إلى أوفير ، وأخذوا من هناك ذهبًا أربع مائة وزنة وعشرين وزنة ، وأتوا بها إلى الملك سليمان** » (١ ملوك ٩ : ٢٨) .

لكن سفر أخبار الأيام الثاني جعلها ٤٥٠ وزنة ذهب ، حيث يقول : « **وأرسل له حورام بيد عبيده سفنًا وعبيدًا يعرفون البحر ، فأتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير ، وأخذوا من هناك أربع مائة وخمسين وزنة ذهب ، وأتوا بها إلى الملك سليمان** » (٢ أخبار ٨: ١٨) ، فالفرق ٣٠ وزنة ذهب ، فهل أخطأ الروح القدس أم الكتبة الذين لم يعصموا من الخطأ والنسيان ؟

إن الكتبة الذين يخطئون في مثل هذه المسائل البسيطة لا يؤمن من أن يقع منهم الخطأ في القضايا العظيمة المتعلقة باللاهوت وسواه ، فمن فقد شرط العصمة والإلهام جاز عليه الخطأ في كل كلامه بلا تفريق .

❋ ويذكر سفر صموئيل أنه « **ولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها ثامار ، وكانت امرأة جميلة المنظر** » (٢ صموئيل ١٤ : ٢٧) .

وفي سفر الملوك يذكر ابنة أخرى غير ثامار الوحيدة ، فيقول : « **معكة ابنة أبشالوم**» (١ ملوك ١٥ : ٢) فكيف زعم سفر صموئيل أنها وحيدة ؟

ويستعين النصارى بالمؤرخ اليهودي يوسيفوس لحل هذه المشكلة، حيث زعم أن معكة ليست ابنة أبشالوم كما يقول الكتاب، بل هي ابنة ابنته ثامار، فهو جدها لأمها، ولذلك نسبت إليه[١] ، وهذا صعب، إذ ليس من عادة اليهود نسبة الشخص إلى

(١) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٥٨).

أمه أو أبيها.

* ويذكر سفر أخبار الأيام أن رحبعام أحب معكة ابنة ابشالوم ، وأنها ولدت له أبيا « **وأقام رحبعام أبيا ابن معكة رأسًا وقائدًا** » (٢ أخبار ١١: ٢٢) ، فمعكة بنت أبشالوم هي أم أبيا .

لكنه في السفر نفسه يقول : « **ملك أبيا على يهوذا ، ملك ثلاث سنين في أورشليم، واسم أمه ميخا بنت أوريئيل من جبعة** » (٢ أخبار ١٣: ١-٢) ، فقد تغير اسم أمه من معكة بنت أبشالوم إلى ميخا بنت أوريئيل ؟ ولا يمكن أن تكون كلتاهما أمه **!!**

* ثم بالعجب لن ينقضي لقارئ سفر الملوك، وهو يقرأ عن معكة ابنة أبشألوم، فقد جمع لها السفر في صفحة واحدة بين وصف الزوجية والأمومة لشخص واحد، فهي أم أبيام وزوجته في وقت واحد، يقول السفر: « **ملك أبيام على يهوذا، ملك ثلاث سنين في أورشليم، واسم أمه معكة ابنة أبشالوم .. ثم اضطجع أبيام مع آبائه، فدفنوه في مدينة داود، وملك آسا ابنه عوضا عنه..ملك آسا على يهوذا ، ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم ، واسم أمه معكة ابنة أبشالوم** » (١ ملوك ١٥: ١-١٠)، فبعد أن كانت معكة أمًّا لأبيام في الفقرة الثانية من (١ ملوك ١٥)، تحولت حين وصلنا إلى الفقرة العاشرة من نفس السفر إلى زوجة لأبيام أنجبت له ابنه المتوج من بعده آسا، فهل معكة هي زوجة أبيام أم هي أمه؟ إذ لا يمكن أن تكون الاثنين معًا .

* ويتحدث سفر صموئيل عن ميكال بنت شاول فيقول : « **ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها** » (٢ صموئيل ٦: ٢٣) ، ولكنه في السفر نفسه يذكر أن لها ذرية، وأن لهم خمسة من الأبناء من زوجها عدرئيل المحولي ، فيقول : « **بني ميكال ابنة شاول**

الخمسة الذين ولدتهم لعدرئيل ابن برزلاي المحولي » (٢ صموئيل ٢١ : ٨).

والحق أن ليس ثمة تناقض هنا ، بل خطأ وقع فيه كاتب صموئيل الذي لم يميز بين ميكال وأختها ميرب التي تزوجت عدرئيل المحولي ، فقد جاء في سفر صموئيل « **وكان في وقت إعطاء ميرب ابنة شاول لدواد أنها أعطيت لعدرئيل المحولي امرأة** » (١ صموئيل ١٨ : ١٧) ، ثم حكى السفر قصة زواج داود من أختها ميكال .

وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ ، وردوه إلى خطأ بعض المخطوطات القديمة، وكذا نقل الدكتور وهيب جورجي عن دارسي الكتاب المقدس إجماعهم على أن خبر « زواج ميكال من عدرئيل المحولي هو مجرد خطأ في النقل، ينسب إلى بعض النساخ، وهو لا يقلل من قانونية السفر»[(١)] ، وقد أبدلت نسخة الكتاب المقدس المسماة « الكتاب المقدس الأمريكي الجديد » الصادرة عام ١٩٧٣م ، أبدلت ميكال بميراب ، لتصحح هذا الخطأ الكبير الذي مازال شامخًا في جميع الترجمات العالمية، ليدلل على أن هذا الكتاب ليس كلمة الله .

❊ ومما تناقض فيه كتاب التوراة عدد وكلاء سليمان المسلطين على الشعب ، فزعم سفر الملوك أنهم ٥٥٠ وكيلًا ، في حين ذكر سفر أخبار الأيام أنهم ٢٥٠ وكيلًا فقط ، يقول سفر الملوك : « **هؤلاء رؤساء الموكلين على أعمال سليمان خمس مائة وخمسون ، الذين كانوا يتسلطون على الشعب العاملين العمل ، ولكن بنت فرعون** .. » (١ ملوك ٩ : ٢٣).

في حين أن سفر أخبار الأيام يخالفه ، فيقول في نفس السياق : « **وهؤلاء رؤساء**

---

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١١٩)، وانظر : قاموس الكتاب المقدس، ص (٩٣٩).

الموكلين الذين للملك سليمان مائتان وخمسون المتسلطون على الشعب ، وأما بنت فرعون .. » (٢ أخبار ٨: ١٠) .

* وتتحدث الأسفار قدوم رئيس شرطة نبوخذ نصر إلى أورشليم وأسره لبعض أعيانها ، فتتناقض في هذا الخصوص في ثلاثة مواضع .

أولها : في عدد المأسورين من خواص الملك ، فيقول سفر إرمياء : « **وأخذ من المدينة خصيًا واحدًا كان وكيلًا على رجال الحرب ، وسبعة رجال من الذين ينظرون وجه الملك الذين وجدوا في المدينة** » (إرميا ٥٢: ٢٥) ، وهو بذلك يناقض سفر الملوك الذي جعل المأسورين من خواص الملك خمسة فقط ، فيقول : « **ومن المدينة أخذ خصيًا واحدًا كان وكيلًا على رجال الحرب ، وخمسة رجال من الذين ينظرون وجه الملك الذين وجدوا في المدينة** » (٢ ملوك ٢٥: ١٩) .

وثاني المواضع التي تناقض فيها السفران ، حديثهما عن ارتفاع التاج الذي سلبه رئيس الشرطة البابلية ، فيذكر سفر إرميا أن ارتفاعه خمسة أذرع ، فيما يجعله سفر الملوك ثلاثة أذرع فقط ، يقول سفر إرميا : « **وعليه تاج من نحاس ارتفاع التاج الواحد خمس أذرع** » (إرميا ٥٢: ٢٢) ، فيما يقول سفر الملوك : « **وعليه تاج من نحاس ، وارتفاع التاج ثلاث أذرع** » (٢ ملوك ٢٥: ١٧) .

وأما ثالثها فهو تحديد اليوم الذي قدم فيه رئيس الشرطة إلى أورشليم ، هل كان في سابع الشهر الخامس أم في عاشره ، فكاتب سفر الملوك يرى أن قدوم « **في الشهر الخامس ، في سابع الشهر ، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصّر ملك بابل ، جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم** » (٢ ملوك ٢٥: ٨) ، فقدوم رئيس الشرطة في اليوم السابع ، وهو مكذِّب لما جاء في سفر إرمياء ، فقد صرح بأن مقدم رئيس الشرطة كان في اليوم العاشر ، وليس السابع ، يقول كاتب سفر إرمياء : «في

الشهر الخامس ، في عاشر الشهر ، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ راصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط الذي كان يقف أمام ملك بابل إلى أورشليم » (إرميا ٥٢ : ١٢) ، فأي السفرين هو كلمة الله ؟

* ولما أراد داود أن يبني مذبحًا للرب اشترى مكان المذبح من أرنان الذي عرض التبرع بمكان المذبح ، لكن داود رفض وأصر على دفع الثمن ، فكم الثمن الذي دفعه داود لأرنان ؟

ويجيب سفر صموئيل أنه خمسون شاقلًا من الفضة ، فيقول : « **فقال الملك لأرونة : لا بل اشتري منك بثمن ، ولا أصعد للرب إلهي محرقات مجانية ، فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلًا من الفضة ، وبنى داود هناك مذبحًا للرب ، وأصعد محرقات وذبائح سلامة**» (٢ صموئيل ٢٤ : ٢٤-٢٥) ، وهذا السعر أقل بكثير مما ذكره سفر أخبار الأيام الذي جعل الثمن ستمائة شاقل من الذهب ، فقال : « **ودفع داود لأرنان عن المكان ذهبًا وزنه ستمائة شاقل ، وبنى داود هناك مذبحًا للرب ، وأصعد محرقات وذبائح سلامة** » (١ أخبار ٢١ : ٢٥-٢٦) ، وبين الثمنين فرق كبير ، فأيهما دفعه داود لأرنان ؟

* ويحدثنا الكاتب المجهول لسفر الملوك عن الملك السامري «ياهو» ، فيذكر أنه ملك على السامرة مدة ثمان وعشرين سنة ، يقول سفر الملوك « **وكانت الأيام التي ملك فيها ياهو على إسرائيل في السامرة ثماني وعشرين سنة** » (٢ ملوك ١٠ : ٣٦) .

ولو سألتُ القارئ الكريم في أي سني الملك يهوآش مات ياهو ، فلن يجد كبير عناء في القول بأن ذلك كان في السنة الحادية والعشرين من حكم يهوآش ، لأنه « **في السنة السابعة لياهو ، ملك يهوآش ، ملك أربعين سنة في أورشليم** » (٢ ملوك ١٢ : ١) ، فقد تمم ياهو سنوات حكمه الثماني والعشرين ، فمات بعد واحد وعشرين سنة من تولي يهوآش الملك على مملكة يهوذا ، فببساطة لا يختلف عليها

العقلاء ٢٨-٧ = ٢١ ، لقد مات ياهو في السنة الحادية والعشرين للملك يهوآش .

وهذا الذي توصل إليه القارئ الكريم يناقضه الأصحاح الذي يليه من أصحاحات سفر الملوك ، حيث أفاد بموت ياهو وتولي ابنه يهوآحاز الملك في السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك يهوآش ، وليست الحادية والعشرين ، فيقول : « **في السنة الثالثة والعشرين ليوآش بن أخزيا ملِك يهوذا ، ملَك يهوآحاز بن ياهو على إسرائيل في السامرة** » (٢ ملوك ١٣ : ١) ، فهل كانت وفاة الملِك ياهو وتولية ابنه في السنة الحادية والعشرين من حكم يهوآش أم في السنة الثالثة والعشرين منه ؟

* ومن عجيب تناقضات الكتاب وقوعها في صفحة واحدة ، يكذب آخرُها أولَها، ليترك القارئ في دهشة وحيرة مما يقرأ ، إذ يخبرنا سفر الملوك عن مدة حكم الملك السامري يهوآحاز بن ياهو ، وأنه قد ملك مدة سبع عشرة سنة ، بدأت في السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك اليهوذي يوآش « **في السنة الثالثة والعشرين ليوآش بن أخزيا ملَك يهوذا ملِك يهوآحاز بن ياهو على إسرائيل في السامرة سبع عشرة سنة** » (٢ ملوك ١٣ : ١) ، ولو سألتُ القارئ في أي سنة من سني الملك يوآش مات يهوآحاز؟ فإنه سيجيب بأنها السنة الأربعين من حكم يوآش .

ولن أسهب في شكره على توصله إلى الجواب بسرعة ، إذ لا صعوبة البتة في أن ندرك مهما اختلفت ثقافاتنا وقدراتنا الرياضية أن ٢٣ + ١٧ = ٤٠

لكن هذه النتيجة على بساطتها لم يتوصل إليها الكاتب المجهول لسفر الملوك، إذ يقول في نفس الأصحاح وهو يحدثنا عن موت يهوآحاز وتولي ابنه يهوآش: « **وفي السنة السابعة والثلاثين ليوآش ملك يهوذا ، ملك يهوآش بن يهوآحاز على إسرائيل في السامرة** » (٢ ملوك ١٣: ١٠) ، فهل كان موت يهوآحاز في السنة

الأربعين من حكم يهوآش ـ كما توصل القارئ الكريم ـ أم في السنة السابعة والثلاثين منه ؟ إني أختبئ الكثير من الشكر والتقدير لذلك العبقري الذي سيخبرني أي القولين كان الحق الذي أوحى به الله العليم؟

* ومثله تناقض الكتاب في صفحة واحدة في سياق حديثه عن مدة حكم الملك يوثام ، فيذكر في الفقرة الثانية والثلاثين أنه « **ملك يوثام بن عزّيا ملك يهوذا ، كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك ، وملك ست عشرة سنة في أورشليم** » (٢ ملوك ١٥ : ٣٣) ، لكن الفقرة الثلاثين في نفس الأصحاح تذكر أن يوثام ملك أكثر من ست عشرة سنة ، فتقول بأن هوشع بن أيلة قَتل الملك فقح بن رمليا في « **السنة العشرين ليوثام بن عُزيا** » (٢ ملوك ١٥ : ٣٠) . فهل ملك يوثام عشرين سنة أم ست عشرة سنة ؟ سؤال آخر يبحث عن جواب ، ولا من مجيب .

* ولن يكون وقوع التناقض في صفحة واحدة بأعجب من وقوعه في فقرة واحدة ، ومثاله تناقض كاتب سفر أخبار الأيام في حديثه عن شيشان بن يشعي ، فقد قال : « **وابن شيشان أحلاي** » (١ أخبار ٢ : ٣١) ، ثم قال بعدها بسطرين : « **ولم يكن لشيشان بنون ، بل بنات** » (١ أخبار ٢ : ٣٤) ، وحتى لا يطول عجب القارئ الكريم فإني أنقل له ما كتبه محققو الرهبانية اليسوعية في تفسير وقوع التناقض خلال سطرين فقط : « تقليد يختلف عن التقليد الذي في الآية ٣١ »[١]، أي أنها من مصدر آخر ، وكاتب آخر ، لأنه لا يعقل أن يقع كاتب بمثل هذا .

لكن دعونا نعترف بأن كاتبي دائرة المعارف الكتابية نجحوا في إزالة التناقض

---

(١) حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (٧٣٧).

حين ذكروا أن أحلاي « اسم ابن شيشان أو بالحري اسم ابنته ، بناء على ما جاء بعدد ٣٤ ؛ من أنه لم يكن لشيشان بنون »[(١)]، نعم لقد نجحوا هذه المرة ، فأحلاي ابنة شيشان، وليست ابنه ، وقد أخطأ الكاتب الملهم حين قال : « **وابن شيشان أحلاي** » ، وكان ينبغي أن يقول : « **وابنة شيشان أحلاي** » ، وهكذا فبإمكان قارئنا الكريم نقل هذا الشاهد من باب التناقضات إلى موضعه في الباب القادم (أغلاط العهد القديم) .

* لكن العجب والدهش يلجمان قارئ الكتاب المقدس ، وهو يرى سلسلة من التناقضات يقع فيها كاتب سفر الملوك الثاني ، فيناقض نفسه مرة بعد مرة ، وهو يحدثنا عن الملك يهورام بن اخآب ملك مملكة إسرائيل ، فقد تولى الملك بعد أخيه أخزيا ، وكان توليه الملك إبان حكم الملك يهورام بن يهوشافاط لمملكة يهوذا ، وتحديدًا في السنة الثانية لحكم الملك يهورام اليهوذي ، يقول مؤلف سفر الملوك : «**ملك يهورام** (ابن اخآب) **عوضًا عنه في السنة الثانية ليهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا** » (٢ ملوك ١ : ١٧) .

لكن كاتب السفر ـ الملهم حسب اعتقاد النصارى ـ سرعان ما غيّر رأيه ، فزعم أن تولي يهورام للحكم كان في السنة الثامنة عشرة من ملك الأب يهوشافاط ، وليس في عهد ابنه كما كان قد زعم ، يقول : « **وملك يهورام بن اخآب على إسرائيل في السامرة في السنة الثامنة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا** » (٢ ملوك ٣: ١) ، فمرّة زعم أن الملك السامري يهورام تولى الحكم زمن الملك اليهوذي يهوشافاط ، ومرة زعم أنه تولاه في زمن ابنه ، وبين التاريخين فرق تسع سنوات ، وهي السنوات السبع الباقية من حكم الأب يهوشافاط . (انظر ١ ملوك ٢٢: ٤٢) ، بعد إضافة إلى السنتين الأولين من حكم ابنه .

* ورغم الاختلاف الذي ذكرناه آنفًا في وقت تولي الملك يهورام ابن آخاب

---

(١) دائرة المعارف الكتابية (١ / ٨٨).

الملك في السامرة ، (هل هو بعد ١٨ سنة من حكم يهوشافط (٢ ملوك ٣: ١) أو بعد بعد سنتين من حكم ابنه يهورام (٢ ملوك ١: ١٧)) ، إلا أنه على كل حال تولى الحكم بعد أن سبقه الاثنان إلى حكم أورشليم .

وهذا ما يعود لنقضه الكاتب المجهول لسفر الملوك ، إذ يزعم أن يهورام بن آخاب ملك على السامرة قبل تولي الملك يهورام بن يهوشافاط على أورشليم ، فيقول : « **وفي السنة الخامسة ليورام بن اخآب ملكِ إسرائيل .. ملَكَ يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا** » (٢ ملوك ٨: ١٦) ، فأي اليهورامين تولى أولًا ؟ ابن آخاب كما يصرح في (٢ ملوك ٨: ١٦) أم ابن يهوشافاط كما في (٢ ملوك ١: ١٧) .

تناقض عجيب لكاتب واحد نضعه بين يدي أولئك الذين مازالوا يزعمون أن هذا السفر بعضُ وحي الله !

* ولا تنته عجائب سفر الملوك الثاني بخصوص الملكين المسميين (يهورام)، فالملك يهورام اليهوذي ـ كما رأينا في النص السابق ـ ملك مدة ثماني سنين بدأت في السنة الخامسة للملك السامري يهورام بن اخآب ، أي مات في السنة الثالثة عشرة من حكم الملك السامري .

وهذا الحساب البسيط يكذبه كاتب سفر الملوك مرتين:

الأولى: حين زعم أن وفاة الملك اليهوذي وتولي ابنه كانت بعد إثني عشرة سنة من حكم الملك السامري ، فقال : « **في السنة الثانية عشرة ليورام بن اخآب ملكِ إسرائيل ؛ ملَك أخزيا بن يهورام ملكُ يهوذا** » (٢ ملوك ٨: ٢٥) .

الثانية: عاد مؤلف سفر الملوك فأكذب نفسه ، وزعم أن يهورام اليهوذي مات في السنة الحادية عشرة من ملك يهورام السامري، فقال : « **في السنة الحادية عشرة ليورام بن اخآب ؛ ملَك أخزيا على يهوذا** » (٢ ملوك ٩: ٢٩) ، فهل من أحد يجرؤ أن يقول بأن كاتب سفر الملوك الثاني كتب ما كتب بوحي الله وقد ناقض نفسه في هذه

المواضع جميعًا؟

إن الاختلاف والخطأ في أعمار الملوك أوصلت المؤرخين إلى طريق مسدود في التوفيق بينها ، لذا يقول القس صموئيل يوسف : « يصعب حصر فترات حكم الملوك والتأكيد منها لمناقشتها بالتحديد ، فرحبعام ملك يهوذا ويربعام ملك إسرائيل اعتليا العرش في وقت واحد ، وأخزيا ملك يهوذا ويهورام ملك إسرائيل عاشا في وقت واحد ، وجملة سني مملكة يهوذا حتى هذا الوقت ٩٥ سنة ، وجملة سني مملكة إسرائيل ٩٨ سنة .. سقطت السامرة عاصمة المملكة الشمالية في إسرائيل في السنة السادسة لحزقيا ملك يهوذا ، وجملة السنين لمملكة إسرائيل حتى هذه الفترة ١٤٣ سنة ، وفي مملكة يهوذا ١٦٥ سنة ».

وهذا الفارق الكبير أزعج القس فانطلق يضع له المعاذير الباردة ، وهذه المعاذير تلقي باللائمة على الروح القدس لأنه لم تكن له قاعدة ثابتة في الإلهام للكتاب الملهمين «ففي بعض الكتابات لم تحسب مثلًا سنة اعتلاء العرش ، ويبدأ احتساب الحكم في السنة التالية لها ، بينما في حالات أخرى تحسب من وقت اعتلاء الحكم »(١) .

وهكذا ففي هذه التناقضات ما يستعصي على الرقع ، وكما يقول الفيلسوف اليهودي اسبينوزا: «يمكن أن يلاحظ وجودها بقراءة واحدة من لم يصل إلى درجة كبيرة من العماء أو الغباء»(٢) .

وصدق الله : ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً** ﴾ [النساء : ٨٢] .



(١) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف، ص (١٨٠-١٨١).
(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ص (٢٧٦).

أغلاط العهد القديم

عندما نتحدث عن كتاب مقدس ، فإنه من الطبيعي أن نسلم بعصمة هذا الكتاب ، وأن ما فيه هو وحي الله ﷻ ، إذ وجود الخطأ فيه يعني أن الله يخطئ ، أو أن الروح القدس يخطئ ، أو أن الرسول المبلغ يخطئ .

وهذه الاحتمالات كلها مرفوضة باتفاق الأمم وبدلالة العقل ، إذ الخطأ صفة بشرية لا يمكن أن تصدر من الله أو أمناء وحيه من الملائكة أو الرسل ، ففي ذلك تلبيس على البشر وإضلال لهم .

ولكنا حين نتصفح أسفار الكتاب المقدس نجد أغلاطًا توراتية كثيرة ، كل منها يشهد ببراءة الله ووحيه من هذا الكتاب ، ومن هذه الأغلاط :

* أن سفر أخبار الأيام الثاني جعل الابن أكبر من أبيه، وهو غلط يستدعي بالمؤمنين بالكتاب مراجعة أبجديات علم الاجتماع، فالملك يهورام مات وعمره أربعون سنة، فخلفه على الملك ابنه الأصغر، وهو في الثانية والأربعين**!!** ، ففي خاتمة الأصحاح ٢١ نقرأ: « **كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم، وذهب غير مأسوف عليه ، ودفنوه في مدينة داود**» (٢ أخبار ٢١: ٢٠)، ثم يبدأ الأصحاح التالي بقوله: «**وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضًا عنه .. وكان اخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك**» (٢ أخبار ٢١: ١-٢).

* ومنها ما جاء في التوراة عن تحديد سنة بناء الهيكل بعد ٤٨٠ سنة من خروج بني إسرائيل من مصر، حيث يقول سفر الملوك : «**وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر ، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل، في شهر زيو، وهو الشهر الثاني، أنه بني البيت للرب**» (١ ملوك ٦: ١).

وهذه المعلومة خاطئة جدًا ، لأنه من المتفق عليه تاريخيًا أن سليمان حكم سنة ٩٧٠ ق م، وعليه فقد بنى الهيكل سنة ٩٦٦ ق م، وهذا يعني – بحسب سفر الملوك – أن سنة الخروج كانت عام ١٤٤٦ق م.

وهذا التاريخ بعيد جدًا عن الحقيقة، فالعلماء يرجحون – كما نقل البابا شنودة في محاضرة له – أن فرعون موسى هو يفتاح الذي توفي عام ١٢٢٧ق م[1] ، وهو تاريخ يبعد عن التأريخ التوراتي ٢١٣ سنة.

يقول القس بولس الفغالي وهو من أهم علماء المسيحيين العرب اليوم: «الخروج من مصر تم في بداية القرن الثالث عشر .. ثم إن العلماء يتفقون على أن سليمان صار ملكًا حوالي السنة ٩٧٠ ق م »[2] .

ولا يتفق قول سفر الملوك مع الرأي الآخر الذي يجعل عام ١٤٩١ ق م سنة لخروج بني إسرائيل من مصر، فهذا التاريخ يجعل بناء الهيكل بعد الخروج بـ ٤٨٠ سنة، أي في آخر سنة من حكم الملك شاول عام ١٠١١ ق م، وهو تاريخ يسبق حكم سليمان بأزيد من أربعين سنة.

ويرى القديس أكليمندس السكندري بعد أن تتبع تواريخ بني إسرائيل وملوكهم وقضاتهم: «**من موسى إلى عهد سليمان، حسبما يقول البعض: ٥٩٥ سنة، وحسب آخرون ٥٧٦**»[3] .

والسؤال: ما هي سنة الخروج الصحيحة؟ وهل بني الهيكل حقًا بعدها بـ ٤٨٠ سنة؟

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين ، ص (٦٩).
(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، القس الدكتور بولس الفغالي (٢/ ٢٥٢).
(٣) المتفرقات، أكليمندس السكندري ، ص (٢٠٩).

* ولا يفوتنا التنبيه على خطأ توراتي آخر متعلق بسنة الخروج من مصر، ولكنه يختص بمدة إقامة بني إسرائيل فيها، حيث تذكر التوراة أن الله قال لإبراهيم : « **اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم ، ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربع مائة سنة** » (التكوين ١٥: ١٣) ، وهو صريح أن مدة ذلتهم في أرض مصر أربع مائة سنة ، وهذا الرقم يؤكده سفر الخروج بقوله : « **وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة** » (الخروج ١٢: ٤٠) .

وهذا الذي ذكرته الأسفار التوراتي خطأ ولاريب ، إذ لم يمكثوا في مصر إلا مائتين وخمس عشرة سنة أو مائتين وسبع عشرة سنة بحسب رأي المؤرخ ابن البطريق، وقد أقر علماء النصرانية ومحققوها بذلك[1]، واجتهدوا في تصحيح الخطأ ، فزعم القس منيس عبد النور والقس منسى يوحنا والدكتور وهيب جورجي أن المدة المذكورة في التوراة تبدأ من ابتداء دعوة إبراهيم في العراق ، وقد سبقهم إليه آدم كلارك في تفسيره، وكذا جامعو تفسير هنري واسكات[2].

---

(١) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ابن البطريق (١/ ٣٠)، وانظر: كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، سمعان كهلون ، ص (٣٤٦)، حيث ذكر أن دخول يعقوب وبنيه إلى مصركان في سنة ١٧٠٦ ق.م، وأن عبورهم بحر القُلْزُم وغرق فرعون كان في سنة ١٤٩١ ق.م.

وأما الدكتور وهيب جورجي فيجعل المدة ٢٧٥ سنة، تبدأ سنة ١٧٦٦ ق.م وتنتهي ١٤٩١ق.م. مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٧٦).

ولو حسبنا سنة الخروج ١٢٢٧ق م وفق رأي أغلبية العلماء فإن مدة مكثهم تصبح قرابة الـ ٥٠٠ سنة.

(٢) تفسير آدم كلارك (التكوين- التثنية/ ٤٧٩)، وانظر: شبهات وهمية حول الكتاب =

وما ذهبوا إليه هو تصحيح للنص في ضوء المعطيات التاريخية ، لكنه على أي حال تلاعب بالنص الذي يصرح بأن الأربعمائة سنة هي مقدار إقامتهم وذِلتهم واستِعبادهم في مصر ، كما هو بيّنٌ في قوله : « **فيذلونهم أربع مائة سنة** » ، وقوله : «**وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة** » (الخروج ١٢: ٤٠) ، فليس في النصين أي تضمين لفترة ما قبل دخولهم إلى مصر .

* وكذلك فإن التوراة تحكي عن خيانة إخوة يوسف لأخيهم ، فيذكر سفر التكوين أن تجارًا مديانيين أخرجوه من البئر ، وباعوه لقوم من الإسماعيليين بعشرين من الفضة ، وأن هؤلاء الإسماعيليين قد حملوه معهم إلى مصر « **اجتاز رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف ، وأصعدوه من البئر ، وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة، فأتوا بيوسف إلى مصر** » (التكوين ٣٧: ٢٨) .

وفي مصر بيع يوسف لفوطيفار ، والمفروض أن الذي باعه لفوطيفار هم الإسماعيليون الذين حملوه إلى مصر بعد أن اشتروه بعشرين من الفضة ، لكن كاتب السفر أخطأ فقال : « **أما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشّرط** » (التكوين ٣٧: ٣٦) ، والمفروض أن الإسماعيليين هم الذين باعوه لفوطيفار ، وهذا هو الصحيح ، إذ يعود سفر التكوين لتقريره فيقول : « **واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصري من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك** » (التكوين ٣٩: ١) . فمن المسئول عن هذا الخطأ ؟ هل هو الله ؟ تعالى عن ذلك ، أم هو الكاتب المجهول الذي كتب السفر ؟ أم نساخ آلاف المخطوطات

المقدس ، القس منيس عبد النور، ص (٦٥)، وحل مشاكل الكتاب المقدس، القس منسى يوحنا، ص (٣٣-٣٤)، ومقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٧٦).

الذين لم يكونوا أمناء في نساختهم للأسفار ؟ أم أولئك الذين اعتبروا هذه الكتابات التاريخية ـ بما فيها من خلل وزلل ـ كلمة الله ؟

أيًا كانت الإجابة ، فإن الكتاب المقدس لم ينج من الخطأ والزلل ، مما يمنع أن يكون بحق كلمة الله .

* ومن أخطاء الكتاب المقدس ما زعمه سفر أخبار الأيام من إدراك الملك السامري بعشا للسنة السادسة والثلاثين من حكم الملك اليهوذي آسا ، وبناؤه للرامة فيها، حيث يقول : « **في السنة السادسة والثلاثين لملك آسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة** » (٢ أخبار ١٦ : ١) ، وهو خطأ ـ ولا ريب ـ لأن الملك بعشا مات قبل هذا التاريخ بتسع سنين .

وإثبات ذلك ميسور ، فقد ملك بعشا في السنة الثالثة من حكم آسا ، وبقي في الملك مدة أربع وعشرين سنة ، أي أنه مات في السنة السابعة والعشرين من حكم الملك آسا ، فقد جاء ذلك في سفر الملوك « **في السنة الثالثة لآسا مِلِك يهوذا ملَك بعشا بن أخيا على جميع إسرائيل في ترصة أربعًا وعشرين سنة** » (١ ملوك ١٥ : ٣٣) .

ومما يؤكد هذا أنه قد توالى على الملك بعده في هذه السنوات التسع ثلاثة ملوك : وهم : ابنه أيلة ، ثم زمري ، ثم عمري .

ويحدد لنا سفر الملوك ـ بدقة ـ سنوات تولي الملوك الثلاثة ، فيقول : «**واضطجع بعشا مع آبائه ، ودفن في ترصة ، وملَك أيلة ابنه عوضًا عنه .. في السنة السادسة والعشرين لآسا مِلِك يهوذا ملَك أيلة بن بعشا على إسرائيل .. فدخل زمري ، وضربه ، فقتله في السنة السابعة والعشرين لآسا مِلِك يهوذا ، وملَك عوضًا عنه .. في السنة الواحدة والثلاثين لآسا مِلِك يهوذا ملَك عمري على إسرائيل اثنتي عشرة سنة** » (١ ملوك ١٦ : ٦-٢٣) ، فكيف يبني بعشا الرامة في السنة السادسة والثلاثين من حكم

آسا ، وقد مات قبلها بتسع سنين !

ويجيب الدكتور وهيب جورجي عنه بالقول: «يحتسب دارسو الكتاب المقدس التاريخ الوارد في ٢ أي ١٥ : ١٩ ، ١٦ : ١١ من بدء تاريخ انقسام المملكة، وقد يصح احتسابه من تاريخ ميلاد آسا ، وليس من تاريخ اعتلائه للعرش»[١].

ولو عرضنا هذين الاقتراحين على النص المقدس لجزمنا ببطلانهما ، فالنص يقول: « **في السنة السادسة والثلاثين لملك آسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة**»، فهو يتحدث عن مرور ٣٦ سنة على «ملك آسا»، وليس على ميلاده، ولا على انقسام المملكة.

* ومن أغلاط الكُتاب أيضًا في نفس سياق قصة بناء الرامة أن شروع الملك بعشا ملك مملكة إسرائيل الشمالية في بناء الرامة أغضب الملك آسا ملك مملكة يهوذا الجنوبية ، فاستعان الملك اليهوذي بملك أرام بنهدد ليحارب إخوته في مملكة بني إسرائيل الشمالية ، فجاء الملك بنهدد بجيوشه ، وضرب عيون الماء في ومخازن الطعام في مملكة إسرائيل ، مما أجبر الملك بعشا على الكف عن البناء (انظر ٢ أخبار ١٦ : ١-٦).

واستقبح الرائي حناني صنيع الملك آسا واستعانته بالآراميين على إخوته ، فقال له : « **من أجل أنك استندت على ملك أرام ولم تستند على الرب إلهك ، لذلك قد نجا جيش ملك أرام من يدك** » (٢ أخبار ١٦ : ٧) .

وقوله: « **نجا جيش ملك أرام** » غلط ولاريب ، لأن الذي نجا هو جيش إسرائيل ، وليس جيش أرام المتحالف مع جيش يهوذا ، وقد تنبه لهذا الخطأ محررو الترجمة العربية المشتركة ، فقالوا : « **نجا من يدك ملك إسرائيل** » .

---

(١) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٥٧).

ورغم استنكارنا لهذا التدخل البشري فيما يسمونه كلمة الله ، لكنه على كل حال أهون من الإصرار على الخطأ ، وليت جميع النسخ الجديدة تصنع مثل هذا الصنيع .

* ومن الأغلاط ما جاء في سفر صموئيل عن عمر شاول عندما ملك على بني إسرائيل حيث يقول : « **كان شاول ابن سنة في ملكه ، وملك سنتين على إسرائيل** » (١ صموئيل ١٣ : ١) .

وهذا أمر لا يعقل أبدًا ، كما أنه يتناقض مع كل ما تقدمه التوراة من معلومات عن شاول الملك الكبير ، وكيفية اختياره ، ورفضه لتزويج ابنته ميكال لداود إبان ملكه [شاول] ، ثم تزوج داود بها عقب توليه الملك .

فذلك كله وغيره مؤذن بوجود غلط في هذا النص .

ولتفادي ذكر هذا الغلط عمدت بعض الترجمات الحديثة إلى ترك مكان السن فارغًا ، وهو ما صنعه محققو الرهبانية اليسوعية ، ففيها : « **وكان شاول ابن .. حين صار ملكًا ، وملك .. سنة على إسرائيل** » ، وأشاروا في الهامش إلى مصدر هذا الغلط، فقالوا عما ورد في النص العبري : « وهذا أمر غير معقول ، لربما لم يعرفوا عمر شاول عند ارتقائه العرش ، أو لربما سقط العمر عن النص ، أو لربما قصرت مدة ملكه إلى سنتين لعبرة لاهوتية »[1] .

ولنا أن نتساءل هل كان كتبة الأسفار الملهمون يكتبون وفق معارفهم ، أم كانوا يكتبون ما يمليه عليهم الروح القدس ؟ .

---

(١) حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، ص (٥٤٣).

وفي محاولة أخرى لتبرير هذا الغلط يقول مطران دمشق سمعان الحصروني في كتابه (تسهيل صعوبات الكتاب المقدس) : « هذا القول لا يعني على أن شاول كان ابن سنة بالعمر ، بل إنه حين ملك كان بارًا وديعًا صالحًا لا يعرف الغش ، مثل طفل ابن سنة ، ولما ملك سنتين على إسرائيل دخل الغش في قلبه ، وصار كبيرًا مثل شيخ عارف ، وقال : إنه ملك سنتين لا غير ، أعني ما استقام على البرارة وعدم المخالفة والقسط إلا سنتين فقط ، ودخل في الإثم والغش وقلة رضا الله »[(١)] .

وأما الدكتور وهيب جورجي فيرى أن قوله: «ابن سنة في ملكه» يعني «أن شاول بدأ يمارس مهام الملكية في السنة الثانية بعد رسامته بيد صموئيل النبي»[(٢)] ، ويتعامى عن تكملة الخبر «وملك سنتين على إسرائيل».

ولا يخفى ضعف هذه الأوهام على القارئ الحصيف ، إذ هو إحدى البهلوانيات التي يركبها أولئك الذين أضناهم ترقيع الطوام التي وجدوها في كتابهم .

* وأحيانًا يخطىء الكتاب في عمليات حسابية لا تخفى على صغار الطلاب في المدارس ، ومنه الخطأ الذي وقع به كاتب سفر العدد ، وهو يجمع أعداد ذكور بني لاوي الذين تجاوزوا الشهر ، فقد « **عدّهم موسى كما أمر الرب** .. [فكانت أعدادهم كالتالي :] **هذه هي عشائر الجرشونيين ، المعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعدا ، المعدودون منهم سبعة آلاف وخمس مئة** [٧٥٠٠] .. **هذه عشائر القهاتيين، بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعدا ثمانية آلاف وست مئة** [٨٦٠٠] **حارسين حراسة القدس .. هذه هي عشائر مراري ، والمعدودون منهم بعدد كل ذكر**

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٢٤ – ١٢٥).
(٢) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١١٨).

من ابن شهر فصاعدا ستة آلاف ومئتان [٦٢٠٠] » (العدد ٣: ١٥-٣٤) .

ولا يحتاج القارئ الكريم إلى حاسوب ليدرك أن مجموع المعدودين هو (٢٢٣٠٠) ، المسالة الحسابية بسيطة : ٧٥٠٠ + ٨٦٠٠ + ٦٢٠٠ = ٢٢٣٠٠ ، لكن المفاجأة أن الكاتب الملهم أخطأ، فقال مخالفًا كلما تعلمناه في دراستنا الأولى من مسائل الحساب: «**جميع المعدودين من اللاويين الذين عدّهم موسى وهرون حسب قول الرب بعشائرهم كل ذكر من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون ألفًا [٢٢٠٠٠]** » (العدد ٣: ٣٩) .

وقد تنبه لهذا الخطأ مترجمو السبعينية ، فأنقصوا من عشائر القهاتيين ثلاث مائة، ليصبح عددهم (٨٣٠٠) ، وقال محققو الترجمة العربية المشتركة : « في اليونانية : ٨٣٠٠ ، وهذا يتوافق مع جمع الأعداد في الآية ٣٩ » ، وقد صحح الآباء اليسوعيون هذا الخطأ في نسخة الرهبانية اليسوعية ، فقالوا : « تلك هي عشائر القهاتيين ، فكانوا بعد كل ذكر من ابن شهر فصاعدًا ثمانية آلاف وثلاث مائة (٨٣٠٠) » ، لقد أثبتوا مهارتهم في الرياضيات ، وأنهم أقدر في هذا الفن من كاتب سفر العدد الذي يزعمون أنه كان يلهم من الله .

* ومن الأغلاط أيضًا ما جاء في سفر أخبار الأيام « **وقد أذل الرب يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل** » (٢ أخبار ٢٨ : ١٩) ، فالنص يزعم أن آحاز ملك مملكة إسرائيل الشمالية ، والصحيح أن آحاز ملك على مملكة يهوذا الجنوبية ، وبسببه أذل الله مملكته ، وهو الملك الحادي عشر من ملوك مملكة يهوذا الجنوبية ، كما ذكر محرر

قاموس الكتاب المقدس [١].

* ومن الأغلاط ما جاء في كتاب القضاة « **وكان غلام من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا ، وهو لاوي** » (القضاة ١٧ : ٧) ، ولا يمكن أن يكون الغلام لاويًا ومن نسل يهوذا ، فكلاهما ابن يعقوب ، وهو من نسل أحدهما لا محالة .

* ووقع الغلط من كاتب سفر الخروج حين زعم أن جميع مواشي المصريين قد ماتت ، ثم ذكر بعدها بسطور أن مواشيهم أصيبت بالدمامل والبثور ، يقول السفر : «**ففعل الرب هذا الأمر في الغد . فماتت جميع مواشي المصريين . وأما مواشي بني إسرائيل، فلم يمت منها واحد** » (الخروج ٩ : ٦) .

وبعد سطور، وفي السفر نفسه نقرأ أن فرعون لم يؤمن فعوقب بعقوبة جديدة ، وهي الدمامل فيقول السفر : « **ثم قال الرب لموسى وهارون : خذا ملء أيديكما من رماد الأتون . وليذرّه موسى نحو السماء أمام عيني فرعون . ليصير غبارًا على كل أرض مصر ، فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة ببثور في كل أرض مصر ، فأخذا رماد الأتون ، ووقفا أمام فرعون ، وذراه موسى نحو السماء ، فصار دمامل بثور طالعة في الناس وفي البهائم** » (الخروج ٩ : ٨-١٠) ، فكيف أصيبت بهائمهم ، وقد ماتت جميعًا .

ويعود النص التوراتي مرة أخرى للحديث عن مواشي المصريين وعن تهديد موسى لفرعون بإفنائها ، والمفترض أنها فنيت جميعًا ، فيقول لفرعون : « **ها أنا غدًا مثل الآن أمطر بردًا عظيمًا جدًا لم يكن مثله في مصر منذ يوم تأسيسها إلى الآن ، فالآن أرسل ، احم مواشيك وكل ما لك في الحقل ، جميع الناس والبهائم الذين يوجدون في**

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص (٢).

الحقل ، ولا يجمعون إلى البيوت ينزل عليهم البرد فيموتون ، فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت » (الخروج ٩ : ١٨-٢١) .

❋ ومثله وقع الغلط في أسفار العهد القديم في سياق الحديث عن صلة القرابة بين الملك يهوياكين والملك صدقيا الذي عينه نبوخذ نصر بعد أن عزل يهوياكين ، إذ يذكر سفر أخبار الأيام أنه أخ لصدقيا ، فيقول : « **وملك صدقيا أخاه على يهوذا وأورشليم** » (٢ أخبار ٣٦: ١٠) .

والصحيح أن صدقيا عم يهوياكين حيث إن عمر يهوياكين أكبر أبناء أبيه عندما ملك كان حوالي ثمان سنين ، وملك لمدة ثلاثة شهور وعشرة أيام فقط . (انظر ٢ أخبار ٣٦: ٩) .

بينما كان عمر صدقيا حينذاك إحدى وعشرين سنة . (انظر ٢ أخبار ٣٦: ٩ - ١٠) ، ولو كان أخًا ليهوياكين لكان ينبغي أن يكون أقل من ثمان سنوات لأن يهوياكين أكبر أبناء أبيه .

وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ ، وتأولوه قائلين : «دعي أخًا ليهوياكين أي نسيبه ، أو من أصل واحد »[١]، واعترف به أيضًا توماس وارد في كتابه (*Errata to the Protestant Bible*).

❋ ومن الأغلاط ما ذكره سفر التكوين من اطلاع أم عيسو على ما أضمره ابنها في قلبه ، حيث يقول : « **قال عيسو في قلبه : قربت أيام مناحة أبي . فأقتل يعقوب أخي . فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر** » (التكوين ٢٧: ٤١-٤٢) ، والمفروض أنه أضمره فكيف اطلعت عليه ؟

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٥٤٠).

❋ ومن الأغلاط حديث التوراة عن رحلة هاجر وابنها إسماعيل ، إذ تذكر التوراة أن ذلك كان بعد مولد إسحاق وفطامه ، ثم هي تتحدث عن حمل هاجر لابنها إسماعيل على كتفها ، وكأنه طفل صغير ، وقد كان عمره حينذاك لا يقل عن ستة عشر عامًا ، كما يتضح من عمر إبراهيم حين ولادة ابنيه . (انظره في التكوين ١٦ : ١٦ ، ٢١ : ٥) .

فالكاتب لهذا السفر غلط ونسي أنه يتحدث عن شاب يبلغ من العمر ٢٧ سنة كما يرى التلمود اليهودي[1] ، وليس عن طفل صغير ، يقول كاتب السفر : « **فكبر الولد (إسحاق) وفطم ، وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق .. فبكر إبراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر واضعًا إياهما على كتفها والولد ، وصرفها ، فمضت .. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابله بعيدًا نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد .. ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : ما لك يا هاجر ، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام وشدي يدك به .. فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام** » (التكوين ٢١ : ٧-١٩) .

❋ ويتحدث سفر التكوين عن سارة زوجة إبراهيم ، فيذكر من جمالها وحسنها أنها وقعت في استحسان فرعون مصر هي تبلغ الخامسة والستين من العمر ، ومثل هذا غير معهود في النساء ، إذ يذوي الجمال والحسن دون هذا السن ، وامرأة في الخامسة والستين لا نراها تصلح لتكون محلًا لإعجاب الملوك وهيامهم .

ثم لما تجاوزت التسعين وقعت في استحسان ملك جرار أبيمالك ، ومثل هذا من الشطط الذي يتنزه عنه وحي الله وكتبه .

---

(١) في التكوين رابا (٥٣/ ١٧) ، انظر : تاريخ نقد العهد القديم ، زالمان شازار ، ص (٣٨) .

ولبيان هذه المسألة نبين أن سارة تصغر عن زوجها بعشر سنين ، فقد جاء في سفر التكوين أن إبراهيم قال : « **هل يولد لابن مائة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟!** » (التكوين ١٧ : ١٧) ، فبينهما عشر سنين .

وقد غادر إبراهيم حاران ، وعمر سارة خمس وستون سنة « **وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ، فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوطًا ابن أخيه وكل مقتنياتهما .. فأتوا إلى أرض كنعان** » (التكوين ١٢ : ٤-٥) ، ثم بعد ذلك انطلق إلى مصر ، حيث أعجب فرعون بسارة ، وقد تجاوزت الخامسة والستين « **وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلونني ويستبقونك .. فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًا ، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ..** » (التكوين ١٢ : ١١-١٥) .

* ثم يتحدث سفر التكوين عن بلوغ إبراهيم التاسعة والتسعين واختتانه في هذا السن (التكوين ١٧ : ٢٤-٢٥)، مما يعني بلوغ سارة التسعين ، وبعده يتحدث السفر عن مضي إبراهيم وزوجه العجوز إلى الجنوب ، ليُعجب ويؤخَذ بجمالها ـ هذه المرة ـ أبيمالك ملك جرار « **وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار ، وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي ، فأرسل أبيمالك ملك جرار أخذ سارة** » (التكوين ٢٠ : ١-٣) ، فهل يعقل أن امرأة قاربت التسعين يقع في هيامها الملوك ؟ إنه أحد أغلاط الكتاب المقدس ، وأحد شهاداته على أنه من صنع البشر.

* ومن الأغلاط التوراتية زعم التوراة أن الملك فقح بن رمليا السامري مات في زمن حكم الملك اليهوذي يوثام بن عزريا ، فالملك عزريا حكم ٥٢ سنة «**ملك**

عزريا بن امصيا ملكِ يهوذا .. وملك اثنتين وخمسين سنة في أورشليم» (٢ ملوك ١٥: ٢-٣)، وفي آخر سنة من حكمه تولى الملك في مملكة إسرائيل المجاورة فقح بن رمليا «**في السنة الثانية والخمسين لعزريا ملك يهوذا؛ ملَكَ فقح بن رمليا على إسرائيل في السامرة عشرين سنة** » (٢ ملوك ١٥: ٢٧)، فقد بقي فقح ملكًا مدة ٢٠ سنة.

في سنة تولي فقح الحكم ، تولى يوثام بن عزريا حكم مملكة يهوذا لمدة ١٦ سنة «**ملك يوثام بن عزّيا ملك يهوذا، كان ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك ست عشرة سنة في أورشليم**» (٢ ملوك ١٥: ٣٢-٣٣)، وهكذا فيفترض أن فقح استمر في الملك بعد يوثام أربع سنوات، لأن كلاهما تولى في سنة واحدة.

لكن السفر التوراتي يفاجئنا بالقول بأن فقح مات في السنة العشرين ليوثام الذي لم يحكم إلا ١٦ سنة: «**وفتن هوشع بن أيلة على فقح بن رمليا ، وضربه فقتله، وملك عوضًا عنه في السنة العشرين ليوثام بن عزّيا**» (٢ ملوك ١٥: ٣٠)، فهذه المعلومة خاطئة لأن يوثام مات منذ أربع سنين.

* ومن الأغلاط أيضًا تلك الوعود التي وعدت بها التوراة ، ثم لم تتحقق فدل على أنه غلط ، ولو كان حقًا لتحقق الوعد، ومنها: زعم التوراة أن الله قال لإبراهيم : «**وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا** » (أي فلسطين) ، (التكوين ١٥: ١٥-١٦) .

والواقع التاريخي يكذب هذا النص فقد كان الجيل الثالث والرابع من إبراهيم وهم الأسباط وأبناؤهم ، كانوا هم الداخلين إلى مصر ، لا الخارجين منها ، وأما الخارجون منها فهم الجيل السادس من أبناء إبراهيم .

* ومن هذه الوعود الزائفة ما زعمه كاتب سفر أخبار الأيام ، حين قال بأن الله

وعد إسرائيل بقوله لناثان النبي : « **وعينت مكانًا لشعبي إسرائيل ، وغرسته ، فسكن في مكانه ، ولا يضطرب بعد ، ولا يعود بنو الإثم يذلونه كما في الأول** » (١ أخبار ١٧ : ٩) .

ولم يتحقق هذا الوعد الذي زعموا أن الله وعده ، فقد ذل بنو إسرائيل على يد بختنصر ، وأخرجوا من ديارهم ، ولم يتحقق ما قيل لناثان : « **متى كملت أيامك ، واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك ، وأثبت مملكته ، هو يبني بيتًا لا سمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد** » (٢ صموئيل ٧: ١٠-١٣).

* وأيضًا تذكر التوراة أن الله وعد نبوخذ نصر الوثني وعدًا لم ينجز فهو من الأغلاط ولا ريب ، فقد وعده أن يملكه على مدينة صور ، ثم لم يتحقق له ذلك ، فوعده بأرض مصر ، ولم يتحقق ذلك أيضًا ، فدل ذلك على أن هذا الوعد ليس من الله ، لأن الله قادر على إنجاز وعده ، فقد جاء في سفر حزقيال « **قال السيد الرب : ها أنذا أجلب على صور نبوخذ راصر ملك بابل من الشمال ، ملك الملوك ، بخيل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير ، فيقتل بناتك في الحقل بالسيف ، ويبني عليك معاقل ، ويبني عليك برجًا ، ويقيم عليك مترسة ، ويرفع عليك ترسًا ، ويجعل مجانق على أسوارك ، ويهدم أبراجك بأدوات حربه ، ولكثرة خيله يغطيك غبارها ، من صوت الفرسان والعجلات والمركبات تتزلزل أسوارك عند دخوله أبوابك كما تدخل مدينة مثغورة ، بحوافر خيله يدوس كل شوارعك ، يقتل شعبك بالسيف ، فتسقط إلى الأرض أنصاب عزك ، وينهبون ثروتك ، ويغنمون تجارتك ، ويهدّون أسوارك ، ويهدمون بيوتك البهيجة ، ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه .. لا تُبنين بعد ، لأني أنا الرب تكلمت** » (حزقيال ٢٦ : ٧-١٤) .

لكن هذا الوعد لم يتحقق كما أسلفنا ، إذ استعصت صور على ملك بابل ، ولم يدخلها ، ولم يغنم منها غنيمة ، فوعد بأرض مصر بدلًا عنها ، يقول السفر : « **كلام**

الرب كان إليّ قائلًا : يا ابن آدم ، إن نبوخذ راصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور ، كل رأس قرع ، وكل كتف تجردت ، ولم تكن له ولا لجيشه أجرة من صور لأجل خدمته التي خدم بها عليها ، لذلك هكذا قال السيد الرب : هاأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذ راصر ملك بابل ، فيأخذ ثروتها ، ويغنم غنيمتها ، وينهب نهبها ، فتكون أجرة لجيشه ، قد أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذي خدم به ، لأنهم عملوا لأجلي » (حزقيال ٢٩ : ١٧-٢٠) .

ولم يتحقق ذلك الوعد إذ لم يملك بنوخذ نصر أرض مصر أبدًا ، وإن وصلت جيوشه إلى حدود مصر سنة ٦٠٥ ق.م ، حين هزمت قواته المصريين في معركة قرقميش ، لكن بقيت مصر تحت حكم الأسرة السادسة عشرة من حكام الفراعنة .

لقد كذبت تلك الوعود التي استمرت الأسفار تعرضها في أربعة أصحاحات من سفر حزقيال ، ومما جاء فيها « لذلك هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أجلب عليك **سيفًا، واستأصل منك الإنسان والحيوان . وتكون أرض مصر مقفرة وخربة . . وأجعل أرض مصر خِربًا خربة مقفرة ، من مجدل إلى أسوان إلى تخم كوش ، لا تمر فيها رجل إنسان ، ولا تمر فيها رجل بهيمة ، ولا تُسكن أربعين سنة . وأجعل أرض مصر مقفرة في وسط الأراضي المقفرة ، ومدنها في وسط المدن الخربة تكون مقفرة أربعين سنة ، وأشتت المصريين بين الأمم ، وأبددهم في الأراضي ، لأنه هكذا قال السيد الرب: عند نهاية أربعين سنة أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم ، وأرد سبي مصر ، وأرجعهم إلى أرض فتروس ، إلى أرض ميلادهم ، ويكونون هناك مملكة حقيرة ، تكون أحقر الممالك ، فلا ترتفع بعد على الأمم ، وأقللهم لكيلا يتسلطوا على الأمم** » (حزقيال ٢٩ : ٨-١٥) .

ويمضي السفر فيقول : « **قال الرب : ويسقط عاضدو مصر وتنحط كبرياء**

عزتها من مجدل إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف ، يقول السيد الرب : فتقفر في وسط الأرض المقفرة ، وتكون مدنها في وسط المدينة الخربة فيعلمون أني أنا الرب .. قال السيد الرب : إني أبيد ثروة مصر بيد بنوخذ نصر ملك بابل » (حزقيال ٣٠: ٦-١٠) .

ومثله « **قال السيد الرب : سيف ملك بابل يأتي عليك ، بسيوف الجبابرة أسقط جمهورك ، كلهم عتاة الأمم ، فيسلبون كبرياء مصر ، ويهلك كل جمهورها ، وأبيد جميع بهائمها عن المياه الكثيرة ، فلا تكدرها من بعد رجل إنسان ، ولا تعكرها أظلاف بهيمة ، حينئذ أنضب مياههم ، وأجري أنهارهم كالزيت .**

يقول السيد الرب : حين أجعل أرض مصر خرابًا ، وتخلو الأرض من ملئها عند ضربي جميع سكانها يعلمون أني أنا الرب » (حزقيال ٣٢: ١١-١٥) ، إن أيًا من هذه الوعود لم يتحقق ، وعدم تحققه يدل على أن هذا من أغلاط الكُتّاب ، وهو دليل بطلانه وكذب كاتبيه .

* وأيضًا من الأغلاط حديث إرميا عن نسل داود فيقول : « **كما أن جند السماوات لا يعد ، ورمل البحر لا يحصى ، هكذا أكثر نسل داود عبدي ، واللاويين خادميّ** » (إرميا ٣٣: ٢٢) ، لكن الواقع يكذب ذلك ، فاليهود أقل أهل الأرض عددًا ، إذ لا يبلغ تعدادهم في الأرض كلها ستة عشر مليونًا ، علاوة على أن غالبهم ليسوا من أصول إسرائيلية .

* وهذا أيضًا يقودنا للحديث عن الأعداد المهولة التي قدمتها التوراة لبني إسرائيل إبان موسى وبعده ، إذ تتحدث التوراة عن أصل إسرائيل وهو يعقوب وأبناؤه وقد بلغوا حين هجرتهم إلى مصر سبعين نفسًا . (انظر الخروج ١ : ٣) .

ثم تذكر التوراة أنهم « **أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرًا جدًا ، وامتلأت الأرض منهم** » (الخروج ١ : ٧) .

وبعد مائتي سنة على دخولهم مصر ؛ خرجوا منها ، بعد سنين طويلة وقاسية ؛ عانوا فيها صنوفًا من الاضطهاد واستباحة النساء وقتل الذكور ، ولدى نزولهم في سيناء تذكر التوراة أن موسى أمر بتعداد بني إسرائيل « **فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدًا ، كل خارج للحرب في إسرائيل ، كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين (٦٠٣.٥٥٠) . وأما اللاويين حسب سبط آبائهم فلم يعدوا بينهم** » (العدد ١: ٤٥-٤٧) ، وإذا كان الرجال القادرون على الحرب في أحد عشر سبطًا قد بلغوا الستمائة ألف ، فيفهم من هذا أن بني إسرائيل قد جاوزوا المليون .

ومما يشكك في الرقم التوراتي الكبير أن موسى عليه السلام ، وهو أحد الخارجين من مصر يعتبر الجيل الثاني للداخلين إلى مصر ، فهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي. (انظر الخروج ٦: ١٦-٢٠) ، وجده قاهث من الداخلين إلى مصر كما ذكرت التوراة . (انظر التكوين ٤٦: ١١) .

ويستحيل تنامي العدد بهذه الزيادة خلال جيلين أو ثلاثة ، فمثلًا لم يكن الجيل الأول من أبناء لاوي سوى ثلاثة أشخاص عندما دخلوا مصر ، فكيف أضحوا بعد ثلاثة أجيال فقط اثنين وعشرين ألف ذكر . (انظر العدد ٣: ٣٩) .

هذه الزيادة لا يمكن للعقل أن يستوعبها بحال ، فلو ولد لكل من أبناء لاوي الثلاثة عشرة ذكور ، وولد لكل منهم عشرة ذكور ، ثم ولد لكل من هؤلاء عشرة ذكور ، وما مات من هؤلاء جميعًا أحد ، لأضحى عدد سبط لاوي الذكور في الجيل الثالث أقل من الألف وخمسمائة ، وهو رقم لا يتناسب بحال مع الرقم التوراتي (٢٢.٠٠٠).

ثم إن كان السبعون شخصًا قد فاقوا ـ خلال قرنين فقط ـ المليون ، فإنه وبعد ثلاثة آلاف سنة ينبغي أن يكون عددهم آلافًا من الملايين تنوء الأرض بحملهم ، بل

يزيد هذا العدد المفترض على تعداد سكان الأرض حاليًا مرات كثيرة .

لكن الأمر على خلاف ذلك ، إذ لا يتجاوز اليهود الستة عشر مليونًا في الأرض كلها ، علاوة على أن كثيرين منهم ليسوا من ذراري بني إسرائيل .

ومما يدل على أن هذه الأعداد غير صحيحة أن بني إسرائيل كان يتولى توليد نسائهم قابلتان فقط هما : شفرة وفوعة . (انظر الخروج ١: ١٥) . ومثل هذه الأرقام المهولة لا يقوم بها قابلتان فقط .

* ثم إن التوراة تذكر تعدادًا آخر ، وهو التعداد الذي جرى في أرض مؤاب بعد ثمان وثلاثين سنة من تعداد موسى الأول ، ولم تطرأ فيه أي زيادة عن التعداد الأول ، بل نقص عددهم ألفي شخص ، فقد كان عددهم في هذا التعداد (٦٠١.٧٣٠) . (انظر العدد ٢٦: ٥١)، ولو كان بنو إسرائيل يزدادون بهذه النسبة الرهيبة ، لكان ينبغي أن يتضاعف عددهم في هذا التعداد عشرات المرات .

ويعترف بهذه المعضلة الرقمية حبيب سعيد، فيقول: «يؤخذ من هذا الرقم أن جملة عدد السكان بلغ حوالي مليونين، وقد قيل: إن هذه الأرقام خيالية، وفيها كثير من الاصطناع، والحق أنها تشكل معضلة للباحثين، فمثلاً لا يمكن التوفيق بين هذا العدد الضخم وبين عدد اللاويين الذين لم يزد عددهم عن ٢٢.٠٠٠ (العدد ٣: ٢١-٣٩) ، وعدد الأبكار الذين لم يزد عددهم عن ٢٢.٢٧٣ (العدد ٣: ٤٣)، وأغلب الظن أن هذا الرقم نقل من سجلات قديمة، ولم يقصد كاتب السفر اختراعًا أو اصطناعًا»[١].

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٨٧).

وإذا تساءلنا عن الرقم الحقيقي للخارجين من مصر ، فإن دائرة المعارف البريطانية تجزم بأن عددهم لم يتجاوز الخمسة عشر ألفًا . وصدق الله إذ يقول عنهم : ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾ [الشعراء : ٥٤] .

* إن العجب ليس فيما سبق من الأغلاط ، بل في تلك الأخطاء التي لا يقع فيها كاتب مهما ضعفت مؤهلاته على الكتابة ، ومنها أن سفر يشوع شرع يعدد المدن الفلسطينية التي سيأخذها كل سبط من أسباط بني إسرائيل ، فيقول عن نصيب سبط يهوذا : « **وكانت المدن القصوى التي لسبط بني يهوذا إلى تخم أدوم جنوبًا : قبصئيل وعيدر وياجور ، وقينة وديمونة وعدعدة ، وقادش وحاصور ويثنان ، وزيف وطالم وبعلوت ، وحاصور وحدتّة وقريوت ، وحصرون هي حاصور ، وأمام وشماع ومولادة، وحصر جدة وحشمون وبيت فالط ، وحصر شوعال وبئر سبع وبزيوتية ، وبعلة وعيّيم وعاصم ، وألتولد وكسيل وحرمة ، وصقلغ ومدمنة وسنسنة ، ولباوت وشلحيم وعين ، ورمّون .كل المدن تسع وعشرون مع ضياعها** » (يشوع ١٥ : ٢١-٣٢) ، فقد ذكر سبعًا وثلاثين مدينة ، وزعم أن عددها تسع وعشرون ، فالفرق ثمان مدن .

وقد حاولت نسخة الرهبانية اليسوعية تقليص الفارق ، فدمجت بعض الأسماء (حاصور ويثنان = حاصور بتنان)، و (حاصور وحدتة = حاصور حدتة) ، و(قريوت وحصرون = قريوت حصرون)، و (عين ورمّون = عين رمون) ، وحذفت واحدًا (بزيتوتية) ، ووضعت بدلًا منه « وتوابعها » ، واعتذر محققوها عن تلاعبهم بالنص وما أحدثوه فيه فقالوا : « لم يُحفظ النص حفظًا جيدًا ، فكثير من أسماء المدن تصوَّب بالرجوع إلى النص اليوناني أو إلى نصوص كتابية أخرى »[١] .

---

(١) انظر : حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (٤٤٧)، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٢٨٣ ، ٦٢٧).

لكن رغم هذا التنقيح فلدينا ثلاثة أسماء زائدة ، سها عن عدِّها كاتب السفر !

* وفي الفقرة التي تليها من سفر يشوع ذكر الكاتب أسماء خمس عشرة مدينة ، ثم أخطأ ، فقال : « **أربع عشرة مدينة مع ضياعها** » (يشوع ١٥ : ٣٦) ، وقد اقترح الشراح ـ كما نقل محققو الرهبانية اليسوعية ـ حذف الاسم الأخير ، ليقرأ النص : « **والجديرة وتوابعها** » بدلًا من قوله : « **والجديرة وجديروتايم** » (يشوع ١٥ : ٣٦)[(١)] .

* ومثله يقال عن الخطأ الذي وقع في سفر (أخبار الأيام الأول ٢٥: ٤)، **حيث قال:** «**بنو يدوثون: جدليا وصري ويشعيا وحشبيا ومتثيا ؛ ستة تحت يد أبيهم**»، ولكن هؤلاء المذكورين خمسة، وليسوا ستة، لذلك تنبهت النسخ العربية والأجنبية المختلفة إلى وجود سقط، فأضافوه في بعضها كنسخة الأخبار السارة والترجمة العربية المشتركة اسمً سادسًا، وهو «شمعي» ، فقالوا: «**بني يدثون: جدليا وصري ويشعيا وشمعي وحشبيا ومثنيا**»، وبذلك يصبح عدد الأبناء المذكورين ستة.

* ويذكر سفر التكوين أبناء يعقوب من ليئة «**الذين جاءوا إلى مصر**» فيعدد اثنان وثلاثون اسمًا، ثم يختمها بقوله: «**جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون**» (التكوين ٤٦: ٨-١٥)، فهل أخطأ المؤلف المقدس في العدِّ؟ أم ضاع اسم واحد من أحفاد يعقوب؟

الرابي مشوى هعخبرى (من علماء القرن التاسع الميلادي) اقترح على اليهود تعديل النص المقدس، ليصبح (اثنان وثلاثون) بدلاً من « **ثلاث وثلاثون**»[(٢)]، لكن أحدًا لم يصغِ إليه، ليبقى الاسم الضائع لغزًا لن يُحل إلى الابد.

(١) انظر: حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (٤٤٧)، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٢٥٤).
(٢) تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص (٤٦).

❋ ولن ننسى الغلط المدهش الذي وقع به كاتب سفر صموئيل الأول ، وحتى يستمتع قارئنا بالحكاية نسردها من أولها ، حيث يخبرنا كاتب سفر صموئيل أن الملك شاول أصابه روح رديء من الرب فقال لعبيده : « **انظروا لي رجلًا يحسن الضرب ، وأتوا به إليّ . فأجاب واحد من الغلمان ، وقال : هوذا قد رأيت ابنًا ليسّى البيتلحمي يحسن الضرب ، وهو جبار بأس ، ورجل حرب ، وفصيح ، ورجل جميل ، والرب معه . فأرسل شاول رسلًا إلى يسّى يقول : أرسل إليّ داود ابنك الذي مع الغنم .. فجاء داود إلى شاول ، ووقف أمامه ، فأحبه جدًا ، وكان له حامل سلاح ، فأرسل شاول إلى يسّى يقول : ليقف داود أمامي لأنه وجد نعمة في عينيّ ، وكان عندما جاء الروح من قبل الله على شاول أن داود أخذ العود ، وضرب بيده ، فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء** » (١ صموئيل ١٦: ١٧-٢٣) ، ولا ريب أن القارئ يدرك مدى الثقة والاهتمام الذي حظي به داود من قبل الملك شاول .

وفي الأصحاح الذي يليه يحدثنا كاتب السفر أنه لما نشب القتال بين اليهود والفلسطينيين تقدم داود لمبارزة جليات ، وقبيل المبارزة اجتمع داود مع الملك شاول ، وجرى بينهما حوار طويل (انظر ١ صموئيل ١٧: ٣٢-٣٧) ، ثم ألبس شاولُ داودَ ثيابه ، وقلّده سيفه ، فخرج داود لقتاله . (انظر ١ صموئيل ١٧: ٣٨-٤٠) .

وهنا يفجر كاتب السفر مفاجأة غير متوقعة ، فيقول : « **ولما رأى شاولُ داودَ خارجًا للقاء الفلسطيني قال لأبنير رئيس الجيش : ابن من هذا الغلام يا أبنير ؟ فقال أبنير : وحياتك أيها الملك لست أعلم . قال الملك : اسأل ابن من هذا الغلام ؟ ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبنير ، وأحضره أمام شاول ورأس الفلسطيني بيده. فقال له شاول : ابن من أنت يا غلام ؟ فقال داود : ابن عبدك يسّى البيتلحمي**» (١ صموئيل ١٧: ٥٥-٥٨) ، إن كاتب هذا المشهد الأخير غريب عن السفر لا يدري بأن داود معروف عند الملك وبلاطه ، وأنه كان قبل هنيهة في اجتماع مع الملك

استعدادًا لهذه المبارزة ، ولا يتصور غياب قائد الجيش عن هذا الحدث الكبير .

وأمام هذه المعضلة يحار شراح الكتاب المقدس ، ولندع القارئ الكريم يستمتع قليلًا بقراءة التفسيرات البهلوانية الباردة التي يقدمها لنا مفسرو التفسير التطبيقي : « رغم أن داود عزف على العود مرات عديدة أمام شاول ؛ فإن سؤال شاول لأبنير يدل على أن شاول لم يكن يعرف داود جيدًا ، وهناك بضعة تفسيرات لهذه العبارة المحيرة :

١- حيث إنه كان مقررًا أن يتزوج داود ابنة شاول في حال نجاحه (١٧: ٢٥) أراد شاول أن يعرف المزيد عن عائلة داود .

٢- لعل حالة شاول العقلية المضطربة منعته من تمييز داود .

٣-كان داود ما زال يعمل في قصر شاول ، وربما لم يكن شاول قد اهتم بالتعرف به أو معرفة الكثير عنه »[1] .

وأما المفسر أنطونيوس فكري فيبرر سؤال شاول الغريب بقولهم : « كانوا يأتون بداود إلى شاول وهو مصروع لا يدري شيئًا مما حوله ، فمن المنطقي أن لا يتعرف على داود » .

وأما الآباء اليسوعيون فكانوا أكثر جرأة ، لقد أقروا بالتناقض ، وعقبوا بالقول : « ولذلك أهملت الترجمة اليونانية القديمة (١٧: ٥٥-١٨: ٥) ، كما أهملت (١٧: ١٢-١٣) »[2] .

ويتمادى مؤلفو الأسفار المقدسة في تبني المعطيات الخاطئة، ليصلوا بالقارئ

---

(١) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٦٠٣).

(٢) تفسير سفر صموئيل ، أنطونيوس فكري ، ص (٦٧) وانظر : شبهات وهمية حول الكتاب المقدس ، للقس منيس عبد النور، ص (١٤٦).

إلى متاهات لا يقبلها علماء التربية على اختلاف دياناتهم وثقافاتهم، منها ما قيل في تربية الأبناء في سفر يشوع بن سيراخ أو بالأحرى حكمة يشوع بن سيراخ الذي كان ينقل عن أحيقار الآشوري: «**إن دلَّلت ابنك روَّعك، وإن لاعبته احزنك، لا تضاحكه، لئلا تغتم به .. لا تترك له حرية في شبابه، ارضض أضلاعه ما دام صغيراً، لئلا يتصلب فيعصيك**» (ابن سيراخ ٣٠: ٩-١٢)، وفي موضع آخر: «**من أحب ابنه أكثر من ضربه، لكي يسر به في آخر الأمر**» (ابن سيراخ ٣٠: ١)، كذلك يقول عن تربية الأولاد الفاسدين: «**أما السياط والتأديب فهما في كل وقت حكمة**» (ابن سيراخ ٢٢: ٦)، وفي سفر الأمثال: «**لا تمنع التأديب عن الولد، لأنك إن ضربته بعصا لا يموت، تضربه أنت بعصا، فتنقذ نفسه من الهاوية**» (الأمثال ٢٣: ١٣-١٤) «**الجهالة مرتبطة بقلب الولد، عصا التأديب تبعدها عنه** » (الأمثال ٢٢: ١٥).

أغلاط توراتية بشهادة العلوم والمكتشفات الحديثة :

ومن أغلاط التوراة أيضًا أغلاط خالفت فيها الحقائق العلمية الحديثة ، مما دل على أنها ليست من كلام الله الذي يتنزه عن الخطأ والجهل بحقائق العلم التي أدركها الإنسان فيما بعد ، فالله العليم لن يخبر في كتابه إلا بكل صحيح ، إذ لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وقد صدق الفيلسوف الفرنسي القس بيير أبلار (ت ١١٤٢م) بقوله: «حقائق الكتاب المقدس يجب أن تتفق مع مكتشفات العقل، وإلا لكان الله الذي وهبنا هذه وتلك يخدعنا بإحداهما»[(١)].

* ومن ذلك حديث التوراة عن قصة الخلق في سفر التكوين ، حيث يتحدث السفر عن خلق الكون في ستة أيام أرضية مكونة من صباح ومساء ، فخلق وفقًا للترتيب التوراتي في اليوم الأول الأرض والنور والظلام والماء ، وفي الثاني خلق السماء حين وضع جَلَدًا بين مياه ومياه ، وفي اليوم الثالث تجمعت المياه التي تحت الجَلَد الذي سمي سماء ، فتكونت اليابسة ونبت العشب والبقل .

وفي اليوم الرابع خلقت الشمس والقمر والنجوم فيما فوق الجَلَد (السماء) ، وفي اليوم الخامس خلقت الحيوانات البحرية والطيور .

وفي اليوم السادس خلق آدم والحيوانات البرية ، وفرغ من الخلق في هذا اليوم . (انظر التكوين ١ : ١-٣١) .

ويلحظ العلماء المحققون على هذا الترتيب والإخراج لقصة بدء الكون ملاحظات يرفضها العلم الحديث الذي أعطاه الله للإنسانية ، ولو كانت الأسفار من عند الله لما حوت هذه الأخطاء المتتابعة .

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١٧/ ٧٣).

منها : أن السفر يتحدث عن ستة أيام أرضية تتكون من ليل ونهار « **وكان صباح** » ، « **وكان مساء** » ، وكان سابعها يوم السبت الذي استراح فيه الخالق ـ تعالى عن ذلك ـ ، ومن المعلوم علميًا أن خلق الكون تم على فترات كونية هائلة تقدر بـ ٣.٧ مليار سنة، بينما يذهب العلماء إلى أن الأرض تأخر تكونها عن بداية الخلق، إذ يقدر عمرها بـ ٥ مليار سنة، واحتاجت لملايين السنين حتى بردت قشرتها وغدت صالحة للحياة ، فيما يتحدث السفر عن ظهور الماء على الأرض في أول أيامها ، ثم ظهور النبات في ثالثها ، والحيوانات في رابعها وخامسها .

وهنا يفترق القرآن عن التوراة، فالقرآن تحدث عن ستة أيام، لكنه لم يتحدث عن أيام أرضية، بل قال مبينًا المفارقة بين أيامه وأيام البشر : ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج : ٤٧] .

كما أن الترتيب التوراتي لظهور المخلوقات يتناقض مع مكتشفات التاريخ الجيولوجي، فوجود الماء على وجه الأرض في اليوم الأول يتناقض مع النظرية العلمية القائلة بأن الأرض بل والعالم كان غازيًا في بداية خلقه.

ثم لو فرضنا أن الأيام التوراتية كانت حقبًا زمنية مديدة، فإن هذا يصطدم مع الترتيب التوراتي لظهور الخلائق الذي يجعل وجود النبات قبل وجود الشمس، ولا يتصور حياة النبات بدون شمس تمده بالطاقة عبر عملية البناء الضوئي .

ومثله يرفض علميًا القول بأن الأرض خلقت قبل الشمس والنجوم (في اليوم الرابع)، والعجب من ظهور الليل والنهار لثلاثة أيام ، ولما توجد الشمس بعد !

وقد وردت أكثر هذه الاعتراضات على هذا القصة للخلق في ثنايا نقد الأب

دوفو لرواية سفر التكوين[١].

ولم تطل حيرة العلامة أوريجانوس أمام هذه الغرائب والمناكير، فابتدع ما سمي بالتفسير الرمزي للنصوص المقدسة، وأقر بصعوبة بل واستحالة قبول المعاني الظاهرة، وتساءل: «أي رجل عاقل يصدق أن اليوم الأول واليوم الثاني واليوم الثالث، وأن المساء والصباح، قد كانت كلها من غير شمس أو قمر أو نجوم؟ وأي إنسان تصل به البلاهة إلى حد الاعتقاد أن الله قد زرع جنة عدن كما يزرع الفلاح الأرض، وغرس فيها شجرة الحياة ... حتى إذا ما ذاق إنسان ثمرتها نال الحياة؟»[٢].

بينما يميل المحدثون من العلماء إلى رفض هذه النصوص ، واعتبارها نوعاً من الخرافة، يقول الأب الكاثوليكي ريموند براون: « وتحت تأثير الدراسات الحديثة حول سفر التكوين، فالكنيسة الكاثوليكية الآن على يقين شديد بأن عقيدة خلق الله للعالم لا تتضمن الطريقة التي أنشأه بها، لذلك فإن المرء حر في أن يتمسك بأن الفصول الأولى من سفر التكوين ليست رواية تاريخية للخلق وأن يقبل نظرية التطور»[٣].

* ومن الملاحظات العلمية على الأسفار التوراتية أنها تتحدث باستفاضة عن أعمار الآباء الأوائل من لدن آدم إلى إبراهيم ، فتجعل ولادة إبراهيم في القرن العشرين

(١) انظر : التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٤٤ –٥١) ، ودراسة عن التوراة والإنجيل، كامل سعفان ، ص (١٧٩) ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد (٢/ ١٨٢ – ١٨٣).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١١/ ٣١١).

(٣) ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، ريموند براون، ص (٥١).

من بداية الوجود الإنساني على الأرض وتحديدًا في سنة ١٩٤٨ من لدن خلق الكون وظهور الإنسان على الأرض .

ولا توجد معلومات دقيقة تاريخيًا عن الفترة الممتدة بين إبراهيم وعيسى ، ولكن المؤرخين يقدرونها بثمانية عشر قرنًا ، اعتمادًا على المصادر التوراتية ، وعلى هذا فإن ظهور المسيح كان بعد خلق آدم بثمانية وثلاثين قرنًا .

وقد افتتح الأب يوليوس الأفريقي (ت ٢٤٠) في كتابه «الحوليات» سلسلة دراسات لحساب عمر الكون؛ اعتماداً على تتبع التواريخ التوراتية، وتوصل إلى أن مولد المسيح كان سنة ٥٥٠٠ من بداية خلق الكون[١] .

وهذا التحديد لم يوافقه عليه رئيس أساقفة أرما الإيرلندية الأسقف جيمس يوزهر (ت ١٦٥٦م) الذي يعتبر واحدًا من أكبر علماء عصره ، فقد تتبع سلاسل النسب التوراتية ، ليصل إلى نتيجة مفادها أن العالم خُلق ليلة يوم الإثنين ٢٣ أكتوبر ٤٠٠٤ ق.م[٢] .

---

(١) انظر : آباء الكنيسة، أسد رستم، ص (١٦٣)، وقد سبقه في الإشارة إلى صغر عمر الإنسان أوريجانوس حين ندد بتشكك خصمه كلسس بـ «رواية موسى عن الخليقة التي تنادي بأن عمر العالم لم يصل بعد إلى عشرة آلاف سنة، بل أقل من ذلك كثيرًا » من غير أن يحدد تاريخًا معينًا. انظر: ضد كلسس، أوريجانوس (ك١، ف ١٣).

(٢) انظر : قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٣/ ١٧٩)، وكيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردوم ، ص (٢٢٨)، وهذا التاريخ يوافق عليه الدكتور وهيب جورجي بعد تتبعه لأعمار الآباء في التوراة، لكنه ينبه إلى «أنها تواريخ تقريبية ، لا نستطيع أن ندعي دقتها أو عصمتها من الأخطاء» مقدمات العهد القديم، ص (١٩).

وهي نتيجة لا تبعد كثيرًا عن التاريخ العبري الذي يوافق فيه عام (٢٠٠٠م) سنة ٥٧٦١ من لدن خلق العالم ، وتتفق مع كافة أقوال المفسرين الذين درسوا هذه المسألة قبل الانفجار المعرفي الحديث، فالقس الدكتور سمعان كلهون يجزم أن «التاريخ القديم أي من خلق العالم إلى المسيح هو أربعة آلاف وأربع سنين»، ويجزم به بناء على تتبعه لأعمار الآباء الأوائل والمعطيات التوراتية الأخرى، وقد لحظ كلهون اختلاف النسخ التوراتية في أعمار الآباء الأوائل، وانتصر لتواريخ أعمار الآباء الواردة في الأصول العبرية التي تجعل الطوفان سنة ١٦٥٦ من خلق العالم، بينما تجعله التوراة السامرية عام ١٢٠٧، والسبعينية عام ٢٢٦٢[١].

وأما الدكتور وهيب جورجي فيحاول الحل بتغيير مدة السنة من سنة شمسية إلى سنة مصرية، فيقول: «ونرجح أن السنين والتواريخ المحددة في أسفار موسى الخمسة كتبها موسى بناءً على دراساته في مصر، وبالتالي يمكن حسابها بموجب السنة المصرية القديمة»[٢]، وهذا في الحقيقة هروب ممجوج، فالسنة عند المصريين كانت كغيرهم من الأمم ٣٦٥ يوم، وإنْ كانت تتوزع عندهم على ١٣ شهرًا، فالتواريخ التوراتية خاطئة على كل حال.

وعليه نقول بأن المعطيات التوراتية تجعل عمر البشرية على وجه الأرض لا يزيد عن ستة آلاف سنة بحال من الأحوال، بينما «الدراسات الجيولوجية دلت على أن الأرض أقدم جدًا مما يدل عليه الكتاب المقدس، وأن الكائنات الحية ظهرت على

---

(١) انظر : مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، سمعان كلهون ونخبة من اللاهوتيين، ص (٥٦٩-٥٧٦).

(٢) مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (١٩).

الأرض على مدى حقبة طويلة من الزمن ، فلم تخلق في يوم واحد كما يذكر سفر التكوين.. وبناء على ذلك رأى بعضهم أن قصة التكوين أسطورة، وليست تاريخية .. الكثيرون في القرن الثامن عشر قد تحولوا عن إيمانهم»[١] .

هذا التحديد التوراتي لعمر الأرض يتعارض أيضًا مع مع المعطيات التاريخية التي ثبت وجود حضارات قامت قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة ، إذ يرى علماء الآثار أن من المسلَّم به قيام حرب طاحنة بين شمال مصر وجنوبها عام ٤٠٤٢ ق.م ، وانتصر فيها أهل الدلتا بيد أن انتصارهم لم يكن حاسمًا كما تبدأ الحضارة المصرية المؤرخة بالأسرة الأولى والتي حكمت مصر بين ٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م ، وثمة الكثير مما لم يؤرخ قبلها .

هذا التاريخ القريب لعمر الكون والأرض جعل الكثيرين من رواد عصر التنوير يتساءلون: «كيف أمكن خلق العالم سنة ٤٠٠٤ ق. م، في حين أن الصين كان لها حضارة راقية سنة ٤٠٠٠ ق. م؟» وتنبهوا إلى أمر آخر، وهو أنه «لم تحتفظ الصين بسجل أو تقليد متوارث لطوفان نوح الذي تقول التوارة: إنه أغرق الأرض كلها؟»[٢] .

ومما يجعل هذا التأريخ خرافة ولابد أنه عثر على مصنوعات بشرية تعود لأكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد . وعثرت بعثة جامعة القاهرة على آثار بشرية في منطقة الفيوم ترجع لعشرات الآلاف من السنين، بل والمكتشفات الحديثة تنبئنا أن أقدم جمجمة بشرية مكتشفة تعود إلى ٣٠٠.٠٠٠ سنة، وهي التي أعلن في يونيو ٢٠١٧م نتائج تحليلها بعد العثور عليها في جبل إيغود في المغرب .

---

(١) انظر : تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، ميلر وهوبر، ص (١٨٨).
(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٧/ ١٢٦).

وصدق الله العظيم إذ يؤكد أن البشرية ضاربة جذورها في التاريخ قرونًا طويلة، فيقول: ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ [طه : ٥١-٥٢] ، ﴿ **وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً** ﴾ [الفرقان : ٣٨] ، ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ** ﴾ [إبراهيم : ٩] .

* وثمة أمور كثيرة ذكرتها التوراة تتعارض مع الأمور الثابتة علميًا والمشاهدة حسًا، كذكرها أن الأرنب من الحيوانات المجترة ، فيقول : « **الجمل والأرنب والوبر لأنها تجترّ ، لكنها لا تشق ظلفًا ، فهي نجسة لكم** » (التثنية ١٤ : ٧) .

* ومثله أيضًا القول بأن الحية عوقبت بأكل التراب (انظر التكوين ٣: ١٤) أو أنها تلحسه، كما في سفر ميخا « **يلحسون التراب كالحية ، كزواحف الأرض** » (ميخا ٧: ١٧) ، والمشاهد في جميع أنواع الحيات المصنفة علميًا أنها تأكل الحشرات والزواحف وغيرها ، ولم يسجل أبدًا أنها تأكل التراب أو تلحسه .

* ويتحدث سفر اللاويين عن أحكام تتعلق بطيور أسطورية لها أربع أرجل ، بعضها يدب ، وبعضها يمشي ، ولا وجود لها إلا في أساطير الخيال ، فيقول : « **وكل دبيب الطير الماشي على أربع فهو مكروه لكم . إلا هذا تأكلونه من جميع دبيب الطير الماشي على أربع . ما له كراعان فوق رجليه يثب بهما على الأرض . هذا منه تأكلون .. لكن سائر دبيب الطير الذي له أربع أرجل فهو مكروه لكم** » (اللاويين ١١ : ٢٠-٢٣) . ولم تتحدث الحفريات ولا غيرها عن شيء مثل هذا كان على وجه الأرض في يوم من الأيام .

* ومن الأخطاء العلمية أيضًا ما جاء في سفر التكوين (٣٠: ٣٧-٤٣) ، حيث زعم بأن غنم يعقوب أنتجت ، فكان لون نتاجها مخالفًا للون آبائها ، بسبب رؤيتها

لبعض العصي المقشرة ، فتوحمت عليها ، فكان النتاج مثلها ، ولو صح مثل هذا لكان ينبغي أن يكون نتاج الربيع أخضرًا ، وهذا الهراء يخالف كل ما يعرفه علماء الجينات والشفرات الوراثية .

* وفي سفر التكوين حديث عن أغرب قصة ولادة ، ألا وهي قصة ولادة الزانية ثامار من حماها ووالد أزواجها يهوذا ، « **وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان ، وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يدًا ، فأخذت القابلة ، وربطت على يده قرمزًا قائلة : هذا خرج أولًا ، ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج ، فقالت : لماذا اقتحمت ؟ عليك اقتحام . فدعي اسمه فارص ، وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز ، فدعي اسمه زارح** » (التكوين ٣٨: ٢٧-٣٠) ، فقد أخرج البكر يده من بطن أمه ، وهو أمر غير معهود في عملية الولادة ، وأراد المولود من خلال إخراج يده التأكيد على حقه في البكورية ، وفهمت القابلة مراده ، فربطت على يده برباط قرمزي .

ثم حصل الأغرب منه الذي لا يمكن تفسيره طبيًا ، فقد أفسح البكر مكانه في الرحم لأخيه التوأم ، ليخرج إلى الدنيا ، ثم تبعه أخوه البكر ، صاحب اليد المربوطة بالقرمز ، ومثل هذه القصة لا تقبل علميًا ، وإلحاقها بقصص العجائز أولى من أن تلحق بكلام الله ووحيه .

* وتتوعد التوراة بالعقم من واقع بالزنا زوجة أخيه أو زوجة عمه فتقول: «**وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه؛ يحملان ذنبهما؛ يموتان عقيمين، وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه؛ يكونان عقيمين** » (اللاويين ٢٠: ٢٠-٢١)، ولكن مثل هذا لم يسجل في أي من المختبرات العلمية أو الدراسات الطبية، فأقل ما يقال عنه أنه تهديد كاذب، ولذلك عمدت النسخ الحديثة إلى تغيير النص، ففي الترجمة العربية المشتركة والأخبار السارة نقرأه هكذا: «**وإن**

ضاجع أحد زوجة عمه كشف عورة عمه، هما يتحملان عاقبة خطيئتهما، فليموتا منبوذين ، وإن أخذ أحد زوجة أخيه فهذا جرم ، هو كشف عورة أخيه، فليكونا كلاهما منبوذين».

❋ ويقدم سفر أيوب تصورًا غريبًا لكيفية تخليق الجنين ، فهو يصب في قالب ، كما يصب الحليب ، ثم يتجمد في وسط هذا القالب ، كما يتخثر الحليب فيتحول إلى جبنًا ، وهو كما تقول نسخة الرهبانية اليسوعية في تعليقها عليه متطابق مع التصورات القديمة لتخليق الجنين[1]، لكنه على كل حال لا علاقة له من قريب أو بعيد بما يعرفه العلماء عن مراحل تخليق الجنين ، يقول سفر أيوب مخاطبًا الله : « **اذكر أنك جبلتني كالطين ، أفتعيدني إلى التراب ، ألم تصبّني كاللَّبن ، وخثّرتني كالجُبن ، كسوتني جلدًا ولحمًا ، فنسجتني بعظام وعصب** » (أيوب ١٠ : ٩-١١) .

❋ ومن الأخطاء العلمية زعم التوراة أن الأرض لها أعمدة ، وأنها مسطحة ، ولها زوايا ، موافقة بذلك المستوى العلمي السائد حين كتابتها ، فتقول وهي تتحدث عن الشمس التي تغرب على الأرض ، ثم تذهب مسرعة إلى شرق الأرض لتشرق من جديد : « **والشمس تشرق ، والشمس تغرب ، وتسرع إلى موضعها حيث تشرق** » (الجامعة ١ : ٥) ، فكاتب السفر لا يعرف شيئًا عن كروية الأرض ، ولا عن دورانها حول محورها ليحصل الشروق والغروب ، إنه ليس الله العظيم العليم الذي ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ** ﴾ [الزمر : ٥] .

❋ وتقول التوراة واصفة الله أنه « **المزعزع الأرض من مقرها ، فتتزلزل**

---

(١) انظر هامش الرهبانية اليسوعية، ص (١٠٦٥).

أعمدتها» (أيوب ٩ : ٦) ، فالأرض لها أعمدة ، قد ثبتت الأرض فوقها ، وهذا الفهم الخاطئ يؤكده كاتبو الأسفار ، فيزعمون أن الله قال لأيوب : « **أين كنت حين أسست الأرض ؟ أخبر إن كان عندك فهم : من وضع قياسها ، لأنك تعلم ؟ أو من مدّ عليها مطمارًا ؟** (في توراة الكاثوليك : مد عليها الخيط) . **على أي شيء قرّت قواعدها ؟ أو من وضع حجر زاويتها ؟** » (أيوب ٣٨: ٤-٦) ، وفي سفر صموئيل « **لأن للرب أعمدة الأرض ، وقد وضع عليها المسكونة** » (١ صموئيل ٢ : ٢) .

وقد أكد العهد الجديد هذا التصور الساذج والخاطئ للأرض المسطحة ذات الأطراف أو الزوايا الأربعة في مواضع منه ، نرجئ ذكرها إلى موضعها من هذه السلسلة.

* ويتحدث سفر الجامعة عن دورة المياه على الأرض وعن سبب عدم امتلاء البحر رغم كثرة ما يصب فيه من ماء الأنهار ، فيذكر أن ماء البحر يعود مرة أخرى إلى ينابيع الأنهار، فلا يمتلئ بسببه البحر ، يقول : « **كل الأنهار تجري إلى البحر ، والبحر ليس بملآن ، إلى المكان الذي جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة** » (الجامعة ١ : ٧) .

* وأخيرًا ، فإن التوراة تصادق على قدرة الإنسان على تحضير أرواح الأموات، وأن ذلك تم بالفعل ، حين قدرت العرافة على إحضار روح النبي صموئيل إلى الملك شاول ، وشرحت ما دار من حديث بينهما (انظر ١ صموئيل ٢٨ : ٣-٢٠) ، وهو خبر إلى الشعبذة والخرافة أقرب منه إلى أي شيء آخر .

فهذه الأخطاء وغيرها تشهد أن هذا الكتاب ليس كلمة الله ، ولو كان من عند الله لتنزه عن تلكم الأخطاء التي يدركها اليوم صغار طلاب العلم فضلًا عن العلماء ، فكلمة الله لا تخطئ ، ولا تعلم الناس الكذب أو الخطأ .

موقف النصارى من أخطاء الكتاب المقدس :

ونتساءل بعد هذا كله : ما هو موقف الكنيسة من الأخطاء التوراتية ؟

نجحت الكنيسة في حجب الكتاب المقدس عن القراء قرونًا طويلة، احتكرت في كهنتها حق قراءة الكتاب، فما يحق لمؤمن أن يقرأ إلا بإذن من رجال الكنيسة ، وهو صنيع يرى الكاهن الكاثوليكي جون مسلييه (ت ١٧٣٣م) راعي أبرشية في شمبانيا فيه حكمة من الكنيسة التي أبعدت الكتاب المقدس عن العامة ، وتمنى لو احتفظت به بعيداً عن رجال الدين أيضًا، لئلا يطلعوا على أخطائه وتناقضاته التي سجل بعضًا منها في كتابه «عهدي الجديد»[١].

وحين تسللت نسخ الكتاب إلا العامة دعت الكنيسة إلى مجمع تولوز سنة ١٢٢٩م فحرّم المجمع بقيادة البابا جريجوري التاسع امتلاك أي نسخة من الكتاب المقدس، وألغى كافة الترجمات: «إننا نقرر منع كتب العهد القديم و الجديد عن العلمانيين، إلا من كان منهم يريد إقتناء كتاب المزامير أو الأجبية أو ساعات العذراء الطوباوية، ولكننا نحرم تحريماً باتاً ترجمة أى جزء من أجزاء الكتاب الأخرى إلى اللغات الدارجة »[٢].

وهكذا بقي الكتاب سرًّا لا يكاد يطلع عليه المؤمنون إلا بلغات لا يفهمونها، حتى أن القس الإصلاحي الشهير مارتن لوثر لم يستطع رؤية الكتاب المقدس إلا وهو في سن الثلاث وعشرين من عمره، وهو قس، فكان هذا واحداً من أسباب ثوررته التي أنشأت مذهب البرتستانت.

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٨/ ١١)، يقول مسلييه: «لن أضحي بعقلي، لأن عقلي وحده يمكنني من التمييز بين الخير والشر وبين الحق والضلال».
(٢) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر ، ص (٣٤٥).

لكن كرة الثلج كبرت وكبرت، وتهادت من كل جانب مع انتشار المطابع وتسابقِ الطابعين إلى ترجمة الكتاب المقدس وطباعته باللغات الدارجة، فترجمه مارتن لوثر إلى الألمانية، وجون ويكلف إلى الإنجليزية، فأدانته الكنيسة ، وأحرقت كتبه، بل وأخرجت - بأمر من البابا - عظامه وأحرقتها، لتكون عبرة لكل من تسول له نفسه ترجمة الكتاب إلى اللغات، ووضعه في أيدي المؤمنين، لقد هالهم أن «استطاع الرجل العادي أن يسمع كلمات الكتاب، ويقرأها بلغة بلده، هذا اعتبره الأكليروس خطأً عظيمًا ، فالكتاب المقدس باللاتينية كان لهم وحدهم ملكية خاصة، فإذا أصبح متاحًا لعامة الشعب كان ذلك تدنيًا ، مثل قذف الجواهر أمام الخنازير»[١].

وبذلك نجحت الكنيسة في إخفاء طوام الكتاب وأغلاطه عن المؤمنين به ، فاستراحت من الدفاع عنه ونقده.

ثم انكشف الغطاء ، ورأى الناس النصوص، فعجبوا لما فيها، فمنعتهم الكنيسة من تفسيره، وادعت لنفسها حق تفسير الكتاب ، وكابرت عن الاعتراف بأخطائه ، وشرعت تردد ما قاله القديس جيروم : « الله لا يمكن أن يعلم ما لا يتفق والحقيقة » .

ومع دخول العالم إلى عصر التنوير تصاعدت الأصوات الرافضة والمشهرة بأخطاء الكتاب ، وأعلن فيلسوف فرنسا الراهب بيتر أبلار (ت ١١٤٢م) « أن الحق لا يمكن أن يناقض الحق، وأن حقائق الكتاب المقدس يجب أن تنفق مع مكتشفات العقل، وإلا لكان الله الذي وهبنا هذه وتلك يخدعنا بإحداهما»[٢]، وقدم دراسات جرئية للكتاب المقدس والفكر الكنسي في كتبه، وبخاصة كتابه: «نعم ولا» الذي سأل فيه ١٥٧ سؤالاً، حول أهم العقائد والأفكار الفلسفية، وقدم نموذجين من الإجابة لها؛ إيجابية وسلبية.

---

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر (٤/ ٥٣).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١٧/ ٧٣).

ثم كان لابد من الاعتراف بهذه الأخطاء وغيرها والبحث عن سبل لتخرجها ، وكان بداية الإقرار بالهزيمة تبرير أخطاء التوراة بأنها تعود للنسخ والنساخ ، فالوحي لا يخطئ .

وفي مجمع الفاتيكان (١٨٦٩-١٨٧٠م) أعلن المجمع أن الأسفار المقدسة في العهدين « كتبت بإلهام من الروح القدس مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة » .

وفي هذا الصدد نشرت مجلة "look" في سنة ١٩٥٢م مقالًا بعنوان (الحقيقة عن الكتاب المقدس) ذكرت فيه أنه في عام ١٧٢٠م قامت هيئة من الخبراء الإنجليز بتقدير عدد الأخطاء في الكتاب المقدس بحوالي عشرين ألف خطأ على الأقل .

فيما رفعت الدراسات الحديثة الرقم إلى خمسين ألفًا كما جاء في مجلة (استيقظوا) التي أصدرتها جماعة شهود يهوه في عددها الصادر في سبتمبر ١٩٥٧م ، حيث تقول : « هناك ما يقارب خمسين ألف خطأ .. وهي أخطاء تسللت في نص الكتاب المقدس » .

ويعترف القس جيمي كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق بوجود هذه الأخطاء، وسببه أن «المؤلفين القدامى للكتب المقدسة لم يكونوا خبراء في علم الأرض أو علم الأحياء أو علم الكون، ولم يكونوا قد سعدوا باستخدام المجاهر الإلكترونية .. ولم انزعج أبدًا من آيات في الإنجيل تنص على أن الأرض مستوية، أو لها أربعة أركان، وأن النجوم تسقط على الأرض مثل حبات التين من الشجرة، أو أن العالم قد خلق في ستة أيام من أيام التقويم كما نعرفها»[1] .

وكذلك يقر الدكتور أوسم وصفي بوجود تلك الأغلاط، ويستنكر محاولات

(١) قيمنا المعرضة للخطر، جيمي كارتر، ص (٦٢).

البعض للترقيع، فيقول: «للأسف يميل بعضنا إلى اختراع حلول تلوي عنق المنطق وما هو معروف علميًا، ويسببون إحراجًا ليس بالقليل لكل المؤمنين بالكتاب المقدس، وقد أدوا ويؤدون إلى الآن إلى تسرب الإيمان من قلوب من لا يريدون التمسك بإيمانهم على حساب المنطق».

والحل عند الدكتور وصفي أن نؤمن بالرسالة الروحية للكتاب المقدس، وأن مضامينه العلمية قد وافقت «الأطر الثقافية والحضارية للحقبة الزمنية التي كتب فيها، وأنه لم يكن معصومًا عما فيها من آراء اتضح فيما بعد أنها غير علمية، [لكنه] يظل معصومًا فيما يتعلق بإعلانه عن الله وطبيعته اللاهوتية وطريقه الخلاص»[(١)].

وكذلك فإن المطران كيرلس سليم بسترس رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الكاثوليك يقر بتعارض الروايات التوراتية لمعطيات العلم الأولية، ويمضي لحل هذه المشكلة: «لحلّ تلك التناقضات بين الكتاب المقدس والعلم، لا بدّ لنا من التأكيد من جديد أن الكتاب المقدس ليس كتاباً علمياً يحوي دروساً في علم الكون أو في علم الحياة؛ إنما هو كتاب ديني يحتوي تعاليم عن علاقة الكون بالله خالقه.

وعندما يعمد إلى وصف عمل الله الخالق لا يستطيع أن يصفه إلا في إطار الصورة التي كان البشر في القديم يرون فيها العالم، فالأرض في نظرهم صفحة منبسطة تعوم على وجه المياه ؛ والدليل على ذلك ظهور الينابيع التي تتفجّر من هنا وهناك في جوف الأرض. والجَلَد (أي الفضاء) الذي فوق الأرض هو نصف كرة ترتكز أطرافها على حدود الأفق، وفوقه وضع الله المياه العلوية التي تنزل مطراً على الأرض عندما

---

(١) أسئلة في العهد القديم، أوسم وصفي، ص (١٦)، وانظر: دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٣١٨).

يفتح لها سدود الجَلَد، وتحت الجَلَد أثبت الله الكواكب، وخطّ للشمس والقمر مسيرهما. أما النور فهو مستقلّ عن الشمس ؛ والدليل على ذلك ظهور النور حتى عند احتجاب الشمس وراء الغيوم.

قد نبتسم ابتسامة الاستهزاء لتلك التخيّلات البدائية. لا ريب في أن العلم قد تقدّم، وأننا لا نستطيع بعدُ قبول تلك التفسيرات، لكن الله لا يكلمنا إلا عن طريق البشر، والكتاب المقدس – الذي هو كلام الله – لا يمكنه أن يعطينا تعاليمه إلا في لغة الشعب الذي نشأ فيه، وفي عقليته وتصوراته للكون. فلا بدّ إذاً من فهم تلك العقلية وتلك التصورات لاكتشاف إرادة الله وإدراك تعاليمه المقدسة »[(١)]، ولعل القارئ الكريم قد لاحظ أن المطران يعذره إذا صدر عنه «ابتسامة الاستهزاء لتلك التخيّلات البدائية»، لأن المطران نفسه لا يستطيع قبول تلك النصوص التي لا يقبلها العلم الحديث، ويراها أخطاء إلهية لأن الله يخاطب البشر بحسب معلوماتهم القاصرة والخاطئة.

ويؤيده الدكتور الجراح صبري جوهرة وهو يلخص رأي الكنيسة في رسالته لصديقه الدكتور محمد البار: « إن الله يسمح للإنسان (كاتب السفر) بأن يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص مادام ذلك لا يغير ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية ، وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية .. الخ ، فالمقصود بالكتاب هو أن يعلم الدين والأخلاق ، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة »[(٢)].

---

(١) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، المطران كيرلس سليم بسترس (١/ ٨١).

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٦).

وأكد هذه المعاني الدكتور القس الخضري بقوله : « الكتاب المقدس كتاب الله، ليس كتابًا علميًا أو موسوعة علمية كتبها مجموعة من المتخصصين في مواد مختلفة ، وكل همهم تجنب الأخطاء العلمية في تخصصهم ، في التاريخ ، أو الجغرافيا .. فالكتاب إذًا هو خطاب أو رسالة قبل أن يكون كتابًا علميًا ، وهدفه ليس شرح القواعد العلمية بطريقة صحيحة ، بل هدفه هو توصيل الرسالة للإنسان »(١).

وفي مجمع الفاتيكان ١٩٦٢-١٩٦٥م بُحِث موضوع المشكلات الصعبة للكتاب المقدس ، وصدرت وثيقة «كلمة الله» صوت لها ٢٣٤٤ من الحاضرين مقابل ٦ فقط رفضوها ، وتقول الوثيقة في فصلها الرابع : «أما أسفار العهد القديم فإنها تظهر للجميع معرفة الله والإنسان والطرق التي يتبعها الله، في عدله ورحمته، للتعامل مع البشر، وذلك حسب أوضاع الجنس البشري التي سبقت الأزمنة التي فيها أنشأ المسيح الخلاص. وهذه الكتب، على الرغم من أنها ناقصة ومؤقتة (imperfecta et temporaria continent)، فإنها تطلعنا على أسلوب تربويٍّ إلهيٍّ حقيقي »(٢).

وهذه النتيجة توافق أو تقارب ما توصلت إليه الدراسات النقدية لتاريخ الكتاب ، والذي « تقرر أن الكتاب المقدس اليهودي ، ليس بمختلف جوهريًا عن النصوص

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي ، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ١٦٩-١٧٠) ، وانظر: كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردوم ، ص (٧٥).

(٢) النص اللاتيني منشور على موقع الفاتيكان، وفيه:

«Qui libri, quamvis etiam imperfecta et temporaria contineant, veram tamen paedagogiam divinam demonstrant»

وترجمته: « وهذه الكتب، على الرغم من أنها ناقصة ومؤقتة، فإنها مع ذلك تبين لنا طرق التدريس الإلهي الحقيقي».

المقدسة في الأديان الأخرى ، وكهذه ، فإنه عمل إنساني »[١].

وأمام هذا الحشد من الأدلة فإنه لا يسع العاقل إلا أن يلبي نداء الفيلسوف اليهودي باروخ (بيندكت) اسبينوزا حين كتب داعيًا إلى إيقاظ العقل واستخراجه من صندوق التعصب والجهل: « هل درستم كل تلك الديانات قديمها وحديثها تلك التي تلقن هنا وفي الهند وفي سائر أنحاء العالم؟ وحتى لو كنتم درستموها حق الدرس، كيف تعرفون أنكم اخترتم أحسنها؟ هل تعتبرونه عجرفة وغروراً أن أستخدم عقلي في الإذعان لكلمة الله الموجودة في العقل، ولا يمكن بأية حال افسادها أو تحريفها؟ انأوا بأنفسكم عن هذه الخرافة المهلكة، واعترفوا بالعقل الذي حباكم الله إياه، وتعهدوه إذا لم تكونوا في عداد البهائم»[٢].



(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٦٠).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٤/ ١٢٥).

خاتمة المبحث

وهكذا تم حديثنا عن التوراة وأسفار العهد القديم ، وحصل القارئ الكريم على إجابة عن السؤال المهم الذي أجابت عنه المباحث المتتابعة التي ذكرناها في هذا الصدد .. السؤال الذي طرحناه في مقدمة كتابنا هذا : هل العهد القديم كلمة الله ؟

ولن أكون أقل احترامي لقرائي من مؤلف العهد القديم، فأسجل اعتذاري عما وقعت فيه من هفوات وأخطاء « **إن كنت قد أحسنت التأليف ، وأصبت الغرض ، فذلك ما كنت أتمنى ، وإن كان قد لحقني الوهن والتقصير فإني قد بذلت وسعي**»، والأمل يحدوني في قبول القراء الكرام لعذري واعترافي بزللي وخطئي.

حاولت بعلمية وحيادية دراسة هذه المباحث بشفافية، فرأى قارئ هذه الصفحات كيف ضاعت توراة موسى التي يؤمن بها المسلمون ، وثبت له بالأدلة براءة موسى والأنبياء من الأسفار المنسوبة إليهم ؟

وعرفنا مجهولية كتبة هذه الأسفار ، وأن الذي منحها صفة القداسة هم البشر ، كما تعرفنا على أقدم المخطوطات الكتابية والتي تعود إلى تاريخ بعد موسى بما يقارب الخمسة عشر قرنًا، ثم نظرنا في نص الأسفار وتمعنا في حديثها عن الله ورسله ، فرأينا شهادة قائمة بأن هذه الأسفار لا يليق أن تنسب إلى الله ، وزاد الأمر وضوحًا ونحن نستعرض الأخلاق التوراتية ، وأُشبعنا ونحن نتأمل الصبغة البشرية للتوراة .

ثم رأينا الأدلة الكثيرة والعديدة على تحريف التوراة ، ووضح لنا الكثير من تناقضاتها وأخطائها، وكل ذلك أثبت لنا أنها ليست كلمة الله المنزلة على موسى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وهي النتيجة التي يشاركنا فيها كل منصف يحترم الحقيقة ، ومن هؤلاء الأب الكاثوليكي العراقي سهيل بطرس قاشا، الذي لم يمنعه إيمانه بالمسيحية من القول:

«التناقض الواضح في مضامين ونصوص أسفار العهد القديم، من حيث اشتمالها في آن واحد على ممارسات القتل وعدم الرحمة والأقوال العنصرية والوحشية واللا إنسانية واللا حكيمة ، إلى جانب اشتمال بعض أسفاره وبنفس الوقت على جزء من خلاصة الحكمة الإنسانية السومرية والبابلية والآشورية من خلال حكمة أحيقار، أقول: إن هذا التناقض أمر طبيعي في التوراة، وذلك نتيجة اختلاف مصادر كتابة أسفار العهد القديم .. كتبت في فترات متباينة خلال مئات السنين دون إمكانية المراجعة والتنسيق فيما بين هؤلاء الكتبة، فهناك أكثر من ثقافة واحدة يمثلها العهد القديم، جعلته كتابًا متناقضًا وغير منسجم مع نفسه»، ثم مضى للقول: «لم يعد خافيًا عليهم [العلماء والكتاب والباحثين] عدم أصالة الكتاب واحتوائه على ثقافات الآخرين .. التوراة على شكلها ومضمونها الحالي ليست أصيلة، وليست منسقة مع ما جاء به موسى» [1].

ولا نملك إلا أن نردد قال ربنا : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [البقرة :٧٩] .

ولا يسعني وأنا أشكر القارئ الكريم على قراءته لهذه السطور إلا أن أتوجه إليه بدعوة مخلصة لقراءة الحلقة التالية من حلقات سلسلة الهدى والنور ، وهي بعنوان : هل العهد الجديد كلمة الله ؟

والله أسأل أن يكتب لنا القبول والسداد ، وأن يهدينا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .



(١) بابل والتوراة، الأب سهيل قاشا، ص (١٧٨، ١٩٢).

المصادر والمراجع

✷ القرآن الكريم .

✷ الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة البروتستانتية).

✷ الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة الكاثوليكية)

✷ الكتاب المقدس . طبعة : الرهبانية اليسوعية (نسخة كاثوليكية أصدرها الآباء اليسوعيون) . توزيع جمعيات الكتاب المقدس في المشرق . بيروت .

✷ الترجمة العربية المشتركة ، (أصدرها علماء ولاهوتيون كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، (الطبعة الرابعة للعهد القديم ، الطبعة الثلاثون للعهد الجديد) .

✷ التوراة السامرية . ترجمة الكاهن : أبو الحسن إسحاق الصوري . نشرها : أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

✷ إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة . أحمد عبد الوهاب . ط١ .مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٩٧٢م .

✷ إظهار الحق . رحمة الله الهندي . تحقيق : محمد أحمد ملكاوي . ط١ . دار الحديث . القاهرة ، ١٤٠٤هـ .

✷ أناشيد البعل (قراءة جديدة للأساطير الأوغاريتية)، حسني حداد وسليم مجاعص، ط١، دار أمواج، بيروت ، ١٩٩٥م.

✷ بابل والتوراة، الأب سهيل بطرس قاشا ، دار أبعاد ، بيروت، ٢٠١١م.

✷ البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين . أحمد عبد الوهاب . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .

✷ تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ترجمة : القمص مرقس داود ، مكتبة

المحبة ، ط٣ ، ١٩٩٨م .

✱ تاريخ نقد العهد القديم (من أقدم العصور حتى العصر الحديث)، زالمان شازار، ترجمة: أحمد هويدي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

✱ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، مجموعة من العلماء اللاهوتيين ، القاهرة .

✱ التوراة . محمد شلبي شتيوي . ط١ . مكتبة الفلاح . الكويت ، ١٤٠٦هـ .

✱ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكاي . ترجمة : حسن خالد . ط٢ المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٤١٠هـ .

✱ حكايات محرمة في التوراة (عاهرة على جانب الطريق)، جوناثان كيرتش ، ترجمة: نذير جزماتي ، ط١، دار نينوى للداراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٥م.

✱ دائرة المعارف الكتابية ، مجموعة من المحررين ، ط٣ ، دار الثقافة ، ١٩٩٥م .

✱ دراسة عن التوراة والإنجيل . كامل سعفان . دار الفضيلة . القاهرة .

✱ رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ترجمة: حسن حنفي، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

✱ على عتبة الكتاب المقدس، جورج سابا، ط١، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٧م.

✱ قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ومن اللاهوتيين . هيئة التحرير : بطرس عبد الملك ، جون ألكساندر طمسن ، إبراهيم مطر . دار الثقافة .

✱ قراءات في الكتاب المقدس . عبد الرحيم محمد . (بدون معلومات نشر) .

✱ القرآن الكريم والكتاب المقدس . أيهما كلمة الله ؟ أحمد ديدات .

✱ قصة الحضارة، وليام ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

✱ الكتاب المقدس في الميزان . عبد السلام محمد . ط . دار الوفاء ، ١٤١٢هـ .

✱ المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ط٢ ، دار الثقافة ، القاهرة .

✱ مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ترجمة : نجيب إلياس ، ط١ ، دار الثقافة .

✱ المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان . أحمد ديدات . جمع وترتيب : أحمد السقا . ط١ . مكتبة زهرة ، ١٤٠٨هـ .

✱ مناظرة العصر . أحمد ديدات و القس أنيس شروش . ترجمة : علي الجوهري . دار الفضيلة .

✱ مناظرتان في استكهولم . أحمد ديدات والقس شوبرج . دار الفضيلة .

✱ من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني . أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

✱ النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤٠٠هـ .

✱ هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ أحمد ديدات . ترجمة : نورة النومان . دار الهجرة . دمشق ، ١٤٠٨هـ .

فهرس الموضوعات